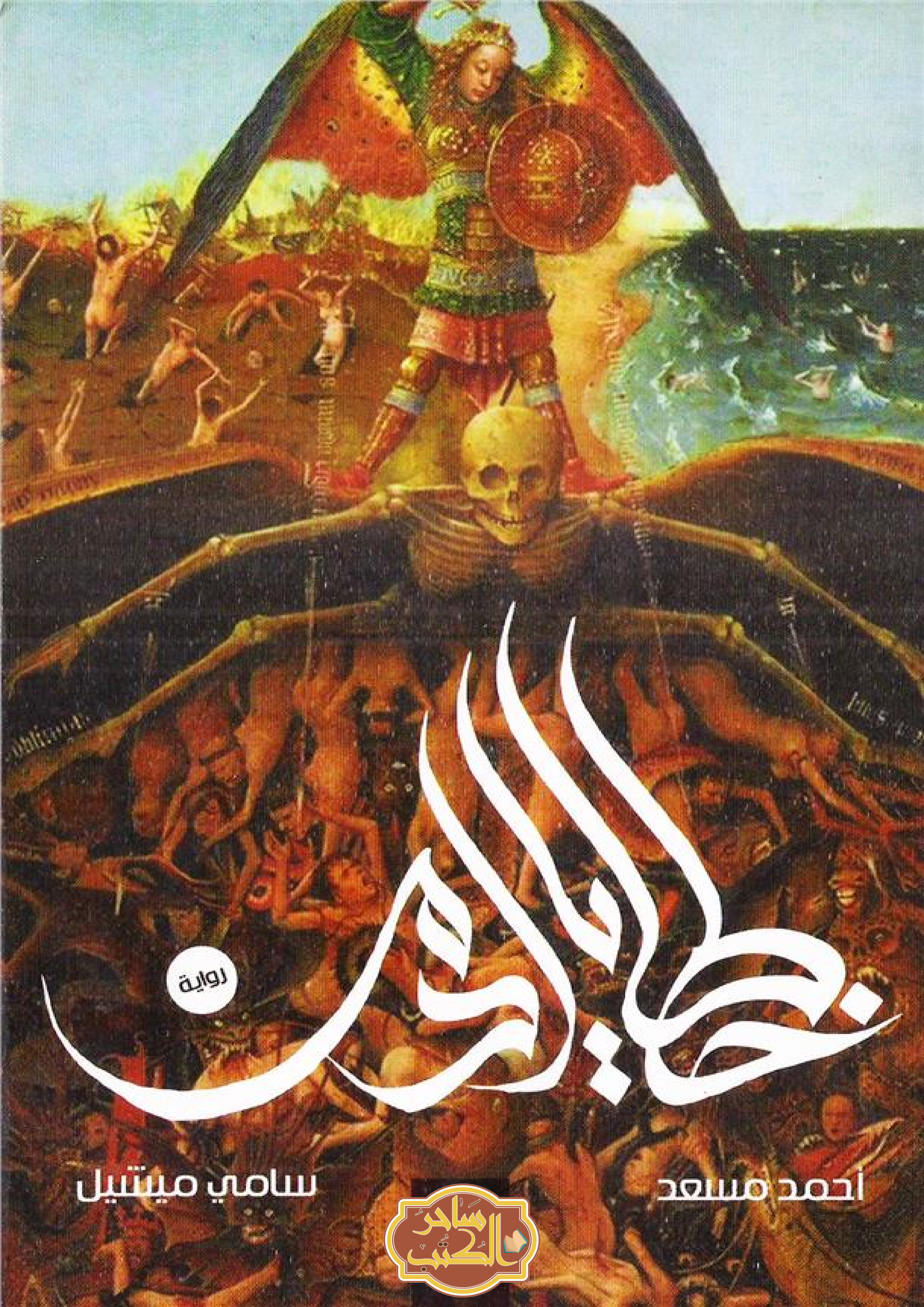

خطايا الرب
رواية
أحمد مسعد
سامي ميتيل
ساحر الكتب

رواية

خطايا آدم

(حلقات الجحيم التسع)

سامي ميشيل - أحمد مسعد





الإهداء

- إلى نقطة التحول الكبيرة في حياتنا، إلى الذي تحملنا كثيرًا وأعطانا الدافع القوي لنُكمل، وأثقلتنا توجيهاته بالخبرة اللازمة، إلى المَعلم والمُعلم والأخ لنا ولكل المَعلمين المذيع "أحمد يونس "(أبو موزو) صاحب كيان المعلمين

شكرًا لك على كل شيئ قمت وتقوم به من أجلنا

- إهداء وشكر أخر خاص إلى أختنا الكبيرة صاحبة الجملة الشهيرة (أنا بحب قصصكم يا سامي انت وأحمد) وأحد الأركان الأساسية في جمهورية وكيان المعلمين "نوران أيمن".

- أيضًا إلى الإخوة معلمين كلام معلمين الضهر والسند.. لولا وجودكم ما كنا

- البيت الكبير الراديو ٩٠٩٠

- أخيرًا وليس أخرًا إلى أهالينا وأصدقائنا الذين تحملوا جنوننا وحالتنا ككتاب رعب.



إمضاءات المعلمين والأصدقاء.. شكرًا لدعمكم

Mariam Abazi
محمد سعد
عبقرينو المعلمين
كريم هشام
حسام أسامة المعلمين
يوسف عادل
HADEER Ashraf
Ahmed Bahy
hossam e. hamdy
Peter Criss (kaneki ken)
Hanan Marof
محمد حسام
أحمد عادل الحولي
خالد مصطفى
أسماء وائل
يوسف وائل
رشا أهلاوية المعلمين
محمد عادل
مصطفى
مصطفى محمد
شيماء سمير
فاطمة حداد
محمود القاضي
MaiAbuZaid
#MaZEN KhaleD
مازن خالد
#ZoZ
أحمد طارق علي
ياسمين
إسراء همسة المعلمين
محمد إبراهيم عبد العظيم
يارا شعيب
Mahmoud.ElFiky
محمد هشام
EsRaa Mustafa AJS
حسام أسامة
ضياء سرحات المعلمين
آلاء علي محمد علي مراد
تسنيم
يوسف جميل
مصطفى عثمان
سمر
رمضان
AbdoAziz
Abdallah Tarek
عبده هاني
عمرو درويش
ياسمين عادل

سحر حمدي شهاب الدين أشرف MOSTAFA MAGDY زياد

Yasmin Ali إبراهيم بكر Deep Band

عبادي

شيماء سمير محمد سراج فوزية علي نور الدين عمرو

عبد الله عبد العزيز عبد الرحمن بن جمال نداء عادل إسماعيل

عبد الرحمن (المشخصاتي) يوسف محمد رمضان محمد محمود

حشيش أمل عبد الكريم زياد أيمن حسام

STON COLD AHMED AWED إسلام طارق

Amira Omar يوسف البيضة أيمن أحمد الفيلي

عمر علي طارق محمد منصور وليد الجعفري محمد جمال عسقلاني عمرو سكر

بسكوتاية المعلمين زياد أحمد

أحمد كمياتي نور عادل

AMIRA Rashed آمال صفاء رضا ESLAM

NIYA AYS Mohamed

شعبان الخطيب

محمد ميدو كساب المعلمين

Alaa AYS يوسف قيصر المعلمين

أحمد خطاب

عبد الله أحمد أصلاوي

ياسر كمال المعلمين ميدو

إسلام العثماني مجابير

آية محمد كريم هشام أحمد - رضا إسلام وليد

محمود Abanoub Samir Psychologist محمود عباس



نقطة

يحكي "دانتي أليغييري" الشاعر الإيطالي العظيم عن يوم في منتصف عمره، أفاق فيه ليجدَ نفسه ضالاً السبيل وسط غابة مظلمة ومخيفة.. التفتَ حوله باحثًا عن سبيل للخروج فلم يجد سوى جبل شاهق أضاءت الشمسُ قمّته، فاتجه نحوه محاولاً أن يرتقيه، لكن أثناء محاولته الصعود اعترض طريقه ثلاثةٌ من الوحوش، فهدةٌ بجلد أرقط، وأسدٌ غاضبٌ بالإضافة إلى ذئبة ضامرة الجسد رأى في عينيها شهوات العالم أجمع.. عرف أنه لن يتمكنَ من المُضي قدمًا، فتقهقرَ إلى الخلف وهبط ليصطدم بجسد ظهرَ أمامهُ من العدم، كانَ مهيبَ المنظر، أبَحَّ الصوت، توسلَ لهُ "دانتي" أن يرحمهُ ولا يُؤذيه سواءً كانَ شبحًا أو إنسيًا، تكلمَ الرجل المجهول وقال له أنه ليسَ إنسيًا، لكنه كان كذلك في يوم ما..

أخبرهُ الرجلُ عن أبويه، وعن مولده في عهد "يوليس" وعن حياته في روما، وعن مهنته كشاعر، فعرفَ "دانتي" أنهُ يقفُ أمامَ شبح "فيرجيليو" الشاعرُ العظيمُ الذي كانَ بمثابة الأستاذ والقدوة بالنسبة لـ"دانتي"، فقد استلهمَ منه "دانتي" أسلوبهُ وتعلمَ منهُ قوةَ الشعر، غمرَ "دانتي" الحياءُ وهو يقفُ في حضرة تلك الروح العظيمة، فشرح لهُ "فيرجيليو" أنه لن يتمكنَ من عبور هذا الجبل طالمَا أن تلك الوحوش تقفُ له بالمرصاد..

إنها خطايا الإنسان تتمثلُ لنا لتصُدّنا عن إكمال مسيرنا، ولم تظهر بعدُ تلك القوةُ التي ستردعُ هذه الوحوش.. قال "فيرجيليو" لـ"دانتي" أنه إذا أراد الخروجَ من الغابة المظلمة، فعليه أن يسلك طريقًا آخر، طريقًا أكثرَ صعوبة، وأنه سيكونُ مرشدَهُ خلال هذه الرحلة.. حيثُ سيمرُّون بأرواح المعذبينَ في الجحيم، وسيستمعُون لصرخاتهم قبل أن يعبروا المُطهر حتى يشهدوا عذابَ النفوسِ التائبة التي تنتظرُ اليومَ الذي تنضمُ



فيه إلى زمرةِ السعداء.. بعد هذا سيتركه "فيرجيليو" حتى يكمِل رحلتهُ إلى الفردوس، ليصبِح في عنايةِ الخالق، والمُدبر لأمرِ الكون.

وافق "دانتي" وألحَّ على "فيرجيليو" بأنْ يُرشده إلى طريق هذا المُدبرِ العظيم، فبدأ الإثنانِ رحلتهما، وكانت محطتهما الأولَى هي بوابة الجحيم!

مشهد عن الملحمة الشعريَّة للشاعرِ الإيطالي: "دانتي أليغييري"

"الكوميديا الإلهية -الجحيم- الأنشودة الأولى"



استهلال

إن المجهولَ يتحدَّث، فأنصتوا..

هذا الكتابُ الذي بين يديكَ هو نتاجُ رحلة طويلة مررتُ بها بصحبة أبطالِ رواياتي تلك.. من يعرفني مسبقًا، يعلمُ أنني كَاتبٌ مشهور، لديَّ العديدُ من الكتب التي تغزو الأسواق، وفي رصيدي ثلاثةُ أفلامٍ قمتُ بكتابةِ النصِّ السينمائيِّ الخاصِّ بها.. أما من لا يعرفني، فسيتعرفُ عليَّ من خلالِ صفحاتِ هذه الحكاية..

رزمةُ الأوراقِ المطبوعةُ الآنَ بين يديك، اعتبرها العملَ الأهمَّ والأعظمَ في تاريخي، فهذه هيَ المرةُ الأولى التي ألتقي فيها بأبطال حكايتي وجهًا لوجه لأتحدثَ معهم، ويحكوا لي عن حياتهم وأخبارِهم، بل إنني قد عشتُ بعض فصولِ هذه الحكايةِ برفقتهم..

أعتقد أنني أكثرُ الكتاب حظًا.. كُتب هذا العملُ بالكامل بين جدران زنزانتي الأربعة، وعشت معاناةً كبيرةً أثناء تدوين الحَكايات التي بداخله، لذلك أعتبرُ هذه الروايةَ هي رحلتي عبرَ حلقات الجحيمِ التسع خروجًا إلى المُطهر..

دعني إذًا في نهايةِ كلامي أن أدعوكَ إلى رحلة في جحيمي ذاك، وسأكونُ مرشدك داخل فصولِ حكايتي كما كانَ "فيرجيليو" مرشدًا لـ"دانتي" داخلَ أزقةِ الجحيم..

هل تثقُ بي؟..

إذًا هاتِ يدكَ ولنقلب الصفحةَ معًا..



الحلقة الأولى

(الشراهة)

الشراهة ليست فقط في الطعام، بل من الممكن أن تكون في الجنس، المخدرات، المال، متاع الحياة..

الشراهة هي الخطيئة التي تؤدي لألف خطيئة..

١٩٦٥م

الساعةُ العاشرةُ مساءً

يمشي بهدوءٍ وتأني، الإرهاقُ يغلبُ على ملامح وجهه، رجلٌ في الأربعينَ من عمره خطَّ الزمنُ أثرهُ على وجهه، كانَ يمشي بجوارِ فيلا "عزام الدلجموني" قبل أن يسمعَ صوتَ بكاء!

أرهفَ السمعَ حتى يعرف مصدرَ البكاء، فوجدَ الصوتَ يأتي من بين الأشجار المحيطة بسور الفيلا، اقتربَ أكثر من مصدر الصوتِ حتى وصل، كان مصدرُ الصوتِ طفلٌ صغيرٌ يبدو حديثَ الولادة، ملفوفا بقطعة قماش أبيض، طفل لا يكف عن الصراخ، وكأنه يشكو للسماءِ قسوةَ الحياة.

بمجردِ أن رأى "برعي" الطفل، حملهُ عن الأرضِ مسرعًا وهو يُتمتِم:

- لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. إيه اللي رماك هنا يابني، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نظرَ إلى الشارع من حوله، لم يلمَح أي أحد أو أيّة حركة، حملَ الطفلَ على كتفهِ وراحَ يربِّتُ على ظهره، ثمَّ تابعَ المشي.

*****

"عزامِ بيه الدلجموني".. رجلٌ ثريٌّ من أصحاب النفوذِ يعيشُ حياةً هادئة في فيلا منعزلة على أطراف القاهرة بمنطقة المرج برفقة أسرته الصغيرة، المكونة من زوجته "فداء" وابنتَيهما التوأمَ حديثَتي الولادة "نورا" و"ياسمين".

كان رجلاً طيبًا يحبُّ أسرته ويعاملُ الخدَم عنده بلين ومودة، من بين العاملينَ في الفيلا طباخٌ كسرَ حاجزَ الأربعينَ من عمرِه يُدعى "بُرعي"،



رجلٌ كرَّس حياتهُ لخدمة "عزام" وأسرته بعد أن فقدَ زوجتهُ أثناءَ ولادتها.. وللأسفِ لم ينجُ الطفل أيضًا من عمليةِ الولادة تلك، فعاشَ وحيدًا في حجرةٍ صغيرةٍ بالحديقةِ الخلفيةِ لفيلا "عزام" بيه.. كانت حياةُ "برعي" مملّةٌ وذاتَ رِتم ثابت، حتى ذلكَ اليومُ الذي دخلَ فيه فيلا"عزام" بيه حاملا طفلاً صَغيرًا في لفة قماش بيضاء، ووقفَ أمامَ "عزامِ" بيه وزوجته "فداء" يرجوهُما أنَ يسمحًا له بأن يُربِّي الطفل داخل أسوارِ الفيلا.

"برعي":

- يا عزام بيه أرجوك، ده طفل غلبان ملهوش ذنب غير إنه جه الدنيا دي.. أنا مبقاش ليا حد في الدنيا بعد ما مراتي ماتت، سبني أربيه، عسى إنه ينفعني أو يبقالي ولد.

زفرَ "عزام بيه" وتكلّم بهدوءٍ قائلاً:

- يا برعي إنت عارف إن كلِ اعتراضي بس على إن ده طفل مانعرفش عنه حاجة، مش يمكن مثلاً يكون مريض بمرض معدي، أنا شايف إنه من الأفضل يروح دار أيتام.

تدخلَت "فداء" هانم في حوارِهما وهي توجهُ كلماتِها إلى "عزام" قائلة:

- ياعزام ماتنشفش دماغك، إنت مش شايف برعي متعلق بيه إزاي؟ (تشيرُ إلى "برعي" ثم تستطرد) سيبه يربيه، زي ما قالك يمكن ينفعه أو يبقى ابن ليه يسنده لما يكبر، ولما يتربى في كنفِنا هيبقى مخلص لينا.

يزفرُ "عزام" مرةً أُخرى ويقول مستسلمًا:

- خلاص يا ستي، اللي يريحك ويريح عم برعي حبيبنا، ده مهما كان برعي ده زي أخويا.

يغزو الفرح وجه "برعي" ويهلل:

- ربنا يخليك لينا يا سعادة البيه.

يبتسم "عزام" وتغرق "فداء" في الضحكِ وهي تنظرُ لـ"برعي":

- طب هو إنت سميته إيه يا برعي؟

يرد "برعي":

- والله يا ست هانم مفكرتش لسه.

تنظرُ "فداء" للطفل بإمعانٍ وتقولُ مازحةً:

- إنت مش ملاحظ يا برعي إنه زايد شوية عن الطبيعي؟

"برعي" (ضاحكًا):

- ده رزق يا ست هانم لمّا يبقى زايد، أحسن ما يبقى ناقص.

لحظاتٌ من الصمت، وعلاماتُ تفكيرٍ وتأملٍ على وجه "برعي"، الذي هلّل فجأةً قائلاً:

- زايد.. هاسميه زايد يا ست هانم.

تنفجرُ "فداء" هانم في الضحكِ وتقول:

- طب مبروك عليك زايد يابو زايد.

*****

كان "عبد الغني" هو الخادمُ المخلصُ لأسرة "عزام الدلجموني"، كان له ذقنٌ أشعثٌ قصير، وأنفه كبيرةٌ نسبيًا بالإضافة إلى شامة صغيرةٍ تزينُ جبهته، يقومُ بأغلب مهمات المنزِل، تجمعه صداقةٌ لا بأس بها مع "برعي"، ويعتبرهما "عزام بيه" مثل إخوته، فهما "بلدياته" كما يُقال، أصولهم جميعًا من "سوهاج"، كانت العلاقاتُ بين جميعِ سكان الفيلا



مستقرةً إلى أن آتى ذلك اليوم.. حيثِ رأى "عبد الغني" الفيلا كلَّه يحترق ويتحول إلى كتلة رماد، ووسط هذا الحريق رأى طفلاً رضيعًا عاريًا يجلس على الأرضِ ويضحك بمُجون، بينما يمسك في يده علبة كبريت ويقوم بإخراجِ أعواد الكبريت منها ثم يشرعُ في إشعالها ليَحرقَ المنزلَ بها.

استيقظَ "عبدُ الغني" من هذا الكابوس يومها ليصطدمَ بقدوم "زايد"، الطفلُ اللقيطُ الذي قرر "برعي" أنَ يرعاهُ تحت سقف فيلا "عزام الدلجموني".. منذ اليوم الأول أبدى "عبد الغني" رفضهُ للأمر، كان يرى أن هذا الطفلَ ليس سوى "ابن حرام"، وأنه ليسَ من المفترضِ به التواجد هنا، كان دائمًا ما يكررُ تلكَ الكلماتِ أمامَ الفتى الرضيع:

- إنت لعنة.. إنت ابن حرام..

ودائمًا ما كان الصغيرُ "زايد" يبكي إثرَ تلك الكلمات التي يصرخُ بها "عبد الغني" في وجهه، رغمَ أن الصبي لم يكن يفهمُ معناها.

بلغ "زايد" من العمر عامان، وأصبح قادرًا على الكلام ، وكثيرًا ما كانَ يشتكي من معاملة "عم عبد الغني" له، وكثيرًا ما تساءل عن الشيءِ السيئ الذي فعلهُ ليَجعل منهُ شخصًا مكروهًا إلى هذا الحد، وبالطبعِ كان لكل هذا آثرٌ كبيرٌ على علاقةِ "برعي" بـ"عبد الغني".

في أحد المراتِ صرخَ "عبد الغني" في وجه الصغير "زايد" بشدة مما تسببَ في أنهارَ من البكاءِ تجري على وجه "زايد" أمام "برعي"، الَذي سارعَ بالشكوىَ إلى "عزام بيه" مما جعل الاَثنين "عبد الغني" و"برعي" يمثُلان أمامه، يحني "برعي" رأسهُ احترمًا ويقف "عبد الغني" كمجرمِ في قفصِ الاتهام.

ينظرُ "عزام" إلى "عبد الغني":



- صحيح الكلام إلى عرفته من برعي عن معاملتك لزايد يا عبد الغني.

يحني "عبد الغني" رأسهُ ناظرًا إلى الأرض، قائلاً:

- حصل يا بيه.

- طب هو الولد ذنبه إيه علشان تقوله كده وتجرحه! كلامك ده ممكن يحزّ في نفسه ويخليه يكرهك ويكره كل الناس، يا ريت يا عبد الغني ماسمعش منك كلام زي ده تاني، إنت راجل طيب.

- حاضر يا سعادة البيه.

يوجه "عزام" كلامه هذه المرة لـ"برعي":

- معلش بقى يا برعي إنت وعبد الغني اخوات.

يردُّ "برعي" متبسمًا:

- طبعًا يا عزام بيه، ربنا يعلم عبد الغني زي أخويا والله.

- خلاص يبقى صافي يا لبن.

- حليب وقشطة وعسل كمان.

*****

أصبحَ "زايد" في الخامسةِ من العمر، بدينٌ وشقيٌّ على الرغم من وزنه الزائدُ، كان دائمًا ما يجلسُ ليلهو بجوارِ "برعي" فِي المطبَخ، بينماَ ينهمكُ "برعي" فيِ الطبخ كالمعتاد، وفَي أحد تلك المرات وبينما كان "عبد الغني" يُقطع اللحمَ النيىء، سمعَ صوتَ "فداء هانمِ" تنادي عليه من الخارج، فأسرعَ إلى خارجِ المطبَخِ ليلبيَ نداءها، وتركَ "زايد" وحيدًا داخلَ المطبخ.

ما هو أسوأُ شيءٍ قد تتوقعهُ إذا تركتَ طفلاً وحيدًا مع سكينٍ وقطعًا



من اللحم النيئ، ربما أن يجرحَ الطفلُ نفسه، لكن ما رآهُ "برعي" عند عودته إلىَ المطبخ أثارَ ذعره، وجعلهُ يتجمدُ في مكانه لثوان.. كان "زايد" يقف على أحد كراسي المطبخ، ويمسك في يده قَطعةَ لحم نيئ قد قضمَ منها وراحَ يلوكُها في فمهِ بينما الدماءُ تسيل علَى يدهِ وفمِهِ.

قفزَ "برعي" من مكانه كمَن لدغتهُ أفعى، وضربَ "زايد" على يدهِ بقوةٍ لتسقُط قطعةُ اللحم منها، ففقدَ الصغيرُ توازنهُ ووقعَ على الأرض.

احمرَّ وجه الصغير لثوانٍ، ثم انفجرَ بالبكاء، لم يكُن "برعي" يعلمُ ما يجبُ عليه فعله عَندها، نسيَ الموقفَ كلهُ وحاول أن يهدأ من بكاءِ الصغير، إلَى أن هدأ قليلاً وراح ينظرُ إلى "زايد" بنظرة لوم.

"برعي " قائلاً:

– أنا آسف يا حبيبي، بس ماينفعش تعمل اللي إنت عملته ده، ماينفعش تاكل اللحمة نية.

تساءلَ الصغيرُ بكلِّ براءة:

– طب وليه مش ينفع؟

– علشان ااا.. علشان اا.. علشان غلط.. لازم نسويها على النار الأول علشان نقدر نأكلها.. علشان طعمها يبقى حلو..

– بس أنا كلتها وكان طعمها حلو.

عجزَ "برعي" عن الردِّ على كلامِ الطفل، فقد عجزَ عقلهُ عن مُجاراةِ هذا المنطقِ الطفوليِّ الشيطاني.

ومن خلال باب المطبخ، كان "عبد الغني" يراقب كل هذا، ليعطي نفسهُ مبررًا مقبولاً لعدمِ قبوله لهذا الشيطانِ الصغير.

*****



مرَّ العام تلوَ العام، وكبُر "زايد" ليصبحَ أكبرَ في السنِّ وأضخمَ في الحجم، واتسعَت دائرةُ شراهتهِ لتشملَ أشياءَ أخرى غيرَ الطعام، كالخمرِ والمخدرات!

عشرونَ عامًا مرُّوا على ذلكَ اليوم الذي وجدَ فيه "برعي" "زايد" بجوار سور الفيلا، وخلالِ تلكَ الأعوام، تربَّى "زايدُ" داخلَ أسوار الفيلاَ والتزَمَ بقوانينه، لم يَكُن يسألُ كثيرًا، رغمَ أن هناكَ الكثيرَ من الأمورِ التي لم يكن يفهمها، على سبيلِ المثال، لماذا ليسَ من حقِّ أيِّ شخصٍ الدخولَ إلى البدروم؟! لماذا هَناكَ الكَثيرُ من الغرفِ في الفيلا ممنوعٌ على أي أحدِ الدخول إليها؟!

استمرتِ الحياةُ في الفيلا هادئة، ليسَ فيها أيُّ جديد سوى أن ساكِنيها يزيدُونَ في السن، إلى أن حدثَ ذلكَ الحادثُ الجللَ.

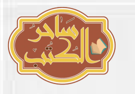
*****

١٩٨٦م

انتشرتِ الأضواءُ ذلك اليوم في كلِّ شبر من الفيلا، وازدحمَ الفيلا بالناسِ الذين جاءوا من كلِ حَدب وصوب لتهنئة "عزام بيه الدلجموني" بمولودِه الجديد! الفرحةُ كانت تَغمرُ الجَميع، الوجوهُ فرحةٌ ومستبشرةٌ بقدوم الولدِ الذي طال انتظاره.

كان "عَزام بيه" واقفًا وسطَ المهنئينَ وبجواره زوجتهُ "فداء" تحملُ بين يديها المولودَ الجديد، وبجوارهما ابنتيهما اللتين أصبحتا عروسَين ناضجتين، راح "عزام" يتبادل الحَديثَ مع السيدِ "غريب" تاجرُ القماشِ المشهورِ الذي هنأهُ بابتسامةٍ لا نفاق فيها:

- مبروك يا عزام بيه، أخيرًا الولد اللي كنت بتحلم بيه.



"عزام" يردُّ مبتسمًا:

- حقيقي يا غريب بيه الروح ردّت في الواحد تاني، مش قادر أصدق نفسي والله، أنا قلت خلاص الواحد كبر وداخل في الستين أهو وراحت عليه.

- راحت عليه إيه بس، ده إنت وفداء هانم شكلكم وكأنكم لسه عرسان جداد.

"عزام" (يضحَك):

- هاهاهاه.. طول عمرك مجامل كده يا غريب من أيام ما كنا لسه عيال.

"غريب":

- يا راجل دي الحقيقة مش مجاملات ولا حاجة.. صحيح، انتوا قررتوا تسموه إيه؟

دخَلت "فداء" في الحديثِ لترد:

- ناجي.. هنسميه ناجي، على اسم أخويا ناجي اللي مات في حرب ٧٣.

*****

في تلكَ الأثناء داخلَ مطبخ فيلا "عزام بيه"، يدخُل "برعي" إلى المطبخ ليجد "زايد" الَشاب العشرَيني جالسًا بالداخل، واضعًا يده على كرشَهِ الضخم ويقومُ بالتهامُ كل أصنافِ الطعامِ التي أمامه.

"برعيَ" (بنفاذِ صبر):

- يابني خلي عندك دم وأخرج ساعدني أنا وعمك عبد الغني محتاسين

بره مع الناس.

يتكلمُ "زايد" وفمهُ مملوءٌ بالأكل:

- يعني إنت يطلع عينك في الأكل ده طول اليوم وفي الآخر ابنك مايدقش منه.

- خلي عندك دم يا جبلة، دي فرحة عزام بيه الكبيرة، أخرج كده هز كرشك أو اعمل أي حركة بين له إنك فرحان معانا.

- طيب طيب.

يقولُها "زايد" بعدمِ اكتراثٍ ثم يستمرُّ في الأكل.

*****

داخلَ غرفة صغيرة تشبهُ (العشَّة) أو (الغُرزة)، يجتمعُ الشبابُ الثلاثةُ "زايد" و"شحات" و"عصام" ليتبادلوا الحديثَ وشربَ الحشيش والخمر، كان المكانُ يخصُّ رجلاً خمسينيًا يدعى "أبو الدهب"، يجلسُ برفقتهم ويجمعُ بينهم في الشرِّ دائمًا، كل واحدٍ فيهم له حكايةٌ تختلف عن الآخر.

"شحات".. ١٨ عامًا، ليسَ له مهنةٌ ثابتة، هو فقط يُقلب رزقهُ كما يُقال، وعى على الدنيا ليجدَ أن أمهُ تدورُ به على أبواب المساجد والجوامع لتشحذ به المال، اختارَت لهُ اسم "شحات"، وكأنها كانت تختارُ له الاسمَ والمهنةَ معًا، وبالرغم من ذلك فهو يتمتعُ ببشرة بيضاء، وملامحَ أرستقراطية، وشعرًا أسودًا كثيفًا مع أنفٍ معقوف وقامةٍ فارعة، حياتهُ تلك جعلت منه شخصيةً ساخرةً من حياته، ومن الناس ومن كل شيء، فاعتقدَ البعضُ فيه صفةَ الغرور، ومع الوقت تأقلمَ "رائد" مع هذا الاعتقاد، حتى أصبحَ الغرورُ صفةً متأصلة فيهِ بالفعل.

"عصام"، أو كما هو معروفٌ عنه "عبقرينو".. ٢٠ عامًا، شابٌ متعلم، ينتمي لأسرةٍ متوسطةِ الحال، ملامحهُ تنُم عن ذكاءٍ فطري، تغطيها نظارةٌ ذاتَ إطارٍ مستدير بالرغم من ذلك، اختارَ طريقَ الشيطانِ، محترفٌ في مجالِ الإلكترونيات وَالأجهزة الكهربائية، والذي لم يكن مجالاً مطروقًا بكثرةٍ وقتها، ويكسبُ رزقهُ من خلال عمله في صيانةِ الأجهزةِ المنزلية.

"أبو الدهب".. ٥٥ عامًا، صاحبُ الغرفة أو "الغُرزة" التي يجتمعُون فيها جميعًا أو كما يحب "عصام" أن يسمِّيها "بورتو الخرابة"، ملامحٌ بدأت تغزوها التجاعيد، وأنفٌ كبيرٌ بعضَ الشيءِ وبعضَ الشعر على جوانبِ رأسه الأصلع، رغمَ فارق السنِّ بينهُ وبين الشباب الثلاثة، إلا أنه يعتبرُهُم أقربَ أصدقاءِ السوءِ له.. الغريبُ في "أبو الدهَب" أنه ربُّ أسرة ويعول، لديه زوجةٌ وولدَين شابَّين في العشرينات من عمرهم، أكبرهُم "محمد"، وأصغرهُم "كَمال"، ورغمَ الطريق المُظلم الذي سلكهُ طوالَ حياته، إلا أنه حاولَ دائمًا أن يبعدَ ولداهُ عن هذهِ الطَريق.

شلَّةُ شباب.. منهُم من فُتحَت الدنيا أمامهُ سكةَ الصلاح واختارَ سكةَ الضلال.. ومنهم من فُتحت الدنيا أمامهُ سكةَ الضلالِ فمشى فيها، وتكاسلَ عنِ البحثِ عن الصلاح.

كانَ أول من تحدثَ أثناءَ تلك الجلسةِ هو "أبو الدهب" الذي وجهَ كلامهَ لـ"زايد":

- بقالك فترة ناسي اصحابك يا واطي.

"زايد":

- أبدًا والله يا عم أبو الدهب أنا بس أبويا بقى مكتفني اليومين دول بزيادة، البيت بتاعنا مابيخلصش من العزومات من ساعة ما المحروس

ابن عزام بيه شرف.

يقولُ "شحات" بينما يعبثُ في القداحةِ في يده:

- أهو عيل زي ده ماعملش أي حاجة في حياته لسه ومولود أهو وفي بقه معلقة دهب زي ما بيقولوا.

"عصام":

- نصيب وأرزاق مقسمها الرزاق.

"شحات" (ساخرًا):

- هاهاه.. طول عمرك مؤمن ياض يا عبقرينو.

"أبو الدهب":

- على رأيك يا عصام.. خلينا احنا للفقر والهم..، ولعوا يا شباب خلونا ننسى.

"عصام":

- ألا صحيح يا عم أبو الدهب.. كمال ومحمد عاملين ايه؟

"أبو الدهب":

- أهو يا عم مفيش جديد.. كمال عدى صافي السنة دي في الجامعة، ومحمد من ساعة ما ساب التعليم وهو من شغلانة للتانية.

يتوجهُون بنظرِهم ناحيةَ "زايد" الذي كانَ سارحًا بنظرهِ نحوَ الفراغ.

"أبو الدهب":

- مالوا ده؟ ساكت ليه؟

يضغطُ "شحات" على موقدِ الغازِ في يدهِ لترتفعَ النيرانُ الزرقاء:

- تلاقيه بيفكر هيتعشى إيه النهاردة.

ضحكَ الجميعُ عدا "زايد"، الذي راحت عشراتُ الأفكارِ تتصارعُ داخلَ عقله.

*****

١٩٨٧م

مرَّت الأيامُ رويدًا رويدًا.. وتمكنَ المرضُ من جسد "برعي" الذي حاول طوال السنين الماضية أن يُخفي وهنهُ ومرضهُ عن الجميع، أصبحَ أغلبَ الأوقاتَ راقدًا في سريره بالغرفة التي يقطن بها مع "زايد" في الحديقة الخلفيةَ للفيلا، كان "زايد" يحاولَ أن يعوِّضَ عن مكانَ أبيه في مطبخ الفيلا، رغمَ أن "زايد" يعرفُ كيف يستمتعُ بالطعام لكنهَ لم يكن يومًا طباخٌ جيدٌ كـ"برعي"، لم تكن تلكَ هي مشكلةُ "زايد" الوحيدة، هناك أيضًا مشكلةُ علامات الإدمان التي صارَت واضحةً على وجهه، لذلك كان يتجنبُ التواجدَ بكثرة أمام أي أحد من سكانَ الفيلا.. ظلَّ "زايد" شهورًا على هذه الحال حتى استيقظَ في يومٍ من الأيام على صوتِ "برعي" يناديهِ بوهن:

- زايد.. زاااايد.. يابني.

يستيقظُ "زايد" ويقومُ من فوق فرشتهِ على الأرض:

- خير يا والدي؟

- ميّه..

يقومُ "زايد" ويناولُ "برعي" كوبَ الماء، فيشربُ "برعي" الماءَ بمساعدة "زايد"

حتى يرتوي ويرخي رأسهُ ثم يُشير لـ"زايد" أن يقترِب، فيقتربُ "زايد"

ويُرهف السمع.

"برعي" (بأنفاسٍ متقطِّعة):

- في حاجة يابني لازم أقولهالك، وخايف أموت قبل ما أقولهالك.

"زايد":

- موت إيه بس، دول شوية برد وهيعدوا وتقوم بالسلامة.

"برعي":

- اسمع بس يابني.. في سرّ في البيت ده محدش تقريبًا يعرفه، السرّ ده هو اللي هيضمن لي إنك مش هتترمي برّه البيت ده بعد ما أنا أموت، السرّ ده هيحميك.

يسكُت "برعي" قليلاً ثم يبتلعُ ريقهُ ويقول:

- عزام بيه بيتاجر في السلاح.

الدهشةُ وعدمُ الاستيعاب يرسمون لوحةً عنوانها الصدمةُ على وجهِ "زايد" الذي لم يمهِلهُ "بَرعي" وقتًا قبل أن يُكمل:

- أنا كنت دايمًا بشوف الصفقات اللي بتتنفذ في الفيلا هنا، وبسمعه أحيانًا وهو بيتكلم مع التجار التانيين، وغالبًا يابني هو عارف إني أعرف كل ده، بس عارف إني أجبن من إني أتكلم، فسايبني أعيش.

يُطرق "زايد" رأسهُ في الأرضِ قليلاً قبلَ أن يتكلم:

- الكلام ده غريب أوي يا والدي.

"برعي":

- في حاجة كمان لازم تعرفها، من وانت صغير في أماكن في الفيلا مش

مسموحلك تدخلها، ولا أي حد مسموحله يدخلها، في أسرار كتير في الفيلا الفخم ده مايعرفهاش غير عزام بيه بس، ويمكن أنا محظوظ إني أعرف شوية منها.

"زايد" متسائلاً:

- أسرار زي ايه؟

"برعي":

- زي البدروم اللي ممنوع على حد يدخله، ده المدخل للخزنة اللي فيها فلوس عزام بيه من تجارة السلاح، ده غير طبعًا إن البدروم ده في الأصل نفق بيوصل لمكان بره الفيلا بيساعد عزام بيه في عملياته بعيدًا عن اللبش.. كح كح..

يسعُل "برعي" بشدةٍ ثم يتابعِ:

- يمكن.. يمكن ده يفسر لك برضو ليه مكان الفيلا بعيد ومُنعزل عن الناس، يابني أنا خلاص كلها أيام ويمكن ساعات وأموت، ولازم إنت تاخد مكاني، وتعيش هنا في الفيلا إنت وولادك اللي كان نفسي أعيش وأشيلهم.

يرقُّ قلبُ "زايد" لكلماتِ الرجلِ الذي رباه، وتتسللُ دمعةٌ من بينِ جفنيه:

- لا يابا.. إن شاء الله هتخف وتبقى بخير.

*****

ماتَ "برعي".. كان الأمرُ بمثابةِ الصاعقةِ التي هبت على كلِّ من يسكنون في الفيلا، حتى "عبد الغَني"، قد نسيَ كل الخلافات التي كانت بينهُ وبين "برعي"، وراح يبكي على رفيقهِ الذي سرقه المَرض



ليسلمهُ لملك الموت.. أعلنَ "عزام" حالةَ الحداد في الفيلا كله، وارتدى الجميعُ اللونَ الأسود، أصبحَ الصمتُ عفريتًا يتلبسُ جميعَ سكان الفيلا.. وزادت جرعاتُ المخدرات التي كان يتعاطاها "زايد"، إلى أن استدعى "عزام بيه" "زايد" بعدَ مرور أسبوعٍ على موتِ "برعي"، يقتربُ "زايد" من "عزام" الجالسِ على الكرسيِّ ويقف بجوارهِ "عبد الغني"..

- حضرتك كنت محتاجني.

سألَ "زايد"، فقال "عزام":

- آه.. بص يا زايد.. خلاص عدى على موت برعي أسبوع، كلنا زعلانين، كنا متعودين على وجوده وطبته وأكله الحلو، بس خلاص يابني الحياة لازم تستمر، وانت أحوالك مش عجباني، لازم يابني تفوق كده وتكمل، الحياة لسه قدامك طويلة، وانت دلوقتي بقيت بدل أبوك برعي.

"زايد":

- حاضر يا عزام بيه.. إن شاء الله.. حضرتك برضو اللي مربيني وخيرك عليا، ولازم أكون عند حسن ظنك.

"عزام":

- طب تمام يا سيدي روح خد أجازة يومين قضيهم في أي حتة إن شاء الله في السرير، علشان ترجع بقى للمطبخ تاني، تمام؟

"برعي":

- تمام سعادتك.

*****

- يعني إنت كل ده عايش ونايم فوق بيضة دهب وماتعرفش.

كان هذا هو تعليقُ "عصام" على ما حكاهُ "زايد" لهُم عن سرِّ فيلاِ الدلجموني".. تناولَ "زايد" قضمةً من سندوتشاتِ الكبدِ أمامه، وقال وفمهُ مملوءٌ بالطعام:

- أنا زيي زيكم مكنتش أعرف عن الكلام ده حاجة، بس من ساعة ما عرفت وأنا الفضول هياكلني أدخل المكان ده.

"شحات" (ضاحكًا):

- أهو إنت كل كلامك كده دايمًا عن الأكل، يا عم ارحمنا شوية، مش كفاية مستحملينك إنت وسندوتشات الكبدة بتاعتك اللي مبتخلصش دي.

يصيح "أبو الدهب" فيهِم جميعًا:

- بطلوا هبل شوية خلوني أفكر.

قال "شحات" بينما هوَ يعبثُ في موقدِ الغازِ بيدهِ كالعادة:

- تفكر في إيه يا عم المفكر؟

يسكُت "أبو الدهب" لثوانٍ قبلَ أن يُفجِّر الفكرة:

- احنا ليه مانسرقش الكنز ده؟

توقف "زايد" عن الأكل، وفُتحت الأفواهُ معبرةً عن دهشةِ أصحابها واتسَعتِ العيون، ولم تستطِع العقول تفسيرَ ما سمِعته الآذانَ أو استيعابَه.

كسرَ "زايد" ثلوجَ الصمتِ قائلاً:

- مساء الفل.. إنت الحشيش ضربلك دماغك خالص.

"أبو الدهب":

- ولا ضربلي دماغي ولا نيلة، إنت اللي أهبل وضُغف، ومش عارف قيمة الكنز اللي تحت إيديك، احنا ممكن يلا نبقى زي عزام باشا بتاعك ده وأحسن منه كمان لو اتفقنا.

"شحات":

- وهو الموضوع سهل كده، مكنش حد غُلب.

"أبو الدهب":

- لا سهل.. الراجل ده مش مأمن فيلاه غير أربعة بس، وعايش في حتة بعيدة عن الناس وفي هدوء، يعني لو بيتهم اتحرق محدش هيحس بحاجة غير بعد وقت، الراجل ده عايش حياة مسالمة بعيد عن العيون علشان يبعد أي شك فيه، وسمعته كويسة في كل حتة.

"زايد" (مقاطعًا):

- بس استنوا كده على رزقكم، مالكم خلاص بتتكلموا وكإنه أمر واقع ورايحين دلوقتي نسرق الراجل؟

"أبو الدهب":

- بص يا زايد احنا هندرس كده الموضوع وعصام عبقرينو هيساعدنا وبعد كده نحط خطة نضيفة، ونأخد اللي فيه النصيب ويتقسم علينا احنا الأربعة، وساعتها هنعيش ملوك.. مش أحسن ما إنت عايش وسطهم بيمثلوا عليك وش العطف والمسكنة وكلهم شايفينك ابن حرام وإنت عارف كده كويس.. خلونا نطلع بقى من الخرابة اللي احنا قاعدين فيها دي، والشحات يبقى غني زي ما كان نفسه، و"عصام" يعمل شركة الأجهزة الكهربائية والبرمجة اللي كان نفسه فيها وأمه ترضى عليه، وأنا أبقى كمال أبو الدهب بيه، اسم على مُسمى وبلعب بالدهب لعب.



الجميعُ يراقبُ كلام "أبو الدهب" سارِحين في أحلامهم.

"أبو الدهب":

- قلت إيه يا زايد؟ احنا من غيرك مش هنعرف ندخل جوه ولا نعمل حاجة.

"زايد" (بتردد):

- طب وأهل البيت؟

- لازم يموتوا.

- بس...

"أبو الدهب" (مقاطعًا(:

- بس إيه ما تبطل هبل يلا.. إنت فاكر حد فيهم باقي عليك ولا إنت تفرق معاهم في حاجة، لو عرفوا بس إنك قاعد معانا دلوقتي بتشرب هتلاقي نفسك بعديها بتلت دقايق مرمي على الرصيف.

صمَت "زايد" لثوانٍ ثم قال:

- بس أنا عندي شرط.

بشَّت الوجوهُ وفرِحت لسماعِ بوادرِ المُوافقةِ من "زايد"، فسارعَ "عبقرينو" في الشروط:

- أُشرط زي مانت عايز.

"زايد":

- الغنيمة دي مش هتتوزع علينا بالتساوي، أنا هاخد النُص وانتوا النص.

"أبو الدهب":



- نعم يا روح أمك، ده على أساس إيه إن شاء الله، عيل عِلق زيك ياخد قدنا احنا التلاتة؟

"زايد" يفردُ ظهرهُ فوقَ الكرسي، ويضعُ قدمًا فوق قدم، (قائلاً بتكبر):

- على أساس إن العيل ده هو اللي في إيده البيضة الدهب دلوقتي وممكن أجيب أي عيلين من الشارع يساعدوني وأرميلهم ملاليم، وعلى أساس إن من غيري مفيش خطة ومفيش حد هيقدر يدخل البيت، فمن الآخر، موافقين ولا لأ؟

"عصام" (مسرعًا):

- موافقين.. أنا وشحات موافقين.. وإنت مش موافق معانا ولا إيه يا أبو الدهب؟

جزَّ "أبو الدهب" على أسنانهِ حتى كادَت أن تنكسِر، ثم قالَ على مضض:

- موافق.

*****

كانَ "زايد" واقفًا في المطبخ منهمكًا في تقطيع الخضار، وفجأةً تشدهُ إلى الواقع قبضةٌ صغيرةٌ تمسكُ بسرواله، ينتبهُ للأمر فينظرَ ليجد الطفلَ الصغيرَ "ناجي" البالغ منَ العمر عامًا، يُمسك ببنطالهِ ويضحك، يبتسمُ "زايد" في وجه الطفلَ كردٍّ فعلَ فطريٍّ لابتسامةِ الطفلِ البريئة، فيقتحمُ "عبد الغني" المطبخَ ويسارعُ بحمل الطفل من تحتِ قدمِ "زايد"، تبادلَ الاثنين ("زايد" و"عبد الغني") نظراتِ العداوة.

- برعي كان زي أخويا، وكنت مستحمل وجودك هنا علشانه وعلشان عزام بيه، بس دلوقتي أقدر أقولك إني مش بثق فيك، ولا هثق فيك لحد



ما أموت، وهفضل أفكرك دايمًا إنك مهما رُحت أو جيت هتفضل ابن حرام.

ظلَّ "زايد" صامتًا ولم يتكلم، فحملَ "عبد الغني" الطفلَ "ناجي" وخرجَ بِهِ من المطبخ.

*****

ليلةُ اليومِ الأولِ من عيدِ الفطر

يقفُ "زايد" داخلَ المطبخ، ويقوم بتحضيرِ المكوناتِ التي سيطبخُ بها، يضعُ الأكلَ على النار، ثم يُخرجُ من جيبهِ كيسًا فيه مسحوق مجهول الماهية، ويبدأ في وضعِ نسبٍ محسوبةٍ منه على الأكلِ وهو يبتسِم.

*****

خرجَ "زايد" نحوَ بوابةِ الفيلا حاملاً صينيةً تزيَّنت بأربعةِ أكواب من الشاي، وناولهما للحرسِ الواقفينَ على البوابة بينما يبتسمُ في وجوههم بودّ، شكرهُ الحرسُ ممتنينَ له، فتركهُم "زايد" وعادَ إلى الفيلا ليحضر كوبَ شاي مخصوص لـ"عم عبد الغني"، وذهبَ ليُناولهُ إياه، فنظَرَ له "عبد الغني" بنظرةِ عدم ثقة كالمعتاد، أحسَّ "زايد" أن عيونَ "عبدِ الغني" تصرخ في وجههِ وتقولُ لهِ "نحنُ نعرف في ماذا تفكر"، تناول "عبد الغني" من يدِ "زايد"، والتفَّ ليرحلَ في صمت.

*****

وضعَ "زايد" أطباقَ الطعام أمام أفرادِ الأسرة "عزام" و"فداء" وابنتاهُما، كانَ التوترُ باديًا عليه، ويداهُ ترتعشُ قليلاً بينما هو يرصُّ الطعام.

نظرَ "عزام" إلى "زايد" وقال:

- إنت أكلت يا زايد ولا لسه؟



- كلت ياباشا، المهم إن سيادتك تاكل إنت والأسرة الكريمة، بالهنا والشفا.

قالها "زايد" في توترٍ ثم لفَ مغادرًا نحوَ المطبخ.

*****

يخرجُ "زايد" إلى حديقة الفيلا ليجدَ الحراسَ غارقينَ في النوم بجوارِ بوابةِ الفيلا بعد أن أنهوا أكوابَ الشاي، اطمأنَّ إلى أن المنومَ الذي وضَعهُ في الشاي فعَّال، ففتحَ بابَ حديقة الفيلا وخرجَ ليشير إلى السيارةِ الواقفة بعيدًا بأنَ تقترب، تتحركُ السيارةَ إلى أن تصل إلى البوابة، ينزل منها "أبو الدهب" و"عصام" وبحوذتِهم ثلاثةُ أجولةٍ قماشية، بينما يبقى "شحات" بداخلها.

"أبو الدهب" (موجهًا حديثهُ لـ"زايد"):

- كل تفاصيل الاتفاق تمام؟

"زايد":

- أكيد تمام، ربع ساعة وتبقى كل حاجة تحت سيطرتنا.

"أبو الدهب":

- تمام أوي، شحات هيفضل هنا يراقب الدنيا وأنا وإنت وعصام هندخل نخلص الحوار، يلا بينا.

يوقِفُهم "زايد" بإشارةٍ من يده:

- لا استنوا شوية وأنا هشاور لكم تدخلوا بس الأول أتأكد من حاجة.

ثم يتركُهم ويدخلُ إلى الفيلا.

*****

دخلَ "زايد" ليكونَ شاهدًا على الفاجعة التي تسببَ فيها، "ياسمين" و"نورا" ابنتَي "عزام" تتلويّان على الأرضِ بجوارِ مائدة الطعام، وتصرخانِ من شدةِ الألم، بينما "عزام" مذعورٌ هو وزوجَتهُ "فداء" التي راحت تصرُخ:

- اتصل بإسعاف أو دكتور بسرعة.

"عزام" يمسكُ بسماعةِ الهاتفِ الأرضيِّ ويحركُ قرصهُ على أرقامِ الإسعاف، لكن بلا جدوى:

- بحاول أهو مفيش حرارة.

تشرعُ "فداء" في التألمِ والتلوِّي، ثم تسقطُ هي الأخرى بجوارِ ابنتيها!.. تتسعُ عينا "عزام" فيقفزُ نحو زوجتِهِ وبناتهِ مفزوعًا، لكن في تلكَ اللحظةِ تبدأ أفعى الألم في التحركِ داخل معدتهِ هو أيضًا ليسقط بجوارهن.

في تلكَ الأثناءِ يدخلُ "زايد" من بابِ الفيلا.. فيستنجدُ به "عزام" والألمُ يعتصره.

- زايد، بسرعة إعمل أي حاجة، أنا بموت أنا ومراتي وبناتي ومفيش حرارة في التلفون.

يتبسمُ "زايد" دونَ أن يهتزَّ من مكانه:

- مانا عارف إن مفيش حرارة، أصل أنا فصلتها.

تتسعُ عينا "عزام" عن آخرهما، ويشعرُ وكأن خنجرًا مسمومًا قد دخلَ إلى جسده، خنجر الخيانةَ..

- إنت؟! (ينطقُ بها "عزام" بصعوبةٍ وهو يشيرُ بإصبعهِ نحو "زايد")

- أنا ابن حرام يا باشا، كان لازم تتوقع مني أي حاجة.

- أرجوك يا زايد، أنا ف في عرضك، عيلتي بتمووت.. انقذهم وخد اللي إنت.. عايزه.

- إنت تاجر سلاح وعارف اللي فيها، النهاردة ليك، بكرة عليك (قالها "زايد" بهدوءٍ وهوَ يراقبُ موتهم البطيء)

فصرخَ "عزام" وسطَ استغرابهِ وألمه:

- خاين!

استجمعَ "عزام" ما تبقّى في جسده من طاقة وقفزَ نحوَ "زايد"، الذي دفعهُ بعيدًا بضربة واحدة، فوقعَ "عزَام" تحتَ قدمِ "زايد" وراحَ يسرق من الدنيا أنفاسهُ الأخيرة.

لحظات مرّت لم يُسمع فيها سوى صوتُ الألم والموت قبل أن تخمُد أنفاسُ الأسرةِ المسمومة إلى الأبد.. وقفَ "زايد" ينظرُ إلى الأربع جثث في صمت، قبلَ أنَ يفتحَ بابَ الفيلا ليشيرَ لمَن في الخارجِ أنَ يدخلوا، يدخُل "شحات" و"أبو الدهب".

ينظرون إلى الجثثِ على الأرض لثوانٍ، يصرخُ فيهِم "زايد":

- مفيش وقت للفرجة، يلا علشان نخلص اللي ورانا.

*****

يقفُ الثلاثةُ أمامَ بابِ البدروم..

فيُخرجُ "أبو الدهب" مسدسًا من جيب سرواله، ويشرعُ في إطلاقِ النار على أقفال الباب، فتنكسر، ليدفعَ "زايد" البابَ فينفتح بكل سهولة، ويلجُ ثلاثتُهم إلى الداخلَ، يهبطون درجات سُلم البدروم في هدوء، "عصام" في المقدمة ينيرُ البدرومَ بواسطة كشاف صغير، و"أبو الدهب" من خلفِه، ووراءهُما "زايد" الذي فضّل أنَ يكونَ في المؤخرةِ خوفًا من



غدرِ "أبو الدهب".

عندما وصلوا إلى الأسفل راحوا يبحثُون عن الكنز وسط المُهملاتِ المخزنةِ في الأسفل، حتى اصطدمَت الأعينُ بباب خَزانةٍ يصل محيطها تقريبًا إلَى المترين، تزيَّنت بقفلٍ إلكترونيٍّ ضخم.

- يا دين النبي، كل دي خزنة!! (صدرَت من "أبو الدهب" بشكلٍ تلقائيٍّ فقاطعهُ "زايد")

- استنى على رزقك يا عم، نعرف هنفتحها ازاي دي؟

"عصام عبقرينو":

- ده قفل إلكتروني، تكنولوجيا حديثة، كنت متوقع إن واحد زي عزام هيكون عنده زيها.

"أبو الدهب":

- أيوه وبعدين يعني، هيتفتح ازاي البتاع ده؟

"عصام":

- استنوا عليا بس.

يُخرج "عصام" بعضَ المعداتِ من حقيبةٍ بيده، ويبدأ في العملِ على فكِّ القفل، ينهمكُ "عصام" في العمل بينما "أبو الدهب" يقفُ متحفزًا بالخلف، دقيقتين من الصمتِ لم يقطعهما سوى صوتُ فتح القفل الإلكتروني، يجري "أبو الدهَب" نحوَ الخزانةِ ويزيحَ "عصامَ" ليفتَحَ البابَ ويصطدمَ بصرُه بسبائكِ الذهبِ والمجوهرات، بالإضافةِ إلى بعضِ رزم النقود، كان بريقٌ



الذهب عندها بمثابة الشمس التي أنارت أحلامهم، لمعت عيونُ الثلاثةِ وألجَمَت الدهشةُ ألسنتهم، لكنَّ صوت "أبو الذهب" أعادَ الجميعَ إلى أرضِ الواقع:

- يلا مستنيين إيه؟ خلونا نعبي كل اللي نقدر عليه ونطلع من هنا، وركزوا على سبايك الذهب.

يشرعُ الثلاثةُ في تعبئة الذهب.

*****

- أخرجوا بالذهب بسرعة عقبال ما أنا أخلص الباقي.

وجَّه "زايد" تعليماته لـ"عصام" و"أبو الذهب"، فخرجَ الاثنان نحو بابِ الفيلا، أسرعَ "زايدَ" نحو المطبخ وأتى بجالون من البنزين كان يخبئُه بالداخل، وانهمك لدقيقة في توزيع البنزين على أركانِ ساحة الفيلا، بعد أن انتهى توقفَ للحظاتٍ يتأمل الجثثَ الأربعة التي اعتصرَها السُم، شعرَ بالجثث تكلمُه، تذكرُهُ بكل يوم له تحتَ سقفِ هذا الفيلا، شعرَ أن الجثثَ ستقومُ من أماكنها في أيةَ لحظة لتنالَ منه، لكن ليضمَن أن الجثثَ لن تدبَّ فيها الحياةُ مرةً أخرى، أخرَجَ من جيبِه قداحة صغيرة، ضغطَ عليه، ثم رماهُ فوقَ البنزين، فراحَت زهورُ اللهبِ الأحمرِ تنتشرُ بسرعةٍ جنونية، لتأكلَ كل شيءٍ في الفيلا.

يخرجُ "زايد" من الفيلا بسرعة، بينما ألسنةُ اللهب تتصاعدُ إلى خارج نوافذ الفيلا، يلحقُ بـ"أبو الذهب" و"شحات" ويَساعدُهم على حمل الذهبَ قبلَ أن يمروا بالحراس المُستلقينَ على الأرض، يصلوا إلى السيارَة التي جلسَ بها "شحاتَ" ينتظرهم، ويضعوا بها الغنيمة، تتحرك السيارةُ راحلة، وقد تحولَ الفيلا من خلفهمِ إلى جحيمٍ مستعر.

*****

تجمعَ الأربعَة "زايد" و"أبو الدهب" و"عصام" و"شحات"، بعدَ أن انتهتِ المهمةُ في غرفةِ "أبو الدهب" التي تجمعُهم أو "بورتو الخرابة" كما يَطلقُون عليها.

كانَ "شحات" يجلسُ أمامَ الغنيمةِ اللامعةِ التي رُصَّت أمامهُ ويكرر:

- بقينا أغنياء، بقينا أغنياء.. أنا مش مصدق والله اللي أنا شايفه ده.

"زايد" (يضحك):

- أيوه خلاص، الشحات هيبقى معاه فلوس.

"شحات":

- شحات إيه.. من النهاردة اسمي هيتغير، هسمي نفسي رائد باشا.

"عصام" (متسائلاً):

- واشمعنا رائد يعني؟

"شحات":

- اسم ضابط كبير بحبه جدًا، كل أما يشوفني مايرتحش غير لما يعمل معايا الواجب ويحطني في الحبس.

ضحكَ الجميعُ عدى "أبو الدهب" الذي راحَ يستمعُ إلى ثرثرتِهم قبلَ أن يرمي كلامه:

- التقسيم هيبقى بالتساوي علينا احنا الأربعة.

يقومُ "زايد" من مقعدهِ ويُصدر صوتًا من أنفهِ يعبرُ به عنِ استنكارهِ:

- يعني إيه ولا مؤاخذة! في ما بينا اتفاق رجالة إني هنفذ معاكم العملية مقابل إني هاخد النص لوحدي، أنا السبب في كل حاجة وصاحب كل

حاجة.

"أبو الدهب":

- وأنا ماينفعنيش الكلام ده يا بابا، إنت مش أحسن مننا في حاجة علشان تاخد قدنا احنا التلاتة.

أظهرَ "زايد" وجههُ الغاضبَ وصَاح:

- هاخد النص يا أبو الدهب، واللي هيقرب من فلوسي، هاكله بسناني.

يلتقطُ "أبو الدهب" عصًا خشبيّة كانت ملقاةً على الأرض:

- يبقى هموتك يا زايد.

قالها "أبو الدهب" ثم اندفعَ بقوةٍ نحوَ "زايد"، فقامَ "شحات" و"عصام" ليمنعَاه، وقالَ "شحات" وهوَ يمسكُ بـ"أبو الدهب":

- احنا اتفقنا معاه يا صاحبي.

- ومافيش ما بينا خيانة، هننفذ الاتفاق زي ما قلنا في الأول ونكبر مع بعض. (قالها "عصام")

نقلَ "أبو الدهب" بصرهُ بينهُما في دهشة:

- يعني ده آخر كلامكم. الكل بقى عليا فجأة وأنا بقيت الوحش الكُخة، حلو ده!

أزاحَ أيديَهما عن جسدهِ واستَضطرد قائلاً:

- يبقى أنا هاخد نصيبى وأشغله بطرقتي، ومش عايز أشوف وش حد فيكم تاني.

*****



١٩٩٧م

مرّت عشرةُ أعوام..

انشقَّ "أبو الدهب" بالفعلِ عن "زايد" و"عصام" و"شحات" أو "رائد" كما أصبحَ اسمُه.. واختفى الجميعُ لفترةٍ حتى هدأتِ الأمور، ثم راحَ كل واحدٍ من الثلاثة يحققُ حلمهُ ويُضخم من نصيبه.. "عصام" افتتحَ شركةً لصيانةِ الأجهزةِ والبرمجيّات، بينما افتتحَ "زايد" المطعمَ تلوَ الأخر، وأصبحَ يملك واحدةً من أكبر سلاسل المطاعم في مصر.. أما "رائد" فكانَ يرمي لشيءٍ مختلف، كانَ يسعى للسلطة، فاشتغل في العملِ الحر، وتاجرَ في العديدِ من الأشياء إلى أن تمكنَ في وقتٍ وجيز منَ الإيقاع بابنة أحد رجالِ الداخليةِ الكبار، فأصبحَ يستندُ إلى سلطةٍ كبيرةٍ تحميَه، وأصبحَ يسعى الآنَ إلى دخول مجلسِ الشعب، ولا يخفى على أحد أن كلَّ هذه المشاريعُ والنشاطاتُ لم تكُن سوى غطاءٍ لنشاطهم الحقيقي.. تجارةُ السلاح!

ماتَ "أبو الدهب" منذُ شهور، وحضر "زايد" و"عصام" و"رائد" العزاءَ رغمَ الخلافاتِ بينهم.. استمرت بعدها الحياة وحلَّ محلهُ ولداه "كمال" و"محمد".. الصراعاتُ بين جميع الأطرافِ كانت هادئةً طوال تلك السنين، إلى أن أشعلَها "عصام".. حاول "عصام" أن يضربَ تجارةَ "زايد" في السلاح عن طريق صفقة مع أحد تجار السلاح في إيطاليا.. رغمَ مرور كل تلك السنونَ، كانَ "عصام" يؤمنُ في داخلَه أنه لولا وجودهُ لما كانوا تمكنوا من فتح الخزانة، لذلكَ تمكنَ منهُ الطمَع، فرأى "زايد" فيهِ خطرًا لابد من التخلص منه، فقامَ ببعثِ رسالةٍ إلى كل من "رائد" و"كمال أبو الدهب" و"محمد أبو الدهب"، يدعوهم



فيها إلى تناول العشاء من أجل التحدث عن عمل في غاية الأهمية.. وبالفعل، وصلَ ثلاثتُهم معًا إلى فيلا "زَايد البرعيّ" في تمامِ العاشرةِ ليلاً، ليجدوا "زايد" يستقبلهُم بنفسه:

- أهلاً وسهلاً بالأحباب وولاد الأحباب.

"رائد" (بحزم):

- أهلاً وسهلاً يا زايد، خير إيه سبب الاجتماع ده؟! جايبنا تشمت فينا بعد آخر صفقة كسبتها لوحدك؟!

"زايد" (بهدوء):

- تؤتؤ.. بقى هو ده ظنك فيا! ده مهما كان برضو احنا كنا اصحاب وشركاء فترة كبيرة، لولا بس إنك اتمردت عليا وانفصلت، كان زمنا مع بعض دلوقتي في كل حاجة.

تدخل "كمال أبو الدهب" في حوارهما:

- لو جايبنا علشان نتكلم في الشغل، فياريت ندخل فيه علطول، احنا وقتنا بفلوس ومش مستحملة الحقيقة سخافات.

يضحك "زايد" وهو يقول:

- طالع لأبوك أوي يا كمال، لا وكمان بتتكلم زيه وقلبك ميت بسم الله ما شاء الله عليك.

- لولا طموح أبويا كان زمانكم كلكم لسه بتحششوا في بورتو الخرابة لحد دلوقتي.

- أبوك مات يا كمال، وملحقش يتهنى بأي حاجة، وسابلكم انتوا كل حاجة.

يسكُت "زايد" فجأةً كمن تذكرَ شيئًا مهمًا ثم يقول:

- آه معلش، كنت هنسى.. لازم نلحق قبل ما الأكل يبرد.

لم يتحرَّك أيُّ أحدٍ منهم، كانت تصرفاتُ "زايد" غريبةً بالنسبةِ لهم، أشارَ "زايد" لهم:

- اتفضلوا اتفضلوا.

*****

جلسَ الأربعة "زايد" و"رائد" و"كمال" و"محمد" على مائدة الطعام بفيلا "زايد"، كانَ "زايد" مُنسجمًا في الأكل، بينما الثلاثةُ الباقونَ ينظرونَ إلى الطعام في شك.

تكلمَ "زايد" بفمٍ يملؤهُ الطعام:

- مالكوا مابتكلوش ليه؟ خايفين ليكون الأكل مسموم؟! لا ماتخافوش بطلت لعب العيال ده من زمان.. على فكرة الكبدة دي حلوة أوي، لازم تجربوها.

يقرِّب "زايد" شوكتهُ من طبق الكَبد، ويأخذُ شريحة، ثم يبدأ في التهامِها، يطمئِن "رائد" و"كمال" و"محمد" قليلاً ويبدأون في الأكلِ بترددٍ من نفسِ الطبق.

- إنت ليه ماعزمتش عصام؟ (سأل "رائد")

- عصام؟! لا عصام أنا زعلان منه، محتاج يتأدب الحقيقة (ردّ "زايد")

قال "كمال":

- ليه هو انتوا مش اصحاب وشركاء لحد دلوقتي؟

- اه اصحاب، بس اللي يجي على شغلي آكله بسناني.



قالها "زايد" ثم قضمَ شريحةً من الكبد، كانَ الجميعُ ينظرُ له في حذرٍ وترقبٍ ويتابعونَ الأكل بصمت.

مرت الليلةُ بدون أية مُشكلات، وانتهت بـ"زايد" واقفًا على باب الفيلا، ليودعَ "رائد" و"كمال ومحمد أبو الدهب".. علاماتُ الاستفهام أمسِ تظلل رؤوسَ الثلاثةِ طوالَ الليل، لا أحدَ يفهمُ ما المغزى منَ تلك العزومةِ أو ماذا وراءَ ودِّ "زايد" المريب.

بعد أن عادَ الكلُّ إلى بيته.. استيقظَ ثلاثتهُم ("رائد" و"كمال" و"محمد") على رسالة نصيةٍ على الهواتفِ المحمولةِ من "زايد"، رسالةٌ تحملُ نصًا ثابتًا أرسلَ لثلاثتهم:

(عصام حاول يخوني وياخد مني آخر صفقة مع الطلاينة، وأنا كان لازم أتغدى بيه قبل ما يتعشى بيا.. يارب تكون طعم كبدة عصام عجبتكم)

اهتزَّ سوقُ تجارة السلاح في البلادِ بعد تلكَ الحركة، هابَ الجميعُ "زايد"، لم يكن أحدٌ يتوقعُ أن يصلَ الشرورُ به إلى هذا الحد.. هكذا وبينَ ليلةٍ وضُحاها أصبحَ "زايد" المتحكمَ الأكبرَ في سوقِ تجارةِ السلاح.

*****

أُغشيَ على "دانتي" أثناءَ رحلته في الحلقة الثانية من الجحيم، من أثر الأسى والحزن اللذين أحسَّ بهما نحوَ المُعذبينَ هناك، وعندما أفاقَ وجدَ نفسهُ في الحلقةِ الثالثةِ من الجحيم.

المياهُ هنا سوداء، والمكانُ مُظلم، المطرُ هنا يهطلُ بغزارةٍ فوقَ رؤوس هؤلاءِ اللذينَ ارتكبوا خطيئةَ الشراهةِ والنهم، والبردُ يقرصُ أجسادهم بقوة، بينما هناك وحشٌ كاسرٌ يمتلكُ ثلاثةَ أفواه ويعوي كالكلب فوق رؤوسِ المعذبين.. يمتلكُ عيونًا حمراء، ولحيةً كثَّة، وبطنًا كبيرًا،



بالإضافةِ إلى مخالبَ قويةً يستخدمُها في سلخِ وتمزيقِ أرواحِ هؤلاءِ الخطاة.

عندما لمحَ الوحشُ "دانتي"، اقتربَ منه، وانتفضَ جسده حتى ينقضَّ عليه.. لكن مُرشده "فيرجيليو" مدَّ يده، وأخذ ترابًا من أديم الأرضِ ورماهُ في فم الوحش، فهدأ هذا الوحشُ وتراجعَ مثل الكلبِ الذي نالَ ما أرادَ من طَعامٍ وراحَ يتشهّى نابحًا.

"الكوميديا الإلهية -الجحيم- الأنشودة السادسة، الأبيات ١-٢٨"

*****



الحلقة الثانية

(الشهوة)

تصارع الروح باستماتةٍ نحو السمو.. لكنها أحيانًا تتَّضِعُ أمام شهوات الجسد..



في أعَالي السمواتِ بِينَ النجوم.. اشتعلت حربٌ عنيفةٌ بين الملائكة والشياطين.. والنتيجة معروفةٌ سلفًا.. سهامُ الشياطين كانت محملةَ بجمر من الجحيم، أما الخصمُ الآخرُ في ثوبهِم الأبيض حملوا سهامهم المخلّفَةَ بالسلام وأطلقوها في الأعالي لتسقط فوق أعناق أتباع الظلام.. وعلى ضوءِ الإله سقطوا جميعًا لجُب الهاوية وصراخاتُهم تتعَالى وهم يرددُّون لن تنتهيَ الحربُ أبدًا.. وعلى آثر قوة وعنفوانِ صوتهم قبل الفجر بثوانٍ تحرَّكت طلقاتُ الهواءِ الباردةَ تطرُق بابَ منزلٍ ما، ومع دخولَها انتشَرَت قواتُ الشرطةِ في المَكانِ معلنة النفير.

على الأرض كانت ملقاةٌ جثّةٌ هامدةٌ مشقوقةُ الرقبة والدماءُ تسيطرُ على المشهدِ فيَ شكل أسطوري.. وعلى الجانب الآَخر كانت هناك جثة أخرى بهِا جرحٌ فيَ الرأس، لكنها تتنفسُ ولكَن بصعوبة.

أكملَ رجالُ الشرطة سيرَهم وفحصَهم الدقيقَ بعنايةٍ للمكان بحثًا عن أدواتِ الجريمة، وبعضَ الأدلة التي قد تفيدهم في حل لغز القضية المُحدقةِ بهم.. ومن رحِمهم إنشقّ رجالُ الإسعافُ حاملينِ "الَطرولي" الخاصَّ بنقلِ الأجسادِ المُتهالكة أو شبهِ المُتهالكة، تحرك اثنين منهم، أحدهُم بدينٌ والآخرُ رفيعٌ كعودِ القصَب الممصوص.. بينما العرق يغزوهم، قاموا بحملِ الجثة مشقوقة الرقبة وتحركوا ببطء كالبطاريقِ إلى أسفل، وتكررَ نفسُ المشهدِ مع الجسدِ الآخر.

في الشارع.. تحركت سياراتُ الشرطة والإسعاف بسَاريناتهم المزعجة، بينما وقف حشدٌ من أهالي المنطقة ينظرُون إلَى ما حدث بينما يضربون كفًا بكف.. ووسطَ ذلك الحشدَ كانت تقف امرأةٌ ذاتَ جلبابٍ أسودٍ عفا عنهُ الزمان تُمصمص شفتيها وتقول:



- آدي آخرة النجاسة يا أزرق.

*****

استيقظَ من أثر برودة الغرفة الناتجة عن التكيفِ الذي زُرع فوقه، ليجدَ نفسه موجوعَ الرأسِ والصداعُ يكادُ يحطمُه.. حاول القيامَ ولكنه صرخَ واضعًا يدهُ على رأسه التي امتلأت بالشاش والقطن اللذين اصطبغا باللونِ الأحمر.. عندما لاحظَ الطبيبُ -الواقفُ بجوارِ السرير- حركته فقال:

- أستاذ عبده أرجوك تريح نفسك، الحركة خطر عليك.

التعبُ الشديدُ كان جليًا على وجههِ النحيف، نظرَ إلى الطبيبِ بصعوبةٍ قائلا:

- إيه اللي حصل؟ أنا فين؟

أردفَ الطبيب:

- إنت في المستشفى بقالك يومين، كنت جاي في حالة خطيرة بس الحمد لله دلوقتي بقيت كويس.

صمتَ "عبده" يفكرُ قليلاً ثم حركَ شفتيهِ ليقول:

- إيه اللي حصل بقولك؟

نظرَ الآخرُ على الأرض قائلاً:

- حضرتك حصلتلك حادثة إنت وزوجتك مدام منى (كتمَ أنفاسهُ ثمَّ استرسل)، حد دبحها وضربك على دماغك بحديدة أو مسدس.

لم يستوعب "عبده" ما قالهُ الطبيب، فحاولَ الانفصالَ عن السريرِ بحركةٍ عنيفةٍ نتجَ عنها وقوعه:

- إنت بتقول إيه؟! مني مراتي ماتت! يبقى انتوا اللي فيلاتوا في حقها، أنا مش هسيبكم.

أكملَ الآخرُ بحنق:

- فيلانا إيه!! مراتك جات لنا مدبوحة ودمها متصفي ومكانش فيها نفس، ولو احنا فيلانا مكنتش إنت هتبقى عايش دلوقتي.

بكى "عبده" من أثرِ الكلام الذي تلاقاه، وتمنى وقتها لو كانَ ماتَ هو الآخر، أو يتحول إلَى شجرَةٍ ليسَ لها أهميةٌ تنغرزُ فوقَ مجارٍ متعفنةٍ لا تُخرِجُ ثمرها.

لاحظَ الطبيبُ حالةَ الشرودِ التي فيها "عبده"، فقاطعها:

- في مشكلة بسيطة لازم تعرفها.. الخبطة اللي خدتها على راسك هتخليك مش قادر تفتكر آخر شهر مرّ في حياتك قبل الحادثة، بس لو استمريت في العلاج والجلسات اللي هعملهالك هتبقى كويس إن شاء الله.

عدَّل الطبيبُ من قميصهِ والكمَّ الأيسر، ثم فتحَ بابَ الغرفةِ وأردفَ قبل أن يخرج:

- لو احتجت حاجة الزرار اللي جنبك ده دوس عليه.

*****

أمامَ صيدلية ذات مستوً ضعيف، وقفَ رجلٌ نحيلٌ بشعرٍ مُشعث وعيونٍ حمراءَ من أثرِ تناوله لفاكهة حياته (الحشيش).. أخرجَ مجموعةَ مفاتيحَ من جيبهِ وقامَ بإغلاقِ بابها، وحكَّ في صلعتهِ التي تزينُ جبينه، رنَّ هاتفهُ فرد:

- أيوه يا أزرق، عامل إيه إنت بخير؟!



جاءهُ الصوتُ من الجهةِ الأخرى:

- أيوه أنا كويس، بلبس وهخرج خلاص من المستشفى.

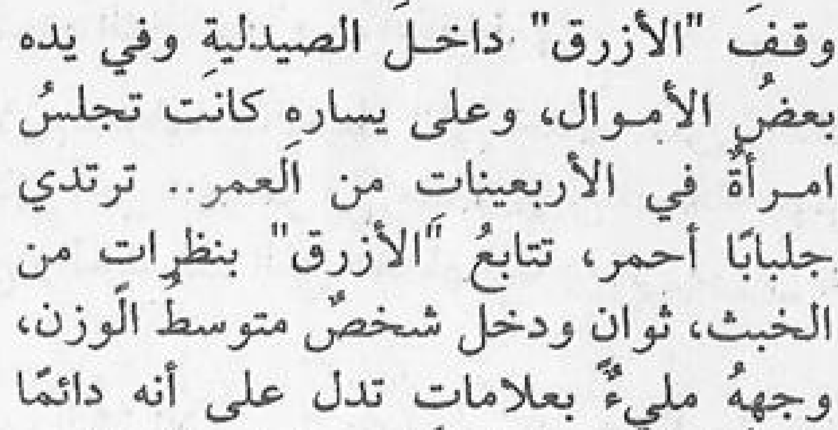
- مرحب برجوعك لينا يا عبده يا أزرق من تاني.. شوقة ما بعدها شوقة.

- إنت فايق ورايق، سلام دلوقتي ونتقابل بالليل في شقتي.

- ماشي يا شق سلام.

وضعَ الهاتفَ في جيبهِ وابتسم.

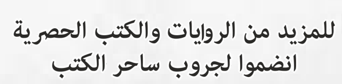
*****



وقفَ "الأزرق" داخلَ الصيدليةِ وفي يده بعضُ الأموال، وعلى يساره كانت تجلسُ امرأةٌ في الأربعينات من العمر.. ترتدي جلبابًا أحمر، تتابعُ "الأزرق" بنظراتٍ من الخبث، ثوانٍ ودخل شخصٌ متوسطُ الوزن، وجههُ مليءٌ بعلامات تدل على أنه دائمًا داخلَ حلبةِ صراعاتِ العشوائيات التي لا تنتهي أبدًا، يسيرُ أغلبهم في الشوارعِ والطرقاتِ باحثين عن خلافٍ أو مشكلةٍ ما، وعندما يجُدون غايتهم يَلقون بشباكهم عليها، وتدورُ معركةٌ عنيفَةٌ تنتهي في الغالب بموتِ أحدهم، فتأتي سيارةُ الإسعافِ ويجرُّ المسعفينَ إليها الجثة بجفاءٍ في قلوبهم ووجوههم، بل أن بعضَ المسعفين يحملُ الجثةَ بيد وباليدِ الأخرى يتناول ثمرةَ فاكهة بتلذذ.. ناول ذلك الشخصُ "الأزرق" المالَ، فنظر الآخرُ للمالِ في يدهِ ثم نقلَ بصرهُ وسأله:

- عايز طلب كل يوم برضه؟

- أيوه يا عبده.



- إنت مابتتهدش ياض يخربيتك.

حكَّ رأسهُ قائلاً:

- يا عم اديني الحباية واخلص.

- خد الحباية دي قبل المعركة بنص ساعة، واشرب بعدها ميه كتير وادعيلي.

ابتسمَ الآخرُ فرحًا، وخرجَ ممنيًا نفسه بليلةٍ من ليالي ألفِ ليلة.

أكملَ "عبده" عدَّ نقوده، وتحركت "محاسن" ناحيتهُ قائلة:

- إيه يا أزرق عامل إيه دلوقتي؟

- هكون عامل إيه يعني منا قدامك أهو كويس.

- إنت زعلان مني في حاجة؟ مش عارفة ليه متغير معايا من ساعة الحادثة!

نظرَ إليها بحزن:

- معلش قرفان شوية.

تحسَّست يدهُ فأبعدها عنهُ بعنف.

- مليش مزاج لحاجة يا محاسن وحلي عن سمايا دلوقتي. (أشاحَ بنظرهِ بعيدًا)

- هي بقت كده يعني؟ (قالت "محاسن" بغضب)

لم يجب عليها وتركها في حيرتها غارقةً في بحر من الظُلمات والذكَريات اللِعينةِ التي جمعتهم في منزلِ واحد وليالٍ متعددة، على فراشها في ظلِّ غيابِ زوجها، وعندما كان يَعودُ كانت تضَاجعهُ باشتياقِ

كأنها انتظرتهُ في مدةِ غيابهِ الطويلة.

- إنت هتفضل زعلان على منى مراتك كتير؟ (سألته)

تغيرَت ملامحهُ الأربيعينةُ إلى تنينٍ يبصقُ النيرانَ مجيبًا:

- إسمها مايجيش على لسانك تاني، ولو عايزاني أكمل شغل معاكي ماتفتحيش معايا السيرة دي.

- نسيت اللي بينا يا أزرق! (أصبحت نبرتُها ناعمةً فجأةً وهي تقولها)

- إنتي ست متجوزة يا محاسن، وأنا مش حابب أتكلم في اللي فات.

اقتربت منهُ محاولةً استعطافه، ولامسَت شعرهُ الخفيفَ الذي زحفَ الصلعُ على مقدمته:

- بس أنا بحبك، ومش موت العقربة دي هينسيك اللي بينا.

تحولَ إلى وحش كاسحٍ بمجردِ سماع إهانتها لزوجته، وألقى في وجهها حفنةً من علب الأدوية، فصرخَتَ وهي تتوعده.

- قلتلك يابنت الكلب ماتجبيش سيرتها على لسانك النجس ده.

تركَها وذهبَ وهو يسبُّ ويلعن.

*****

تراقصَت النجومُ في السماءِ العليا نتيجةَ المعركة النهائيةِ التي انتهت بفوز أصدقائهم الملائكة.. وبينما تتحركُ الكواكبُ في رقصة متصلة، جاسَت كائناتُ الجحيم المغرضة تطلقُ النيرانَ وتحرقُ كُل شيء حولها، هربَ النصف، وَما بقِي حُرق بنيرانِ الغيرة، نيرانُ جاءت من زهورٍ تمردَت على خالقِها منذ البدايةِ حتى اسودَّت وذبُلت دون رجعة.

*****



عندما علم "محسن" صديقهُ بالخلافِ الذي نشبَ بينه وبين "محاسن"، حاولَ إصلاحَ ما أفسدهُ "الأزرق"، حيث تلوَّى كالحيةِ التي أسقَطت آدمَ في الغواية، وببعضِ الألاعيبِ لضِم إبرتَهم وأصلحَ بينهم..

*****

على أواخر الفجر وقبل الأذانِ بنصفِ ساعة في حارةٍ قذرة مكفهرةٍ تمتلئُ ببقايَا الطعَام والأكياسِ وزجاجات الخمرِ مع رائحةٍ كريهة، وقف بشموخ الأسدِ يزرعُ السَمومَ داخل أجسادِ مَن يسكنونَ منطقته، من رحمِ الظَلام الدامس وضوءِ القمرِ الضعيف، ظهرَ شخصٌ يمتلكُ ملامحًا أنثويةً واقتربَ منه.

- عايز حباية كل تلات يا أزرق.

- فلوسك جاهزة يلا؟

مدَّ يدهُ له بالمعلوم، فأعطاهُ "الأزرق" المطلوبِ، وتركه وذهب.. بصقَ في الأرضِ عدةَ مراتٍ ثم أنزلَ سرواله وتبول في إحدى زوايا الشارع.

*****

عندما أذَّن الفجر.. لملمَ شَتات نفسه وذهبَ لبيته، صعدَ السلالمَ يعدُّ درجاتِها وفي بالهِ تحركت جيوشُ الذكرياتِ نحوهُ وسمعَ صوتَ زوجته:

- نفسي يا أزرق تبطل اللي بتعمله وتمشي يمين مرة واحدة في حياتك.

كسرَ كوبَ ماءٍ كان بجانبهِ مرددًا:

- البلد دي مش عايزة غير كده، اليمين فيها عطلان مش شغال، الحجارة اللي بتحركها خلصت والمصانع اللي بتنتجها قفلت.

ارتفعَ صوتها:

- يا تمشي صح يا تطلقني يا عبده.

صفعَها مرة، وامتدَّت المرةُ إلى عشرة مرات.. صرخت في وجهه فأعطاها مثلهم حتى وقعت والدماءُ تزيِّن فمها، تركها بعد ذلك يومًا كاملاً دونَ طعام، ومنعها من النزول، حتى رجعَت هي واعتذرت له، لم تقدِّم هذا إليه بسبب الندم على كلامها، بل لأنها تخشى الموتَ جوعًا أو خنقًا من قبل يديهِ اللعينتين.. حيثُ لم يفرِّق "الأزرق" ولو لمرة واحدة بين خلافاته في الحواري والأزقة وخلافاته مع منى، كان يضربُها ويعذبها مثلما يفعلُ في الخارج، حنَّ عليها كثيرًا في بعضِ المواقف، وقسى عليها أكثرَ أوقاته.

*****

بعد الظهر بقليلٍ تسمَّر أسفلَ الدُشِّ يتلقى جرعات من الماءِ الباردِ لتنشيطِ حواسه وجسده، ثم ارتدى ملابسهُ ونزل إلى الصيدليةِ ببطءٍ ليباشرَ عملهُ النهاريَّ بجوارِ "محاسن"، أما ليلاً يقفُ أمامَ دولابهِ الخاصِّ ليبيعَ كل ما تشتهي الأنفسُ من ممنوعاتٍ لراغبي المتعةِ والراحةِ المؤقتة.

اقتربت "محاسن" منه وهو يراجعُ ضروبًا عديدةً من الأقراصِ المخدرة، وقالت:

- وبعدين طيب؟

نظرَ إلى جلبابها الأزرق الذي أبرزَ تضاريسها، حاول أن يدخلها إلى مغرز شهوته، لكنهُ لم يجد فيها المتعةَ القديمة، أصبحَ لا يشتاقُ لعسلها، وينظرُ لها في أغلبِ الأحيانِ باشمئزاز.

- صباح النجاسة.. عايزة إيه تاني؟

- النجاسة دي كنت بتعشق تتمرمغ في حضنها.

قالَ دونَ أن يعيرهَا أي اهتمام:

- أنا قرفان ومش طايق الهدوم اللي عليا، وعندي استعداد أدغدغ الشارع كله ومتقي شري بالعافية.

- ليه كل ده! إنت بخير وسليم، فترة وهتعدي وهنرجع نلعلع زي الأول، بس إنت استحمل معايا شوية والمرحومة هتنساها.

رفعَت يدها إلى أمامِ وجهها قائلة:

- الفاتحة على روح المرحومة.

كتمَ بداخلهِ موجةً من الغضبِ كانت كفيلةً لتحريرِ الأقصى من اليهود.

نظرت له بخبثٍ قائلة:

- إيه! ما تقول معايا، إنت مش مسلم ومُوحد ولا إيه؟

نظرَت في عينيهِ فرأت وحوشَ الغضبِ تنظرُ لها، فأنزلَت يدها وقالت:

- يلا بقى الله يرحمها ويعرفك مين اللي قتلها.

اقتربَ منها بخطواتِ ثابتةِ رصينة، ووضعَ يدهُ على خصلاتِ شعرها، قوةٌ غريبة اقتحَمت جسدَه، جعلتهُ يلف شعرها على يدهِ حتى كادَ يقطعُه، ثم لطَمها مرتينِ بقوةٍ حتى تفجَّر الدمُ من أنفها.

صرخَت في وجهه:

- إنت بتضربني أنا يا زبالة يابن الوسخة.

- وأديكي بالجزمة لو عايزة، أنا قولتلك ميت مرة ماتفتحيش معايا الحكاية دي تاني، إنتي شيطانة، مره هايجة عايزة تاخدي بالجزمة على وشك.

مسحَت أنفها وتحسَّست شعرها:



- وديني لأسجنك يا أزرق، إنت نهايتك هتكون على إيدي، ده أنا اللي لميتك من الشارع يا كلب السكك بتعمل معايا كده.

صفعتهُ علي وجههِ فردَّ عليها بصفعةٍ أقوى، ثم جرى مندفعًا للحمَّامِ وخرجَ ومعهُ حديدة، قائلا:

- وأدي الصيدلية اللي فرحانة بيها أهيه، هفرجك عليها.

ثوانٌ قليلةٌ وكان كلُّ شيءٍ على الأرض.. الزجاجُ تهشم، وتكسَّرت زجاجاتُ الأدوية، الأموالُ ترامَت علي الأرض، وجلست "محاسن" بجانب كل هذا تتحسرُ عليهم، صراخُها مرتفعٌ يصل حدَّ النجوم.. بدأ النَّاسُ في الخارج يتجمعونَ وعلي وجوههم علاماتٌ من الحيرةِ والدهشة، وداخلَ أدمغتِهم (لماذا يفعل الشياطينُ مع بعضهم هذا وهم من زرعوا في المنطقةِ التلوث.. المخدرات.. الخلافَات.. القتل.. الدعارة.. وقلدهم الكثيرون، وما لم يقدروا عليهِ فعلهُ الآخرين ...)

ظهرَ "محسن" من الخارجِ ودفعَ "الأزرق" بعيدًا، ثم صعدَ معها إلى شقته.

- خش خش.

تحدثَ "محسن" والعرقُ يملؤُه من أثرِ محاولتهِ الإمساكَ بـ"الأزرق"، وجلسَ يأخذُ أنفاسهُ بصعوبة.

- هديت حيلي يلعن أبو معرفتك.

- لحقتها من إيدي النجسة كنت هشرحها.

- وبعد ما تعمل كده هتروح فين؟ (سأله "محسن")

- واحنا من إمتى بيفرق معانا الكلام ده؟! (فأجابه "عبده" بثقة)

تناولَ "محسن" زجاجةَ ماءٍ كانت بجوارِه، وفتحَها ليشربَ وهو يقول:

- من النهاردة لازم تاخد بالك، إنت مبيدخلكش قليل كل شهر، لازم تهتم بشغلك بقى شوية.

- ست عايزة الحرق، شغل إيه! ما إنت عارف دماغي راكبة فين، ولو راسي تحت ضرسك هكسره وهدبحك أنا ماليش كبير يا محسن.

كانت لهجةُ "عبده" صادمةً وعنيفة، فصمَت "محسن" قليلاً ليستجمع أفكارهُ ثم همسَ بخبث:

- بيني ما بينك هي عايزة الشنق مش الحرق يا أزرق.

- مش وصلالي؟!

- عندي اللي يريحك من "محاسن" من غير نقطة دم واحدة.

أضاقَ "عبده" فتحةَ عينيهِ بعدمِ فهمٍ واستفسر:

- حاجة إيه؟! ولا إنت عارفني مالّيش خلق، اخلص في ليلتك السودة اللي مش هتعدي دي.

ظهرَ الترددُ على ملامحِ "محسن" وهو يقول:

- امممم.. مش حابب أتكلم بصراحة غير لما أتأكد وأمسك دليل في إيدي.

زفرَ "عبده" بنفادِ صبر:

- هات اللي في جوفك يا محسن.

- بص.. أنا عايزك تمسك نفسك وتهدى، أنا شاكك إن اللي قتل مراتك وعمل الليلة دي كلها محاسن.

فجّرها "محسن" في وجهِ "عبده"، فصمَت مصدومًا لثوانٍ قبل أن ينفجرَ غاضبًا:



- إيه اللي خلاك تقول كده يا محسن؟

- في رقم كلمته محاسن ليلة الحادثة وقالتله الليلة كل حاجة هتم، وأنا سمعتها بالصدفة وقتها.

- يبقى لازم أقتلها. (قامَ "عبده" من مكانِه)

- الصبر نتأكد الأول. (شدَّ "محسن" "عبده" نحوَ الأريكة)

- وهنتأكد إزاي؟ (استفهَم "عبده")

- هدور في تليفون محاسن وأجيب الرقم اللي كلمته يوم الحادثة.

- وإنت فاكر إننا كده هنوصل لحل؟! يعني صاحب الرقم ده هيعترف لنا بكل حاجة.

- يا باشا إتقل على رزقك بس وقولي، إنت هتنزل شغلك بليل؟

- آه. (أجابَ "الأزرق" وهوَ يحاولُ كتمَ غضبه)

- طيب فل.. أنا هنزل الصيدلية دلوقتي علشان أبدأ أدور ورا محاسن، ولو وصلت لحاجة هقولك.

قالها "محسن" وهو يقومُ عن الأريكةِ استعدادًا للنزول.

*****

عندما تركهُ "محسن" ونزل، بقيَ هو يترنحُ بينَ حوائطِ وجدران شقته التي تكونت فيها الشقوقَ واللونُ الأصفرُ عشّش بهاَ.. مشاعرٌ غريبةٌ ومختلطة اجتاحت قلبه، مزيجٌ من الألم والندم والحسرةِ والغضب، أشباحٌ سوداءٌ راحت تتراقصُ أمامَ عينيه، أشباحٌ مخيفةُ الشكلَ عرفَ أنها جاءَت لتنتقِم منه.. إنه يُهلوس، هذا أكيد.. راحَ يفتحُ عينيهِ ثم يغمضُها عدةَ مراتٍ حتى اختفت تلك الأشباح، قامَ من مكانهِ ليدخُل إلى غرفتهِ،



مدَّ يدهُ نحوَ مقبضِ الباب وحركهُ بشكلِ دائري، فانفتحَ البابُ ليدلفَ "عبده" للداخلِ، صُدمتَ عيناهُ وجحَظتاَ للخارج حتى كادتا أن تخرجَا من محجَريهما عندما رأى زوجتهُ ملقاةً على السَرير ورقبتُها غارقةٌ في الدماءِ من أثرِ الذبح، اقتربَ بحذرٍ ثم تفحَّصها بخوف، لحظاتِ مرَّت كأشهرٍ قبلَ أنَ تدُب فيها الروح!

قامَت من فوق السرير برقبةٍ منحورةٍ واتجهَت ناحيته.. عيناها حمراوتان تقطرُ منهما مادةٌ سوداءَ لزجة، وجسدُها أزرقٌ قاربَ من مرحلةِ التعفن الكاملة، سدَّ فتحةَ أنفه من الرائحةِ الكريهة، وتراجعَ للخلف وهو ينظرُ لها برهبةٍ وذهول.. اقتربَت منهُ حتى أصبحَت أمامه، ولا مفرَّ يهربُ له الآن، وضعَت يدها على رقبته فاقشعرَّ جسدهُ من برودتها، شعرَ بكهرباء عنيفة تضربهُ دونَ رحمة، ثم صرخَت في وجهه فرأى لسَانها المقطوع، ليختَفي هذا الشبحُ فجأةً ويسقط "عبده" على الأرضِ مغشيًا عليه.

فاقَ من غيبوبته ليجدَ نفسهُ ما زالَ في غرفته على الأرض.. نظرَ إلى ساعة الحائط فوجدها الثانيةَ بعدَ منتصف الليل، فذهبَ للمطبخِ ليُعد فنجانًا من القَهوة وسيجارةً محشيةً بما لذَّ وطاب، ثم خرجَ ليقفَ في شرفته ليرتشف القَليل من القهوة، وقبلَ أن يفرُغ من سيجارته، أمطرت السماءُ عليهِ ماءً غزيرًا، نظرَ إلى الأعالي فوجدَ السُحبَ تتشاجرُ معَ بعضها البعضِ وتُحدث ضجيجًا هوَ صوتُ الرعد، شعرَ وكأنَّ غضبَ الألهةِ سينزلُ به في مكانهِ الآن، فتراجعَ إلى الداخلِ وجلس.

*****

فوقَ تلكَ السحُب كانت الحربُ المعتادةُ قائمةٌ بين المنعزلينَ والمقربين.. الملائكةُ والشياطين.. الخيرُ والشر.. حيث ملكُهم أسودُ اللون قد أعدَّ خطةً جديدةً للقضاء على المقربين، لكنهم علموا بتلك الخطَةِ فأستعدوا لها جيدًا.. اقتربَت جيوشُ الشرِّ من مكانِ الخيرِ



المفضل، وعندما دخلوا كان الخلاءُ يسيطرُ ويفرضُ قوته، نظروا حولهم فلم يجدوا سوى البياض الناصع، تقدموا خطوات معدودة ليجدوا أنفسهم محاصَرِين في شكلِ دائرةٍ وانقضَّ عليهم المَلائكةُ من كل جانبٍ ليقطعوا أعناقهم السوداءَ.

*****

رنَّ جرسُ الباب.. فوضعَ "عبده" فنجانَ القهوةِ جانبًا وفتحَ البابَ ليلجَ الطارقُ إلى الداخلِ مفزوعًا.

- عبده لازم تهرب من هنا في أسرع وقت.

كان الطارقُ هو "محسن" الذي راحَ يحثُّ "عبده" على الهربِ بأسرعِ وقتٍ ممكن، فتعجَّب الأخير.

- بوراحة بس وفهمني أهرب ليه؟! قولي في إيه؟ احنا مابنخفش من حاجة.

- المرة دي لازم تخاف وتهرب، محاسن بلغت الحكومة إنك قتلت مراتك، وقالت إن معاها دليل يدينك.

لم يستوعِب "عبده" جملةَ "محسن" الأخيرة، فسأله:

- دليل إيه اللي بتقول عليه المره دي؟!

- إنت لسه هتسأل!! يلا معايا بسرعة.

جذبهُ من يده ونزلا إلى الشارع، حيثُ كانت دراجةُ "محسن" النارية غافيةً على جانبِ الطريق، فركبها ونادى عليِ "عبده" حتى يركبَ خلفهُ فاستجابَ بعدمَ فهم، ليديرَ "محسن" محركها وينطلقُ بسرعةٍ خارجَ الشارعِ والمنطقةِ كلها.

*****

سارَ الاثنان عبرَ شوارعِ وحوارٍ ضيقة، حيثُ كانت القذارةُ تغطي وجهةَ كل شيء، مَال "عبده" نحو أذُنَ "محسن" وحدَّثه بصوتٍ مرتفع:

- إنت واخدني على فين؟

- هوديك شقة بتاعتي في أكتوبر محدش يعرف عنها حاجة والمنطقة مهجورة. (أجابَ "محسن")

سكتَ "عبده" واستمرَّ في السيرِ ولم يعقِّب، حتى وصلوا إلى مطافِهم، منطقةٌ هادئةٌ للغاية، ليسَ بها صريخُ ابن يومين كمَا يُقال.

كانت العمارةُ مكونةً من ثلاثة طوابق، ويبدو من منظر الشقق الفارغة غيرِ المجهزةِ أنه ليسَ بها أيُّ سكان.. صعدَ "محسن" وخلفَه "الأزرق"، وعندما وصلَا للشقةِ المنشودةِ فتحَ "محسن" البابَ ودلفا.

- بص هنا هتلاقي كل حاجة إنت عايزها، بس أرجوك ماتتحركش نهائي إلا لما الدنيا تهدى.

مسحَ جبينَهُ من العرقِ وسأل:

- جبت الرقم اللي قولتلي عليه من محاسن؟

ضربَ جبينَهُ قائلاً:

- تصدق كنت هنسى! بص كانت عاملة تليفونها بباسورد، بس على مين عرفت أفكه.

مدَّ يدهُ بورقةٍ دُوِّن فوقها رقمٌ بلونٍ أحمر، فتناولَ "الأزرق" الرقمَ منه، وشرعَ في محاولةِ الاتصالِ به، لكنْ لا استجابة!

- الرقم مش راضي يجمع. (تعجَّب "عبده")

- طب هات أجرب أتصل من عندي.



أخذَ "محسن" الرقمَ وجرَّب أن يتصلَ هو، وبالفعلِ بدأ الرقمُ يستجيب، ليسمعَ الاثنينِ صوتَ هاتف "عبده" يرن!

نظرَ "عبده" إلى هاتفهِ ليجدَ أن المُتصلَ هو "محسن"!

- إنت بترن عليا يا محسن!

- يعني الرقم اللي كلمته محاسن ليلة الحادثة وقالتله كله تمام ده رقمك؟! أنا مش فاهم حاجة خالص.

- إنت متأكد إنك مخدتش رقمي أنا بالغلط ؟ (سألَ "عبده")

- والله أنا متأكد يا صاحبي إن هو ده الرقم. (ردَّ "محسن")

صمتَ "الأزرق" ولم يعقِّب، رنَّ هاتف "محسن" فقامَ بإسكاتهِ بسرعة.

- إيه مين بيتصل بيك؟ (سألَ "عبده")

- مش مهم أنا لازم أنزل دلوقتي، هقضي حوار ساعة وجايلك وهتابعك بالتليفون.

نزلَ "محسن" وأغلقَ البابَ خلفه، وتركَ "عبده" وحيدًا.

*****

جلسَ "الأزرق" على الأريكة بشقةِ "محسن" ليقعَ في غياهب النوم فريسة سهلةَ لكوابيس وأحلام كالجحيم لا ينطفئُ أبدًا.. وجدَ نفسهُ في طريق مُظلم أسود، طَريقٌ يخلو من أيِّ ضوء، شعرَ بقدميه تنغرسان في شيءٍ لزج، نَظرَ نحو قدمه ليجدها مغطاةً بطينة سوداء ذاتَ رائحة كريهة، عندما حاولَ إزالةَ تلك القاذورات عن ساقه وجدها مُكبلةً بحديدٍ متين، يداهُ لم تقوَ على الحركةِ بحرية، حاولَ الصراخ، لكنَّ لسانهُ لم يكن موجودًا، وكأنه قدِ انتُزع منه! كانت هناك إضاءةٌ حمراءَ قوية تأتي من



بعيد، حاولَ أن يتبينَ ماهيةَ هذا الضوءِ الذي يقتربُ منه بسرعة ثابتة، ليجدَ أنها حممٌ من الجحيم تقتربُ منه وتلتفُّ حولَه.. تفرعَتْ تلكَ الحممُ في كل النواحي والاتجاهات، شعرَ بيد تمسكُ بقدمِه وتجذبُه أكثرَ لتنغرسَ قدمُه أكثرَ في الأرض، كانت تلكَ زوجتهُ منى، خرجَت من أعماق الجحيم لتُمسكَ به وتسقطهُ في نهر خطاياه، كان منظرُها مخيفًا، لا تمتُّ لزوجته التي يعرفُها بصلة، إنها أشبهُ بشيطانٍ من شياطينِ جهنَّم.. شرعتِ الحممُ في احتضانِ جسده وهو غيرُ قادرٍ على الصراخ، إنه يتألمُ فقط، يتعذَّبَ فقط، يرى جسدهُ وهو يتحولُ إلى لا شيء، يحترقُ أولاً قبلَ أنْ يتفحَّم ويذوب ثم يتبخَّر، لم يتبقَّ في النهايةِ إلا مقلتاهُ اللتينِ طفتا فوقَ حممِ الجحيم.

*****

قامَ فزعًا من كابوسه وقلبهُ يدقُّ بعنف بينما العرقُ يتساقطُ من جميع نواحي جسده.. ثوانٍ مرَّت قبل أن يُفزع مجددًا بفعل صوتِ تكسيرَ باب الشقة، وكشفَ البابُ عن أربعةٍ من رجال الشرطةَ قلبُوه على بطنهَ ووضعوا الأصفادَ في معصمَيه، بينما هو صامتٌ ومندهشٌ لا يُعقب ولا يتكلم، كانت أفواههم تتحركُ بالعديدِ من الكلمات لكنه لم يتبينْ أيًا منها، كان مستسلمًا تمامًا ولم يحاولِ المقاومةَ حتى استسلمَ بكل هدوءٍ.. دفعوهُ إلى خارجِ الشقةِ وأنزلوهُ على السلالم، لينتهي بهِ الأمرُ داخل عربةٍ مصفحة.

*****

عندما وصلَ "دانتي" إلى الحلقة الثانيةِ من الجحيم.. بدأت أصواتُ الأسيِ تطرقُ أسماعه، كان المكانُ يجتاحهُ عويلٌ جارف، مكانٌ يخرسُ فيه كل ضياء، وعاصفةٌ جهنميةٌ أزليةٌ لا تهدأ ولا تتوقف، تمزقُ آلافَ الأرواحِ المعذبةِ بداخلها، وعندما يصلونَ إلى الأنقاض، يتعالى عويلُهم



وهم يلعنُون قوةَ الإله، كانَ هؤلاء هم مرتكبي خطيئةَ الشهوة، اللذينَ فضَّلوا غرائزَهم على عقولِهم.. لَا زالتِ العَاصفةُ تحملُ الأرواحَ من الأعلى إلى الأسفل، ومنَ اليمينِ إلى اليسار، ومن بين كلِ الأرواح المعذبة، لفتَ انتباههُ بعضُ تلكَ الأرواح الصارخةِ وسَطَ العاصفة، فسألَ "دانتي" مرشدهُ عن هويةِ تلكَ الأرواح، فأجابه:

- الأولى كانت امبراطورةً على لغات عديدة، استسلمَت لشهوةِ جسدها، فجعلت لذةَ الغرائز مشروعةً حتى تَمحُو عارَها، إنها "سميراميس" الَتي كانت أمًا لـ "نينو"، ثمَّ كانت لهُ بعدَ ذلك زوجة، وخضَعت تحتَ أقدامها أكبرُ ممالكِ الأرض..

أما الثانية، فهيَ التي قتلت نفسها في سبيلِ الحب، إنها "كليوباترا" أسيرةُ شهواتها.. أما هذه فهيَ "هيلانة" التي دارَ بسببها عهدٌ مشئوم.. وهذا هوَ "أخيل العظيم"، الَذي ضحَّى بكل عظمتهِ ليقاتلَ في سبيلِ حبه.

ثم راحَ يشيرُ إلى آلافِ الأرواح المعذبةِ داخلَ العاصفة وهوَ يذكرُ أسماءَها.. وبينما هوَ يسمِّي ليَّ النساءَ والفرسان، تملكَنِي الأسى، وشعرتُ أنني على وشكِ أن أفقدَ الوعي.

"الكوميديا الإلهية -الجحيم- الأنشودة الخامسة، الأبيات ٢٥-٧٢"

*****



الحلقة الثالثة

(الكسل)

إن العقول الكسولة هي بيوت الشياطين..



في السماء العليا هدأت نيرانُ الحرب، لكن كبرياء أحفاد المُتغطرس الأكبر جعلهم يُريدون الانتقام من أبناء النور، لكن عظمة العليِّ كانت تظللهم دائمًا..

كُنتُ أقف مُستندًا على باب زنزانتي الحديديِّ أشاهد ذلك السجين المُعتوه الذي قطع شرايينه وكاد ملك الموت يخطف روحه لولا تدخلِ الإسعاف، لم أكن أعرفه وقتها جيدًا إلا شكلاً فقط.

دعونا منه الآن ودعوني أعرفكم بنفسي أولاً.. أنا ذلكِ الكاتبُ المجهول الذي وصل هوسي بالكتابة حدَّ الجنون، أنا من تعطّش لقصص حقيقيةٍ مليئةٍ بالجثث والدماء والأنفس والأرواح البشرية المُقنعة، بدلاً من نسجِ شخصياتٍ خياليةٍ بدون منطقية.. أنا من بحثتُ عن الواقعية السحرية في كلِّ سطر كتبتُهُ وإنسان قدمته في أعمالي، وحلقت بداخلِ السحب المُرتفعة، التي تقتربُ من حدِّ الفضاء والكواكب.. أنا مَن ستُداول أعماله وتُقرأ حتى بعد مائة عام من وفاته، ويُكتب اسمي بحروفٍ من ذهب فوق رؤوسِ أعظم مكاتب العالم.

ما هي تُهمَتي؟ ستعرفُ لاحقًا.. صدقني الأمرُ لن يعنيك في شيءٍ الآن، لقد أتوا بي إلى هنا وانتهى الأمر، ولم يعلموا أنهم يُسدون إليَّ خدمة العمر بوضعي في هذا المكان.. ظنَّ البعض أنها النهاية بالنسبة لي، لكنها كَانت مجرد بدايةٍ للحدث الرئيسيّ، حياتي هنا في السجن تتيح مصادفة العديد من القِصص والحكايات يوميًا، يرويها أصحابُهَا لي بدوافعَ عدة.. منها إفراغُ الشحنات وإخراجُ الكبتِ من داخلهم، أو طلب بعض الخدمات مني، إنني أَمتلكُ الكثير مِن المال بحكم إسهاماتي في مجال الرواية والسينما والدراما وهذا يسهل عليَّ الكثير من الأمور.



انتهيتُ توًّا من تدوين حكاية "عبده الأزرق".. ذلك البلطجي وتاجر المخدرات الذي قابلته هنا في السجن، كانت حالته النفسية مُدمرة عندما رأيته في السجن لأول مرة، حياته كلها عبارةٌ عن ذكريات مشوشة وكوابيس، حاولت أن أستغل تلك الحالة حتى أتقرب منه وأعرف تفاصيل حكايته، وبعد أن نجحتُ في نقلِ تلك الحكايةِ غير المكتملة، عرفتُ في اليوم التالي بخبر انتحاره شانقًا نفسه داخل زَنزانَته، يبدو أنه لم يتحمَّل كل هذا الضغط النفسيِّ الَواقع عليه، كنتُ أعلم أن الروايةَ لا تنتهي عنده، لا أعلمِ من أيَن أتيت بتلك الثقة، لكن شيئًا بداخلي أخبرني أن القصص ستنهال عليَّ قريبًا جدًا، وكان الأمر أقربُ مما تخيلت.

دعوني أعودُ بكم إلى "جمعة".. ذاك المعتوه الذي حاول قطع شرايينه والانتحار منذ عدة أيام، فبعد ذلك الحادث أثارت شخصية "جمعة" اهتمامي، وبدأت في محاولة التقرب منه ومعرفةِ حكايته، تهرَّب مني كثيرًا، لكنني لست من النوعِ الذي يستسلم بسهولةٍ، كان شخصًا مسالمًا وخجولاً، يتلعثم كثيرًا أثناءِ كلامه، ولديه مشكلةٌ في التخاطب، تميِّزه عيونٌ خضراءَ كسولة، وكرشٌ صغير، وجسدٌ هزيل بالإضافة إلى شعر أشعثَ مع ذقنٍ خفيفة.

سألتُه ذات مرة:

- كنت عايز تموت نفسك ليه؟

ردَّ قائلاً:

- الحياة كـ كـ لها بقـ ت سودة فـ في وشي وملهاشـ ش معنى.

- وبعدين إنت لو مت منتحر هتبقى مت كافر، إنت عارف هتروح فين لما تموت؟ (سألتُه فأجابني بلهجةٍ لا مبالية)



- أ أ أروح مطرحـ ح مـ ما أروح، أنا أأسـ سفـ، بس بس أنا كـ كلامي كده، مش بعرف أتـ تكـ كلم زيكـ كم.

قلتُ له:

- لا ولا يهمك، واضح إنك معبي جامد، إنت ممكن تحكيلي وأوعدك إني هساعدك باللي أقدر عليه.

بعد محاولات عديدةٍ تمكنتُ أخيرًا من إقناعه، وعدتُّه بأنني سأُساعده إذا كان بريئًا وَسأصلُ بحكايته للناس جميعًا.. وعلى مدار ثلاثةِ أيام، كنت أجلسُ لأستمع إليه، ولعثمته التي جعلت محاولة فهمه مأساةً إغريقيةً بالنسبة لي.

*****

(تنويه: السطور التالية منقولةٌ عن "جمعة" بعد عدةِ أيامٍ قضيتُها في محاولةِ فهمه)

أنا اسمي "جمعة محمد".. السن ٤٠ عامًا، ظروفي وحياتي كانا طبيعين جدًا، إلى أن حدثت بعض المشاكل في المصنع الذي أعمل به، اضطرتهم إلى التخلي عني، بحجة الظروفَ الصعبة التي تمرُّ بها البلاد، أصبحتُ عاطلًا، أقضي حياتي فوق الأريكة حتى تعودت على الكسل، أصبح مصدر دخلي هو بعض السلفيات من أهلي وإخوتي وأصدقائي، بالإضافة إلى راتب زوجتي.. أعتقد أنني أحببت الأمر، ولم أحاول أبدًا البحث عن أي عمَل، انعكست الأدوار، زوجتي هي من تعول البيت، بينما أصبحت أنا من يقوم بأعمَالِ المنزلِ ويرعى ابنتنا "جنى".

في أحدِ الأيام.. جلستُ وسط تلكَ الفوضى التي تعمُّ الشقة بحكم تكاسليَ عن تنظيفها، أشعلتُ التلفاز، فانفتح على إحدى القنواتِ التي تعرض صراعًا قائمًا بين طيورٍ تحلقُ في السماء وعددٌ لا بأسَ به من



الصيادين الذين يحاولون اصطيادها، وبينما هم منهمكينَ في عملهم والطيور تسقط أمامهم ملونةً بالأحمر، هبَّت فجأةً مجموعةٌ كبيرةٌ من الأسودِ وهاجمتهم، فتراجعوا وسقطت الكاميرا من يدِ المصور، لكنها ارتكزت على مشهدٍ مُعين.. وهو التهامُ الأسودِ للطيور.

خرجَت زوجتي "أسماء" من الغرفة وهي تنظر إليَّ بخيبةِ أمل، وتقول:

- جمعة إنت لازم تشتغل، مرتبي مبقاش يكفينا أكل وشرب، والفلوس اللي بيدهالك اخواتك معرفش بتروح فين ولا إنت بتوديها فين.

ردَّت عليها بتذمُّر:

- أأسماء.. أنا مبقتشـ ش قادر ولا عاد فيا حيل أشـ شتغـ غل.

- يعني هو إنت يبقى اسمك جمعة، وكل أيامك جمعة بالشكل ده!

نظرتُ لها متعجبًا:

- تقصدي إيه بكـ كلامك ده؟

- أقصد إنك حابب الاسبوع كله يبقى يوم جمعة علشان تفضل مأجز كده علطول! بص يا جمعة، لو منزلتش تدور على شغل علشان تشارك معايا في مصاريف البيت والبنت، هيبقى إنت من طريق وأنا من طريق.

قُمت من مكاني وبداخلي تسونامي عنيفة، تريدُ أن تغرقَ جزيرةً بأكملِها، قائلاً:

- أنا غـ غاير، هروحـ ح لأبويا، وهشـ شوفلي صرفـ فة معاه، دي بقت عيشـ شة تقرف.

*****

تجولتُ ليلاً بين الأزقةِ والحواري، فسمعتُ صوت كركرةِ الشيشةِ



تأتي من أحد الجوانب، نظرتُ لأجد "عبده الأزرق"! بلطجي محتال يعمل في صيدلية هي غطاءٌ لبيع مختلف أنواع الكيمياء والمخدرات، وألجأ له عندما أحتاجُ لبعضِ أنواعِ الكيمياء.. ألقيتُ عليه السلامَ فردَّ السلامَ دون أن ينظرَ نحويَ، تابعتُ سيري حتى وصلتُ لمنزلِ أبي، ذلك العجوزُ اللعينُ الذي يرفض إعطائي أية أموالِ بحجة غضبه عليّ، فقد تزوجتُ من امرأةٍ لا تروق له، ولا تصلح لي من وجهةِ نظره.

قمتُ بالطرق على بابِه وانتظرت قليلاً حتى فتح لي، نظر في عينيَّ للحظة، ثم تركني واقفًا ودخَل، تحركت وراءهُ مُتمنيًا فصل رأسه عن جسده، جلس على كرسيه، ثم أشعل "البايب" الخاص به.

- خير عايز إيه؟

ألقاها بملل، فأجبتُ ولساني يلتصق بحلقي وكلماتي تخرجُ متلعثمةً كالعادة:

- محتاجـ جك.

- محتاجني ولا محتاج فلوسي؟ (كانت لهجتهُ قاسية)

- لا محتاجـ جكـ كك إنتـ ت.

أخرجَ دخان البايب من فمه، ثم نظر نحو النافذة التي تساقطت قطراتُ المطر فوق زجاجها، وقالَ وكأنه لا يرأني:

- بس إنت عارف إني غضبان عليك ليوم الدين.

حاولتُ استدراجَ عاطفته:

- بس أنا متـ تعشـ شم في رحمتكـ ك عليا.

- كان زمان، ربنا هو اللي بيرحم، لكن احنا مبنرحمش يا أبو نص لسان.

شعرتُ بحنقٍ وأنا أقول:

- إنت ليه بتعمل معايا كده؟ ده أنا ابنك.

ضحكَ ضحكةً مستفزةً وهو يقول:

- كنت إبني قبل ما تعصى كلامي وتتجوز واحدة أنا مكنتش راضي عنها، أمك أيام ما كانت عايشة كانت بتساعدك وتقومك عليا، لكن دلوقتي بح، مبقاش ليك ضهر يسندك.

اغرورَقت عيناي بالدمع وشعرتُ أن الكلماتِ تتوهُ وتتبخر:

- أنا.. أنا حر في حياتي وأعمل فيها اللي أنا عايزه، أنا مبشحتش منك، أنا بطلب حقي من فلوس أم أمي.

صرخَ في وجهي فجأة:

- أمك الله يرحمها، اللي بينا المحاكم، وطول ما أنا عايش مش هطول مني جنية واحد.

نظرتُ له في حنقٍ والتفتُّ حتى أُغادر، لكن قبل أن أخرجَ استدرتُ قائلا:

- يبقى الحل إنك تموت.

ابتسمَ بسخريةٍ قائلاً:

- ومين اللي هيموتني؟ إنت يا متهتهاتي؟

وجدتُني أنطقُها بثبات:

- أأأيوه.

*****



في المنزلِ ارتفع صوتي مُختلطًا بصوت "أسماء"، ونارُ الخلاف بيننا على أشدِّها تكادُ تحرق البيت كله.

– إنت جبت آخرك، فلوس أخواتك اتقطعت، وأبوك غضبان عليك، وفلوس شغلي خلاص مبقتش تكفي لآخر الشهر.

صرختُ بها:

– أبوويا غضبان عليا بسـ سببك، وبسبب إنياتجووزتكـ ك يا هـ هانم، وبعددين إنتي هتذليني بالملاليم بتاعتكـ ك دي؟

رفعَت حاجبها الأيسرَ وهي تقول:

– أيوه هذلك، ومن النهاردة لو منزلتش تدور على شغل يا جمعة، هاخد البت وأسيبلك البيت وأمشي.

اخترقَت كلماتها قلبي فخانتني عيناي، لتتركَ العنان لدموعي.

– إنتي إنتيييي بتهدديني يا أسـ سماء؟!

– مبهددش حد بس خلاص جبت آخري، ومبقاش عندي استعداد أكمل مع واحد فاشل زيك.

كانت لهجةُ كلامها لهجةُ امرأة حزينةٍ ومكسورة، تحاولُ أن تغلفها بالقسوة، حاولت أن أستعطفها بنَظراتيَ وأنا أقول:

– الفاشـ شل ده اللي كنتي بتـ تحبيه زماان.

لم تعُد تستطيع التمسك بقناع القسوة الذي ترتديه أكثر من ذلك، فسقط القناع، ومعه سقطت دموعها:

– كنت عبيطة وعميا، أنا رايحة الشغل ولما أرجع ياريت تكون فكرت في كلامي، خلي بالك من بنتك.



أشاحَت بوجهها عني، ثم توجهَّت نحو باب الشقة، خرجت وأغلقت الباب بعنف.

*****

ذرفتُ دموعًا كثيرةً مُتذكرًا لعثَمتي وكسلي وفشلي في الحياة.. أتعلم؟.. أحيانًا أتعجبُ من نفسي، فبداخلي لا تُوجد مشاعر الغيرة، القلق، الخوف على زوجتي وابنتي.. أعتقد أن بداخلي بعض الخوف، لكن على نفسي فقط، هذا أنا.. "جمعة" الكسول المُتدنس، لا أملكُ أي ميزةٍ أو صفةٍ جيدةٍ تشفعُ لي، ما فائدتي في الحياة إذًا؟ لا أعلم حقًا.

شعرتُ بيد صغيرةٍ تمسح دموعي، نظرت نحو صاحبة اليد فكانت ابنتي "جنى"، قبَلتها وشعرتُ لأول مرة منذ فترة بحبٍّ يجتاح قلبي تجاهها.

حدثَتني بصوتٍ هادئ:

- بابا إنت بتعيط ليه؟ ماما زعلتك؟

ابتسمت قائلاً:

- لأ مشـ ش بعيط، أنا بسس تعـ عبان شوية يا حبيبتي.

داعبت يدها الصغيرةُ وجهي فابتسمتُ وأنا أتأمل ملامحها المِلائكية، كانت بيضاء جميلة ذات شعر أسـود داكـن ناعم، تمتلكُ عينين خضراوتين أخذتهُم من كسولٍ كبير، كانت قصيرةً بعض الشيءِ مثل أمها، لكنها كانت بالغةِ الجمالَ.

- هقوم أعـ عملك الفـ فطار اللي بتحبيه يا جنى.

تهللت أساريرُها بعد أن قلتُ لها هذا، وقالت:

- ماشي يا بابا.



وقفتُ في المطبخِ أقوم بإعداد بعض الشطائر مع كوب من العصير، كان المطبخ يضيقُ بي حتى كدتُ أن أختنق من حرارةَ النار أمامي، وقبل انتهائي من الطعامِ بدقائق، قلت لها:

- ممكن يا جـ جنى يا حبيبتي تجبيلي سجـ جاير ومعاهم شيكـ كولا تـ ته ليكـ كي عقبال ما أخلص الأكل.

ارتسمَت على وجهها البهجةُ فبدت أكثرَ بهاءً:

- بجد؟ (ثمَّ تراجَعت بهجتُها وأردَفت) بس إنت عارف إن ماما مش بتخليني أكل شيكولاته.

تكلمتُ بثقةٍ وأنا أناولها النقود:

- مالكيش دعوة بماما، يلا خدي الفلوس وانزلي بسرعة.

اختطفَت مني النقودَ وركضَت نحو الشارعِ بملابس البيت، وبعد ثلاثة دقائق، صوت فرملة في الشارع، صراخٌ وعَويل، هرجٌ ومرج، ما الذي يحدث؟! حاولتُ أنَ أتجاهل الأصوات ولكن.. إنهم ينادون اسمي، لماذا يصرخون باسمي في الشارع؟ ركضتُ نحوَ الشباك، ورأيت حشدًا من الناس في الشارعِ يلتفون حول ما يشبهُ جسد طفلةٍ صغيرةٍ مُسجاةٌ على الأرضِ والدماءُ تسيل منها، إنها "جنى"!

*****

جلستُ على أرضية المستشفى أحتضنُ ساقايَ بينما يبذل الأطباء ما في وسعهم بداخل غرفة العمليات لإنقاذ "جنى"، ضربني البردُ القارصُ وجعل جسدي أشبهَ بالجثة، راحتِ الدموعُ تتساقط من عيناي بغزارةٍ كأنها شلالاتُ مياه، سمعت صوتَ وقع أقدام تقتربُ مني فانتصبت في مكاني بسرعة، ونظرتُ في عيون الشخص الواقف أمامي، وارتجفت شفتاي ألف مرةٍ قبل أن أنطق:



- أ أ أسـ سـ ماء!

صرخَت في وجهي والدموعُ تتناثر من عينيها:

- إنت معندكش أي احساس بالمسئولية، حتى حتت البنت معرفتش تحافظ عليها.. عارف ليه؟ لإنك فاشل.

حاولتُ أن أدافع عن نفسي فقاطعَتني بصُراخٍ صمَّ أُذني:

- اخرس.. إنت لسه هتقول وتبرر، منك لله، منك لله.. ورقة طلاقي توصلني في أسرع وقت يا جمعة، خلاص إنت بقيت ميت وريحتك عفنت، وماينفعش أعيش معاك تاني.

حرَّكت شفتاي بصعوبةٍ شديدةٍ وحاولت التكلم:

- كـ كـ كل اللي إنتـ تي عايزاه هعمللل هعملهولك، بس بس بس البنت تخرج الأول.

- فارقة معاك أوي صح؟ إنت مايهمكش حاجة.

نظرتُ لها ولم أستطِع الرد.

خرجَ الطبيب من غرفة العلميات، فأسرعنا نحوه وسألت أسماء بلهفة:

- طمني يا دكتور؟

أجاب:

- البنت كويسة، لحقناها في آخر لحظة، بس هي عندها ارتجاج بسيط في المخ واحتاجت نعملها تركيب شريحة في الرجلين، بس..

لم يُكمل الطبيبُ كلامه، فاشتعل القلق بداخلنا وسألته "أسماء" بذعر:

- خير يا دكتور! بس إيه؟



- البنت محتاجة عملية غالية جدًا، وإلا مش هتقدر تمشي تاني.

ضربَت "أسماء" على صدرها قبل أن تسقط مغشيًا عليها، وصُدمتُ أنا فأظلمت الدنيا في وجهي.

*****

عندما حان موعدُ زيارتنا لـ"جنى"، دخلنا إلى غرفةٍ بيضاء اللون بها سريرٌ واحدٌ تنام عليه، وترتدي ملابسًا بلون المروجِ الهادئة، وموصل بجسدها العديد من الأجهزة، ركضَت "أسماء" نحوها وهي تقول:

- سلامتك يا حبيبتي.

فتبعتها أنا بقولي:

- يارب كُـ كنت أنا وإنتي لأ يا حبيبتـ تي.

ردَّت "جنى" برقةٍ وحنان:

- بعد الشر عليك يا بابا، إنت ملكش دعوة.

تملكتني بعض الراحة، لكن قضمتها "أسماء":

- مخدتيش بالك ليه يا حبيبتي وإنتي بتعدي الشارع؟

تردَّدتُ قبل أن تجيب:

- نسيت أبص من فرحتي إني هشتري شيكولاتة.

التفت "أسماء" لتنظر نحوي بغضبٍ وهي توجه ليَ الكلام بعنف:

- اديت بنتك تجيب شيكولاتة وإنت عارف إنها عندها حساسية وبتتعب.

قاطعتها "جنى":

- ماما مش تتخانقوا علشان خاطري.

- خلاص يا حبيبتي مافيش خناق ولا مشاكل تاني، علشان بابا هيسافر.

قالتها "أسماء" لتطرُدني من حياتها بشكلٍ صريح، فنظرتُ لها مُعاتبًا.

تساءلت المسكينةُ الصغيرة:

- هتسافر فين يا بابا؟

- هسافر أشتغل برّه ياحبيبتي. (أجبتُها بحنق)

أكملنا بقيةَ اليوم بين عتاب في نظرات "أسماء" لي، ومحبةٌ في نظراتها إلى "جنى" تلك البريئة الّتي لم أستطِع حتى الحفاظ عليها، نعم فأنا فاشلٌ كما كانت تردد زوجتي على مسامعي دومًا.

*****

بعد مرور أسبوع.. كانت حالة "جنى" قد تحسنت، لكنها لا تزال غير قادرة علىَ المشي، خرجنا من المستشفى وعُدنا إلى منزلنا، وكان عليّ أن أبدَأ في الاستعداد لمغادرتِهم كما أرادت "أسماء"، في أثناء ذلك، سألتني "جنى" ذات مرة سؤالا أحرقَ قلبي:

- بابا.. هو أنا هرجع أمشي تاني؟

- ماتقلاقيش، قريب أوي هتتحركي وتجري وتروحي المدرسة.

قُلتُها وأنا أُحاول أن أبدو واثقًا بقدر الإمكانِ أثناء حديثي معها.

- بجد يا بابا؟ بس امتى لأني زهقت ونفسي أرجع أجري وألعب مع صحابي.

- قـ قريب أوي.. قريب أوي يـا جنى يا حبيبـ تي، بس إنتي اصبري شوية.



احتضنتُها، وحرصت على ألا أجعلها ترى دموعي.

*****

سرتُ باتجاه الشُرفة، فتُحتها ناظرًا إلى السماء، ضرب البرق مرةً واثنتان وثلاث، وضربت آلهة الرعد طبلة أذني، المنظر مُهيب للغاية، لم يكن مجرد برق، بل نيرانٌ تحركت من فوق السحاب وارتطمت بأجسادٍ صرخت عندما لمسَتها تلك النيران، وكأنها حربٌ قائمةٌ بين الغيوم.

ضاق صدري وشعرتُ بالاختناق، فارتديتُ ملابسيٍ وخرجتُ أتجول في الشارع الخلفي لمنزلي، كانت الساعة قد تخطت الثالثة فجرًا، فصادفت المحتال المدعو "عبده الأزرق" ثانيةً.. كان يقف على النواصي ليلاً ليبيع السموم، ويتذوق من أرباحها ما يحلو له من كحولياتٍ ونساءٍ وأقراص تُغيب العقل، رائحته كانت كريهة، وبمعدل كل ثانيتين يبصقَ على الأرض كأنه يسبح في بحر، وجدته ينادي عليَّ ويسألني:

- إيه مالك شايل طاجن ستك ليه؟ وإيه مبقتش تسأل يعني ولا بتشتري حاجة من الأزرق حبيبك؟

أجبتُه وأنا أنظرُ للأرض في ضيق:

- أأأأبدًا.. الحالة المادية نـ نيلا ومفيش فـ فلوس وممكـ كن أتسجن في أي وقت وبنتـ تي جنى عـ عيانة.

رد عليَّ بلهجةٍ شعرت فيها بالسخرية:

- يا حول الله يارب، دنيا مبقاش ليها أمان، بس أنا معايا اللي يريحك، امسك.. خد الأول اللي هتريحك مؤقتًا.

ناولني حبةً صفراء اللون، كنت أعرفها جيدًا وأخذتها مرارًا لتُذهب



عقلي بعيدًا.

نظرت لها وقلت:

- بسـ س إنت عارف إإإني مش هـ هقدر أددفع حقها.

- يا راجل ولا يهمك، احنا ولاد حتة واحدة، اعتبرها هدية مني.

قالها "الأزرق" ضاحكًا، فتناولت الحبة بسرعةٍ من يده وابتلعتها بدون ماءٍ حتى.

أردف "الأزرق":

- دي هتريحك مؤقتًا، بس في حاجة لو قبلتها، هتريحك علطول.

- أأنا مفيييش حاجـجة هتريحني عـ علطول غير إن إن يبقى معـ عايا فـ فلوس.

- بالظاااابط، هي الفلوس.. ليك عندي شغلانة كبيرة أوي، هتجيبلك فلوس تقدر تعمل بيها كل اللي انت عايزه، تعالج بنتك وتسدد ديونك وتبقى ملك مافيش زيك.

قلت بلهفة:

- فـ فـ فين دي؟! لا يـ يمني عليها بسـ سرعة؟

- رجل أعمال كبير اسمه كمال أبو الدهب، حاطط أعلى سعر للي هيقوم بعملية.

- عملية إيه؟ (سألت)

أخذ نفسًا من سيجارته الملفوفة، ولمعت عيناه وهو ينطق:

- قتل.

ردَّدتُ الكلمة وراءه بصعوبة:

- أأأأقتـ تـ تل

- واحد نجس وعايز يخلص من أخوه الأنجس منه، علشان قارفه في عيشته وأذاه في حاجات كتير.. (قال كلامه هذا محاولاً الشرح، لكن عقلي رفض الفكرة)

- إنـ ت مجـ جنون؟! عـ عايزني أأقتـ تل!!

ابتسم وهو يقول لي بثباتٍ وثقة:

- على مهلك بس إنت عارف هتاخد كام؟

كنتُ أعرف ما يرمي إليه، فسألت:

- يعني هو المـ مبلغ يستـ تحق المخـ خاطرة؟

- يستحق ونص، دي فيها مش أقل من ٣٠٠ ألف جنيه. (أجابني بثقة)

فكرت لبرهةٍ ثم انبثق سؤالٌ بديهيٌّ في رأسي:

- طـ طب وإأنت متعملهاشـ ش ليه؟ وتأأ خـ خد انـ ت الفـ فلوس كـ كلها لوحدك؟

فأجاب:

- مش هينفع، العين مفتحة عليا الفترة دي.

لم أقتنع بحجته، لكن أسئلتي تتابعت:

- وإنـ ت مُستفيد إيه مـ مني؟

أشعلَ سيجارةً جديدة، وأخذ نفسًا منها وضيقَ فتحتي عينيه قائلاً:

- سمسار، جايبلك شغل وهاخد نسبتي.

تناحرت الأفكار داخل رأسي وأنا أقول:

- طيب اديني يومين أفكر وهكلمك.

- فل يا شبح، بس ماتتأخرش عليا.

*****

أثناء متابعتي للتلفاز ظُهر اليوم التالي رنَّ جرس الباب، ففتحتُ لأجد صلعةً لامعةً لرجلٍ في الخمسينات في مقابلتي، فتح فاهُ وحرك شفتاه الغليظة قائلاً:

- إزيك يا جمعة؟

- تمام يا شيخ سيد، اتفضل.

- لا شكرًا، بس أنا جاي أفكرك بإيجار تلات شهور لسه متدفعش، وأنا مش هقدر أستنى أكتر من كده، وأديك شايف الحال.

شعرتُ بتهديده لي فقُلت:

- حاضر يا شيخ سيد، صبرك بس عليا.

أشارَ بثلاثةِ أصابع بدينةٍ نحو وجهي وقال:

- أنا صابر عليك كل ده، بس إنت مش مهتم تدفع حتى ولو جزء بسيط، قدامك تلات أيام تتصرف فيهم.

قلتُ مُحاولاً استدراج عطفه:

- اديني فرصة أسبوع وكل حاجة هتكون عندك.

ضربَ كفًا بكف، ثم قال:

- ماشي سلامو عليكوا، وماتنساش أسبوع واحد بس.



أغلقتُ الباب لأجد "أسماء" واقفةً تنظر إليَّ مذعورةً قبل أن تُحدثني بصوتٍ خفيض:

- لازم تتصرف يا جمعة، خليك قاعد معانا بس شوف حل، أنا مستحيل أقدر على كل ده لوحدي، والدوا خلص وبنتك لو معملتش العملية هـ...

سكتَت عندما لاحظت أن "جنى" تراقبنا، حاولتُ أن أصرخ لأعبر عما بداخلي لكنني سكت، ورأيتُ "الأزرق" وصفقته يلوحان أمام عيني في الأفق.

فتنهدتُ وأنا أقول لـ"أسماء":

- إ إ إديني يـ يومين تـ تلاتة وأأنا هتصـ صرف وهـ هحل كل الـعـك ده.

*****

يومان وكنتُ أسيرُ أنا وشيطاني الأزرق داخل فيلا "كمال بيه أبو الدهب"، ذلك الثريّ المكتظة حياته بالأموال، جلسنا في حديقته الممتلئة بأشجار التفاح والمانجو وكل ما تشتهي الأنفس، كجنات عدنٍ التي طُرحنا منها بعد أن أكل آدم من الثمرة المحرمة، وتحملنَا نحنُ ذنبًا لم يكن لنا يدٌ فيه أو في زرعِ الشجرة حتى.. كانت فيلته محاطةً بأسوار عالية، وفي الخارج مليئة بالكثير من الحرس، جلس هو بانتظارنا وحيأنا بصوته الغليظ المرتفع:

- إزيك يا عبده؟ تعالى أُقعد وقعد البطل.

قلتُ وأنا أتفحص بدلته السوداء باهظة الثمن:

- بطل إيه يا باشـ شا، أنا ولا بطـ طل ولا حاجة.

لم يُجبني في البداية! أشعل سيجارًا من نوعٍ فاخرٍ ذات لونٍ بنيٍ غامق،

وحدَّثني بكل كبرياءٍ وعظمة:

- طبعًا بطل، لإن اللي هتعمله مش بسيط ولا سهل.

هزَّ "الأزرق" قدمه مُتحدثًا:

- رسينا بقى على الحوار تاني، علشان نظبط الكلام ونعلي الأداء.

ضحِك "كمال أبو الدهب" بصوتٍ وقال:

- انتوا داخلين سخُنين أوي، وأنا بحب كده، بصوا بقى مش هقولكم تشربوا إيه والكلام الفاضي ده خلونا ندخل في الشغل، أنا راجل بحب الشغل أوي.. أنا هديك يا جمعة اللي تطلبه مقابل عملية اغتيال لواحد قارفني في عيشتي وخسرني أعز ما أملك، مش عايزك تستغرب، بس اللي هتقتله ده يبقى أخويا، محمد أبو الدهب.

صمتُّ لأفكر قليلاً، وتردَّدتُ كثيرًا قبل أن أنطقَ الرقم:

- أنا عـ عايز مـ مليو يون جـ جنيه.

التفت "الأزرق" ناحيتي بتعجبٍ شديدٍ وقال:

- إنت اتجننت! مليون جنيه؟!

أشارَ "كمال" إلى "عبده" بحزمٍ ثم ضحك وقال:

- هاهاها.. موافق.. وخدوا دي كمان، نسبتك يا عبده اللي أكيد اتفقت عليها مع جمعة هتكون عليا ومش هتاخد حاجة من جمعة.

ابتسمتُ بفرحٍ داخلي وسألت:

- تمام، التنفيذ إمتى؟

- بكرة الساعة ١٢ ونص بليل.



تعرَّق جبيني من رده فسألتُه:

- بالسرعة دي؟!

فرد:

- آه.. أنا مستعجل والمبلغ مش صغير يا جمعة، يبقى لازم كل حاجة تتم في السريع، وأنا عند كلمتي يوم ما تتم العملية الشيك هيكون عندك، وممكن كمان أجيبلك الفلوس وأخلي حد من رجالتي يوصلهالك، علشان محدش يشك فيك إنك سحبت مبلغ ضخم زي ده.

تهللت أساريري وفرحت..

- طيب قولنا خطتك يا باشا وشوية التفاصيل المهمة. (قاطعنا "الأزرق")

نظرَ "أبو الدهب" للأزرقِ بغيظٍ للحظات، قبل أن يسترسل:

- الخطة هتكون الآتي..

*****

في اليوم التالي ليلاً، وقفتُ في إحدى الشوارع الخالية من الحياة ومن أي كائنٍ حي، مرَّت بجواري السيارة التي بها غايتي، فأطلقتُ العنان لدراجتي النارية مُتحركًا خلف الهدف، ثوان وأطلقتُ نيراني من فوهة مسدس كاتم للصوت على إطار السيارة فَتوقفَت، وسمعتُ صوت احتاكك العجَلات بالأسفلت، تحركتُ بالدراجة سريعًا لأصبح أمام المطلوبة روحه، وأطلقتُ الرصاص على رأسه وقلبه، ثم على رأس سائقه الذي تبلد أمامي من الخوف، أغرقت الدماء السيارة، وفي تلكَ اللحظةَ رأيت سيارةً أخرى تابعةً لـ"محمد أبَو الدهب"، بها أربعة رجال راحوا يوجهون طلقاتِهم نحوي، اصطدمت العديد من تلك الطلقاتَ بجسدي، لكن الملابس الواقية من الرصاص التي وفرها لي "كمال"



وفرت لي الحماية الكاملة، لكنها لم توفر الحماية لعجلات الدراجة النارية، وقعتُ على الأرض، وكدتُ أتحول إلى لحم مفروم على أيديهم، لكنهم لم يتوقعوا أن تظهر من العدم سيارةٌ سوداء، ويُفتَح لي بابها حتى أختفي بداخلها، جرت بيَ السيارةَ بعيدًا، وبدأت المطاردة..

كانت سيارتهُم أقوى وأسرع، لكني كنت مُسلحًا بالمولوتوف، أعتقد أن هذا سهل عليَّ عملية الهرب منهم، وصلت بيَ السيارة إلى منطقة مهجورة تخلصنا فيها من كلِ معدات الجريمة، وتم إيصالي بعدهاً لمنطقة قَريبة من منزلي، وأبلغتُ "كمال" أثناء عودتي بإتمام العملية، فقال ليَ والسعادة تغمرُه:

- بكرة الفلوس هتكون عندك كاش، زي ما اتفقنا يا بطل.

وأغلقَ الخط.

*****

ظننتُ أن كل مشاكلي ستُحل.. وفرَت نقود العملية المطلوبة لـ"جنى" وثمن الدواء، دفعتُ الإيجار أيضًا، بل إنني أصبحتُ أخطط للانتقالٍ إلى منزلٍ جديد، كان من الطبيعي أن تسألني "أسماء" عن مصدر كلِ تلك النقود.. وكانت الإجابةُ حاضرة: "دي دي فـ فلوسي من ورث أممي"، أجزمُ أنها لم تصدقني في البداية، بل حتى بعد ذلك لم تصل لدرجة اليقين من صدق كلامي.. النساء يا صديقي، من الصعب خداعهُم بسهولة، إنهم يشمُّون رائحة الكذبِ كما تشم الكلاب البوليسية رائحة المجرمين، إذا صدَّقت إمرأةٌ كذبكَ عليها يومًا، اعلم أن هذا لأنها تريد أن تُصدق، ليس لأنك أذكى أبناءِ جنسك وتمكنتَ من خداعها.

في يوم عملية "جني"، وقفتُ أنا و"أسماء" بالخارج في انتظار خروجها، تأخرت ساعةً كاملة عن ميعاد انتهاءِ العملية، وعندما فتح الباب ركضتُ نحو الطبيب الذي لم تُظهر ملامحه أية تعبيرات.



سألتُه بقلق:

- خـ خير يا دكـ كتور؟ طمممني.

- احنا عملنا اللي علينا والباقي على ربنا بقى. (ردَّ فتدخلت "أسماء")

- يعني إيه يا دكتور البنت كويسة طيب؟

مسح حبات العرق التي غزت وجههُ وأردف:

- كمان يومين هتبان نتيجة العملية إذا كان البنت هتقدر تمشي ولا لا.

- يعني إيه بعد كـ كل اللي عـ عملته والبنت ممكن ماتمشيش تـ تـ تاني؟

قلت بغضبٍ فوضع يده على كتفي لتهدئتي وقال:

- ماتقلقش يا أستاذ جمعة، الأمور هتبقى بخير بإذن الله.

ثم تركنا وذهب.

وفي الأيامِ التالية قام بعمل اختبارِ المشي لها، وكانت الفرحة عندما عادت مرةً أخرى لتسير وتلعب، كُنت أنظر لها هي وزوجتي وأنا أشعر بأن هُناك كارثةً ستحدث قريبًا، هذا الشعور الداخلي الذي ينغص عليك حياتك ويخبرك بأن الأمور لن تظل بخير هكذا طويلاً، وسينقلبُ عليك فيلٌ هنديٌ ثمينٌ وأنت في غابة الحياة منشغلاً بصراع البقاء والتمسك بلقمة العيش.

عُدنا إلى المنزل وبدأت الأمور تتحسن وتتغير للأفضل، إلى أن رنَّ جرس الباب في يوم، ففتحتُ لأجد "الأزرق" يقف أمامي.

سألته بجفاء:

- خـ خير، عـ عايز إيه؟

- خير إن شاء الله بس كنت محتاج قرشين منك.

قلتُ له بتهجن:

- قرشين تـ تاني؟! إنت واخد مني ١٠٠ أألف غـ غير اللي لهفته من ككـ كمال، مع إن ممششش من حقك كـ كل ده.

مسح أنفه بيدهِ وأردف:

- الحالة نايمة على الآخر يا صاحبي، والفلوس عملت بيها شغل ومزنوق.

ابتسمتُ بسخريةٍ وقلت:

- صحـ حيها بعيد عـ عني يا أزرق وخلاص خـ خلصت.

أضاقَ عينيه وسألني:

- يعني إيه؟

شعرت بشجاعةٍ وثقةٍ غير معتادين، ووجدتُني أقول له:

- يعني كـ كش ملكـ ك، مـ ملكشـ ش فلوس عـ عندي.

- لأ الجرأة حلوة مافيش كلام! بس خاف على نفسك بقى.

قالها وهو يبتسم، فحاولت أن أبدوا أكثر ثقة:

- خـ خاف إنت على نفـ فسك علشان المعـ عبد لو اتـ تهد، هيتـ تهدد فـ فوق الكـ كل.

- ده انت بقيت بلطجي وبتهدد كمان ومش فارق معاك حاجة! ماتنساش إني ممكن أدبحك إنت وعيلتك بدم بارد ومش هاخد فيك يوم.

حاولتُ استفزازه أكثر، فضحكتُ قائلاً:

- البلطجة دي بتاعتك إنت مش بتاعتي.

أمسكني من ياقة قميصي وكاد أن يقطعها، فتقهقرَت ثقتي وشعرت بخوفٍ انتابني، وهربت مني الكلمات حيث بدأ جسدي يرتعش:

- عسل أوي، أنا ماشي، بس افتكر إنك خسران كتير يا أبو نص لسان، والمعبد لو وقع، هيقع عليك إنت كمان، سلام.

ترك ياقة قميصي وذهب، حاولتُ أن أصرخ فيه فعجزت، لكن بعض الحروف المتقطعة الجبانة خرجت مني:

- ال ال اللي عندددك اع اع أعمله يا أززززرق.

أغلقتُ الباب خلفه، والتفتُ لأجد "أسماء" تنظر في عينيَّ وتسأل:

- أنا سمعت أغلب كلامكم، بس مافهمتش هو عايز منك إيه يا جمعة؟

كنتُ أتصبب عرقًا وقد هربَت مني كل الكذبات والكلمات:

- خـ خـ خليك كي في حالك يا أسـ سماء.

تركتُها فجَذبتني من ثيابي وعلا صوتها:

- أخليني في حالي ازاي وهو بيهددك؟

- مايقدددرش يعمل معـ عانا حاجة، لأني مااااسك عليه بلاوي.

ولوَلت "أسماء" وعلا صوتها وهي تلطُم صدرها.

- وطيبي صـ صوتك، أأنا هعرف أأسكـ كته.. ماتقلقيش.

*****

دلفتُ إلى غرفتي وأخرجتُ من الدولاب مُسدسًا خبأته لمثل تلك الظروف.. أعددته جيدًا، ثم أخرجتُ هاتفي وطلبتُ "عبده" لأعتذرَ



منه وأطلب مقابلتهُ لأعطيه المالَ وطلقتان في صدره، لكنه لم يُجب، وبعد ثوان أغلق هاتفه، شعرتُ بالقليل من الخوف الممزوج بالقَلق، بالإضافة إلى ثُقل في كل أعضائي، وقررتُ أن أنسى الموضوعَ اليوم، وأذهب للنوم قليلًا.

*****

في اليوم التالي، وقبل أذان الفجر.. استيقظتُ على صوت تكسير قوي لباب غرفتي، بينما زوجتي و"جنى" تصرخان وتستنجدان بي، استَغرق مني الأمر عدة ثوان لأستوعبَ ما يحدث، أمامي أربَعةُ ملثّمين، وفي أيديهم أسلحة ثقيلة، جذبوا "أسماء" و"جنى" للخارج، وعندما حاولتُ أن أقوم بإنقاذهنّ باغتني أحدهم بضربةٍ على رأسي ومعها فقدت وعيي.

*****

في تحقيقات النيابة العامة تسمَّرت أمام وكيل النيابة الذي كان يرتدي بدلةً سوداء أنيقة، ويمتلكُ شعرًا خفيفًا تتوسطهُ صلعةٌ لامعة، وأنفا غليظةً كبيرةً تتحركُ في كل الاتجاهات كُلما تحدث، انتظرتُ أمامه قليلًا حتى انتهى من بعض الأوراق في يده قبل أن يوجّه حديثه لي:

- ترجح مين اللي عمل كده يا جمعة؟

جعل يراقبُ حركات جسدي حتى يكشفَ صدقي من كذبي، فحاولتُ أن أبدو واثقَ الكلماتَ:

- هو الأزززرق، مفـ فيش غـ غيره يا فندم.

تحركَت تجاعيد وجهه، قائلاً:

- عبده؟ اشمعنا؟

أجبت:



- لأنه كان بيهددني وعايز يستلف مني كل شوية فلوس ومايرجعهاش.

تعجَّب وكيل النيابة من إجابتي وتساءل:

- واشمعنا إنت يستلف منك؟ مع العلم إن المعلومات عنك بتقول إنك عاطل وماحلتكش حاجة!

قلتُ بتردد:

- بس بس يا باشـ شا أأنا ليا أأب غـ غني جـ جدًا، مـ محمد عبد المـ مانع رجل الأأعـ عمال الكـ كبير.

- بقى انت ابن محمد عبد المانع! مش ده اللي اتهموا إنه تاجر سلاح واتحقق معاه كذا مرة؟! (تساءَل فأجبتُ متوترًا)

- هـ هـ هو ياباشـ شا.

- إنت نايم في بيتكم شكلك مش حاسس بحاجة.

- مش فاهمكـ كـ ياباشـ شا، خخير؟ (سألتُ متعجبًا)

ابتسمَ وظهرت أسنانه البيضاء:

- حابب أعرفك إن الأزرق امبارح في حد هجم على شقته وضربه ودبح مراته، يعني مكانش فاضيلك.

شعرتُ بألم يلتهمُ عقلي، وأصبحت علامات الاستفهامِ تدور حول رأسي، "إذا لم يفعلها "الأزرق" فمن فعلها؟!!"

- معقولة اللي سعادتك بتقوله؟! (سألت)

حملت ملامحُه القليل من الغضب وهو يقول:

- أكيد مش ههزر معاك في سرايا النيابة يابني.

- أأصله يا باشـ شا عدى عـ عليا لـ لليلتها، وطـ طـ طلب مني فلوس وهددني.

عدَّل من ياقة قميصه ودخَّن نفسًا من النيكوتين، وحدثني وهو ينظر إلى عيني وكأنني متهم:

- ما أنا قولتلك يستحيل يكون عمل كده، تحب تتهم حد تاني؟

فكرتُ قليلاً قبل أن أردَّ بتوتر:

- لا يابـ باشا معرفشـ ش حد تـ تاني ممكن يعمل كـ كده.

- أكيد؟ (سأل)

- أأأكـ كيد يافـ فندم. (فأجَبت)

نظر إلى الكاتبِ الذي بجانبه وهو يحك رأسه ويقول:

- اقفل المحضر يابني.

*****

خرجتُ من القسم وقد حددت مُسبقًا وجهتي القادمة، كُنت بالفعل أشك في أحدهم، وكان عليَّ أن أتأكد بنفسي، استقليتُ تاكسي وأعطيتُه عنوان فيلا "كمال أبو الدهب"، واستمر الطريق نصف ساعة قبل أن أصل، نزلتُ من التاكسي وأعطيتُ السائقِ أجرته، والتفتُّ أنظرُ إلى الفيلا لأصطدم بمشهدٍ غير مفهوم، سرادقُ عزاءٍ كبير و"كمال بيه" يقفُ في بدايته والحزنُ طاغٍ عليه!.. الكثير من أصحابَ البذلات السوداء وقفوا يواسون "كمال" وَيشدُّون على يده مكررين "البقاء لله"، اقتربتُ منٍ "كمال بيه" وأنا أفكرُ ألف مرةٍ فيما سَأقول، لكنني وجدتُ نفسي أسأل بشكلٍ مباشر:

- إيه اللـ لي حـ حصل؟

نظر نحوي بحزنٍ وعدم اهتمام، ظِهر وكأنه لم يتعرَّف عليَّ في البداية، ثم وضع وجههُ فَي الأرض وسقطَت دموعه وهو يُجيب:

- ابني مات في حادثة يا جمعة.

- ايه؟! (صدمَتني كلماتُه، شعرتُ بالعجز عن الرد، فحاولتُ أن أستطرد)

- يعـ عني مش إنت اللي خـ خطفت مراتي وبـ بنتي.

أظهر تعجُّبه من كلامي وسأل:

- حصل إمتى ده؟!

- النهارددة، شـ شكيت في الأزرقـ ق، بس عرفت إنـ نه في المستشـ شفى وفي حد هجـ جم على بيـ ته، وضربوه وددبح مراتته.

دفعَني لإحدى الجوانب وتكلمَ معي بصوتٍ خفيض، وعلى وجههِ ألف علامةِ استفهام:

- استنى فهمني اللي حصل!

- مشـ ش عارف الحقيقة، بسس بصراحـ حة يعني، لماا عـ عرفت إن مش الأززرق اللي ممكن يكـ كون عمل كده، ششكيت فيكـ ك يا باشـ شا، بس واضح أوي إن حـ حضرتك، مكـ كنتش فاضـ ضي ليا.

قالَ وهو يتصنَّع تعاطفه:

- آسفلك جدًا يا جمعة، إن شاء الله هتلاقي بنتك ومراتك، وأوعدك إني هخلي رجالتي يقلبولك الدنيا عليهم، ده مهما كان إنت راجل من رجالتي.



رددتُ شاكرًا:

- ربنا يخـ خليكـك لينا يا باشـ شا، أنا برضـ ضو آسـ سف إني فكـ كرت كـ كده في حضـ ضرتك، والبقاء لله في الباشـ شا ابنكـ ك.

ربَّت على كتفي بيد، وشدَّ على يدي باليد الأخرى، فجلستُ بعدها في السرادق لبعض الوقت ثم قررتُ الرحيل، لكن هذه المرة، كنت تائهًا لا أعلمُ وجهتي، فكرتُ كثيرًا بينما أمشي في الشوارع حتى تعِب عقلي، ووجد العبرات تتساقط من عيني دون أن أشعر.. لقدَ عادَ صوت الرعد مجددًا، وراحت الأمطارُ تتساقط على وجهي، فاختلطت بدموعي، شعرتُ عندها كم أنا قذر، وأن أمطار العالم لا يمكنها غسل خطاياي أبدًا، فقد أصبحت القذارة جزءًا من، ولن تزول سوى بزوالي.

*****

في غُرفتي كنتُ أجلس فوق سريري ممسكًا بعروسة قديمة كانت تخص ابنتي "جنى"، رأيتُها أمامي كطيف يجري ويلعَب ويضحك ويبكي ويأكل ويشرب، ورأيتُ "أسماء" واقفةً تنظر إليها وتبتسم، "أسماء" التي لم تعرف معنى الحب والاحتواء والأمان في كنفي.

احتضنتُ العروسة وبكيت، بكيت حتى ذهبتُ في النوم، هربتُ إلى عالم الأحلام متمنيًا أن يكون الواقع هو الحلم، وأن أستيقظ لأجد أن الحلم هو الواقع، واقعٌ سعيد، لكن الأحلام لم تكن أكثر رحمةً من الواقع، شبح "محمد أبو الدهب" طاردني طوال الحلم، وحوله إلى قطعة من الجحيم، وجدتُ نفسي في حلم سخيف ومتُّ في نهايته.. كنتُ بالحلم داخل حمام محطة قطار، كيفَ علِمتَ؟! من خلال صوت القطارات بالخارج.

شعرت بوجعٍ غريبٍ في عيني، نظرتُ في المرآة المُعلقة أمامي،



فوجدتُ احمرارًا غريبًا يخنُقها، دققتُ أكثر فوجدتُ شيئًا غريبًا وأسودًا يتحرك خلفي في الأرضية، التفتُ بسرعة لكني لم أجده، ضربَ الخوف قلبي، فتحركتُ ناحية الباب لأفتحه وأخرج قبل أن يقعَ حدثٌ آخر، لكن أبى البابُ أن يُفتح، اهتزت الإضاءة ثم اختفت، وجدتُ نفسي غارقًا بلا شط في الظلام، تملك الخوف مني بشدة وتيبستُ في مكاني، حاولتُ الصراخ أوالاستنجاد، لكن لا حياة لمن تنادي، خشِي صوتي من الظهور.

شعرتُ بيدٍ ملساءَ ذات برودة مرتفعة، تتحركُ من رأسي حتى منتصف جسدي، عادت الإضاءة فنظرتُ خلفي لم أرَ ما ذلك السواد اللعين.

حاولتُ فتح الباب بعنف وقمت بالطرق عليه والخبطِ والنداءِ بصوتٍ مرتفعٍ لعل وعسى أحدًا يسمعُني.

لكن النتيجة كانت صفرًا، انقطعت الإضاءة مرةً أخرى وهنا سمعتُ همهمةً مرعبةً في أذني لم أفهم مغزاها، تملكني الرعبُ ثانيةً وبدأتُ أسير في كل اتجاه كالمجنون بحثًا عن حل، اصطدمتُ بجسد مثلج وقف أمامي مباشرةً، أنفاسه كانت باردة، وامتدت يدٌ وأمسكتني من رقبتي وأخذت في خنقي، حاولتُ إبعادها بيدي وعندما لامستُها ضربتني كهرباءٌ عنيفةٌ فسقطتْ مفصولةً رأسي عن جسدي.

استيقظتُ من كوابيسي في النهاية لأجد فوهات العديد من المسدسات التي وقف خلفها بعض رجال الشرطة موجهةً نحوي.. لم يعطوني الفرصة لأستوعب حتى ما يحدث، لقد اجتروني إلى الخارج ورموني في "البوكس"، لكني وبرغم ذلك، لم أتخلى عن لعبة "جنى" التي كانت بين يدي.

*****

عندما كان الشاعران "فيرجيليو" و"دانتي" في الحلقة الخامسة من



الجحيم.. رأى "دانتي" مستنقع الموت الأسود، حيث يقبع الكسالى في الأسفل، ورأى كلماتهم تخرج من المستنقع في شكل فقاقيع هواءٍ تتفجر بمجرد أن تخرج إلى الهواء، كانوا ينشدون لحنًا ما ويقولون: "كُنا بائسين في الهواء الحبيب الذي تسعده الشمس.. وقد غمر عيوننا دخان الكسل.. ولكننا الآن نادمين داخل هذا المستنقع الأسود".

تخرجُ تلك الكلمات متحشرجةً من المستنقع وغير واضحة، فوَحل خطيئتهم يجعلهم عاجزين عن النطق بألفاظٍ سليمة.

ترك الشاعران الخطاة، وساروا في قوسٍ كبيرٍ يلفُّ حول المستنقع.

«الكوميديا الإلهية -الجحيم- الأنشودة السابعة، الأبيات ١١٨- ١٢٧»

*****

"جمعة" حالةٌ فريدةٌ للغاية، هو مشاعر متضاربةٌ بين الخوف والقلق وحب الذات وحبه القليل لمن معه، كسله نقلهُ من مجرد إنسانٍ إلى آلةٍ تبحث يوميًا عن قوتها من خلال كفاح وعرق الآخرين، جعل مَن حوله كباري تُسهل لهُ حياته بدون مقابل وبدافع داخلي يسمى الأنا العلوية، سيطرت شهواته عليه، عاش وترعرع "جمعة" من مياه الكسل فجعلته ذلك المتغطرس بلا قلب، لا أعلم هل ستصدقون تلك الشخصية أم ستدعون أنها من خيالي المريض؟ ولكن لماذا ستنكرون؟.. هناك من أمثال "جمعة" الكثيرون، ويقبعون حولنا في كل ناحية، نراهم في الشوارع حينما يحتك أحدهم بامرأة سواءٌ بالفعل أو بالقول، فيحل عليكم الصمت فهذا كسل وليس خوف، ترون "جمعة" في زحامكم الشرس داخل عربات المترو وأنتم تشاهدون الحوامل وكبار السن يقفون بأجساد متهالكة وأنتم جالسون كالبطاريق لا تُريدون مساعدتهم، إن بحثتم داخلكم ستجدون "جمعة" قابعًا فيها منذ أمد، ولكن للكسل



مراحلٌ وحدودٌ وخطوطٌ حمراء لا يجوز تخطيها، وحينما تخطاها "جمعة" سار كالزومبي وحيدًا بين أزقة وحواري الأحزان، يبحث عن مرسى الفرح، النسيان، الراحة، لكن المرسى قد غمرها بحرٌ من الظلمات.

انتهيتُ من تدوين قصته بالكامل وتركته يبكي وحيدًا.. ذهبتُ من ساحة السجنِ إلى زنزانتي، فقد شعرت أني بِحاجةٍ لتجميع شتات أفكاري، لأربطَ بين "جمعة" و"الأزرق"، وأحاول فهمَ مَن وراء اختطاف زوجته وابنته، في ظلِ انشغال "الأزرق" بمصيبته و"كمال" بموت ابنه غير المفهوم، من إذًا المتسببُ في الأساس لما حدث لـ"لأزرق" ومن قتل زوجته ووضعه في السجن أيضًا؟! من الصعب أن يكون "الأزرق" من تسبب فيما حدث لـ"جمعة"، كما أنه من خلال ما سجلت على لسانهما فـ"جمعة" دخل السجن قبل "الأزرق" بحوالِي ما يقرب الخمسة أيام!.. لكنِ حظي جعلني ألتقي بـ"الأزرق" أولاً، هل "أبو الدهب" بريءٌ حقًا؟!.. كادت رأسي تلتهب وتنفجر من كثرة التفكير، شعرتُ أنني أعوم في بحرٍ بلا شط.. أين الحقيقة؟ أين؟..

*****



الحلقة الرابعة
(الطمع)

لولا الطمع والحسد.. ما قتل قابيل هابيل..



مرَّ يومٌ كاملٌ لا أحداث مفيدةٌ تُذكر.. تفكيرٌ مستمرٌ فقط في قضية "الأزرق" و"جمعة"، ومحاولةٌ لوضع احتمالاتٍ عدةٍ لها، إلى أن قطع تفكيري هذا حدثٌ جلل.

بينما أتجولُ في ساحة السجن مُفكرًا، وجدتُّ عينا "جمعة" تذرفان أنهارًا من الدموع، ووجدت سرواله مبللاً كمن يعاني تبولاً لا إراديًا، اقتربت منه، كان ممسكًا بمجموعةٍ من الأوراق المطبوعة في يده اليسرى وبعض الصور التي لم تَظهر لي من تلك الزاوية، تحدثت معه وعلمت أنها رسالةٌ جاءت له من "كمال أبو الدهب"، وعندما استفسرت عن محتوى الأوراق، ناولني إياها دون أن ينطق، فقرأت الآتي:

"إلى عزيزي الغبي الكسلان جمعة، طبعًا إنت عايز تعرف مصير مراتك وبنتك وإيه اللي جابك السجن.. هجاوبك على كل اللي هيريحيك أو علشان أكون دقيق هيجننك.

أحب أقولك إنك غبي واللي وصلك للي إنت فيه عبده الأزرق الكلب النجس صاحبك، لما جالك البيت آخر مرة وطلب منك فلوس وانت رفضت، تليفون صغير منه راح لولاد محمد أبو الدهب أخويا اللي إنت قتلته، وفي ظرف دقيقتين حكالهم كل حاجة وبمنتهى الدقة والإقناع، الغبي حتى مخدش منهم مقابل، بس عمل كده انتقامًا منك، وقالهم إني الرأس المُدبر للي حصل، ترتب على ده موت ابني، ولاد محمد قتلوه وهو راجع لوحده بالعربية، وترتب على موت ابني نار بقت تغلي في جسمي، وكل ده نتيجة غباءك في احتواء الأزرق، علشان كده كلمت رجالتي واديتهم عنوانك، وهما بقى عملوا اللي عليهم وزيادة كمان.

بكده قلبي هدي شوية، آه صحيح نسيت أقولك، بالنسبة لمراتك وبنتك



هتلاقي في الورق اللي بعتهولك ظرف تاني صغير يا ريت تفتحه وهتعرف مصيرهم.

سلام يا كسلان بيه، وماتنساش تقرالهم الفاتحة.."

أمسكتُ الصور الفوتوغرافية التي عَلِقت في يد "جمعة"، نظرت لعينيه الشاردة إلى ما لا نهاية، بكى بعنف، ارتعشت يده وسقط مغشيًا عليه، لم يشعر به أحد حتى أنا، نظرت لما في يديَّ ورأيتُ المفزع حقًا، كانت زوجته وبجانبها "جنى" مقيدتي الأيدي، وقد تدلى جسديهما من حبلٍ مربوطٍ حول عنقيهما وينتهي إلى السقف، كان المظهر مفزعًا، لَمَ أستطعْ فعل شيءٍ له سوى أنني طلبت قدومَ أطباء السجن وهم قاموا بأكفاءِ واجب.

*****

مرَّت الأيام بعد ذلك ببطء كأنها محملةٌ بجوالات تمتلئُ بالحطب والرمل.. لا أعلم لماذا اسودَّت الأجواء فجأة، أحزنًا على "جمعة" وما حدث له؟ أم ندمًا على أسرته، راقبته جيدًا في تلك الفترة، كان يسير في ساحة السجن ذهابًا وإيابًا، كأنه فلاحٌ في موسم الحصاد، ولكنه يبحث عن حصاد لم يملأ منه يده، مقلتاه أصبحتا غائرتين، أصبح ممزق المشاعر، نظرات التوتر والقلق والرعب من شيءٍ ما قد يقع لم تعُد فيه، وهذا برهنٌ على أن قلبه قد مات، حاولت التحدث معه لكنه لم يُجب ولم يهمسَ قط، راقبته جيدًا كان في مواعيد الطعام الثابتة يأخذ نصيبه من الأرز القليل ورغيف العيش المنتهك عرضه مع برتقالة ويذهبُ بهم بعيدًا، يجلس على الأرض ولا يأكل، يتقيأ عصارة معدته الصفراء، انهمك في مراحل تعب متعددة، نُقل إلى المشفى عدة مرات، خسر الكثير من وزنه وخسر روحه وقلبه الكسول المرعوب.. في مشواري الكتابي ومنذ سماعي لقصص المساجين لم أتعاطف مع أحدٍ قط،



فلكل مهنة متطلباتها، أما "جمعة" فلم أتعاطف معه أيضًا هل ظننتم أنني سأبكي عليه؟! جعلتموني أدخل في نوبة من هيستريا الضحك، لا أستطيع إنكار أن الحزن دخل قلبي قليلاً بسبب قصته، لكنه سيخرج مع أول دفعة من أرباح كتابي عندما سيُنشر، لا أحد يستحقُّ الحزن عليه فالبشر كلهم خطاة، حفاة، عُراة.. هم المسئولون عن أخطائهم ومصائبهم، فلماذا أبكي على فأر كان يعلم أن الجبن هناك وخلفه تقبعُ المصيدة، رغم ذلك أغرته مطامعه وشهواته حتى يذهب، فلمسها ومات متعفنًا في إحدى الخرابات.

*****

بدأتُ في تجميع ما كتبته وصغتُه في شكل أدبي، ووضع حل لقصة "الأزرق" من خيالي، لكن حدث ما لم يكنْ متوقعًا، انبثق خاطٌ جديدٌ في السجن، هيبتهُ وملامحه جعلتني أخمن من هو "كمال أبو الذهب"!



سار مع العساكر تزين الأساورُ يده وأمامه الظابط المسئول عن الحبس، ومأمور السجن كان يتابع من بعيد، بالإضافة لبعض القيادات العليا، كان رجلاً رسم الزمن خطوطه على وجهه العجوز، أصلع الرأس، ولديه خصلاتٌ طويلةٌ على جانبي رأسه يغطي بها أجزاءً من صلعته، لحية خفيفةٌ تحيط بوجهه، يرتدي بذلة السجن الزرقاء بينما يمشي في علو وزهو مارق، لكنَّ عينيه يظهر الحزن بهمًا!.. لا لا.. لا أعتقد أنه حزينٌ على "جمعة"، أكيدٌ أنه حزينٌ على ولده الذي فقده، أو



ربما نادمٌ على قتله لأخيه، أو على فقدانه لكل شيء، أدخلوه لزنزانته، وأغلقوها عليه ثمَّ ذهبوا.

حاولت في الأيام التالية التقرب منه، وتابعتُ عيون "جمعة" وهي تراقبه وتعابير وجهه التي كانت تقول الكثير، كنت أظن "جمعة" سيلتهم قلبه، سيهشم رأسه، أو يفصل أطرافه عن جسده، سيفعل به ما لا تتحمله القلوب، لكنه خيب ظني، بدأت أحاول التقرب أكثر من "كمال" واقتحام وحدته، حتى أصبحتُ أجلس كل يوم بجانبه محاولا بالود استقطابه ودمج حكايته إلى فصول روايتي هذه، ونجحتُ في ذلك بالفعل.

كان يومًا شتويًا باردًا.. وبعض قطرات المطر تتساقط فوق ساحة السجن رغم أننا كنَّا في وقت ظهيرة، أمطرت السماء قليلاً كأنها تُدمع فوقنا، كان يجلس هو في آخر الساحة فوق كرسي خشبي عتيق، وقد أطفأ المطرُ السيجارة العالقة بفمه، يجلس تائهًا ويفكر في شيءٍ ما، حتى أنه لم يلحَظ أن السيجارة قد انطفأت، ولم يشعر باقترابي نحوه وإعادة إشعالي لسيجارته، استعاد انتباههُ ونظر نحوي قبل أن يُحدثني بعلوٍ وهو يرجع بظهره للخلف:

- قبل ما تعرفني نفسك وتقعد تقول حاجات كدب، أنا أعرف انت مين كويس وعايز إيه.

سكتُّ وبلعت ريقي بصعوبةٍ وقد اتسعت عيناي، لكني حاولتُ أن أستعيد ثباتي، فوجدته يُكمل:

- عايز تعرف إيه بالظبط؟

أخذتُ نفسًا عميقًا، وحاولتُ أن أُتابع التصرف بشكلٍ طبيعي.

- طيب يعني نتكلم على بلاطة، عايز أعرف مين اللي عمل كده في



الأزرق وجمعة؟ وعايز أعرف مين اللي جابك هنا؟ وبتعمل إيه رغم إن ليك نفوذ بره؟ (رَصَصتُ العديد من الأسئلة وراء بعضها البعض)

- ماعنديش مانع أحكيلك، لسبب.. إني هطق، هموت، في سر اكتشفته مش مخليني طايق نفسي، وهو اللي خلاني أسلم نفسي، السر ده لو كنت عرفته من بدري، مكنتش خسرت حياتي وأسرتي وحريتي.

- إحكى وأوعدك هترتاح معايا في الكلام.

مسحَ على صلعتهِ التي تتوسطُ بعض الشعر الرمادي على الجانبين، وتحدث بصوتٍ متهدج:

- الحكاية بتبدأ من عند أبويا، أبو الدهب الكبير.. أنا وأخويا محمد ورثنا تجارة السلاح عنه، بس أنا كنت مختلف عن أخويا، كنت متعلم وبتكلم كويس واتجوزت واحدة محترمة، حتى ابني اتعلم في الجامعة الأمريكية، ومراتي بنت ناس أوي.. محمد كان عكسي تمامًا تعليمه بسيط ومراته وولاده التلاتة أبسط منه، وحياته مش سعيدة وعلى طول في مشاكل بينه وبين مراته وعياله.

قاطعته بشغفٍ وشوق:

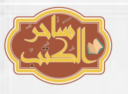
- وبعدين إيه علاقة ده بالسر؟

- هقولك على كل حاجة، بس بلاش تقاطعني تاني لو عايز تعرف.

*****

(تنويه: السطور التالية نقلتُها بأسلوبي على لسان "كمال أبو الدهب")

في إطار سوق العمل، الأذكى أفضل من الأقوى، حيث لم تعد القوة في المرتَبة الأولى بل الذكاء والتخطيط، بعد تقسيم تركة والدي علينا، دخلنا في سوق عمل السلاحِ بمصر، حيث أصبحنا من أكبر التجار،



ومن يحاول محاربتنا يصبح رمادًا.. لكن برغم ذلك، كنا أنا وأخي منفصلان دائمًا في عملنا، ولم نجرِّب العمل سويًا قط، دائمًا كانت هناك خلافات، راح ضحيتها العديدُ من رجالي ورجاله، لكن لم نكن نسمح أبدًا لهذه الحرب بأن تمسَّ أسرنا، الرجال يمكن تعويضهم، هم مجموعةٌ من العساكر في لعبتنا.. حسنًا، دعني أدخل في تفاصيل الحكاية ويكفينا مقدمات.

كنتُ أجلس على السفرة أتناول العشاء مع زوجتي وابني "محمود"، وبعد أن انتهينا ذهبوا للنوم، وتحركتُ للجلوس في الحديقة لبعض الدقائق، غلبني الوقت فسرتُ من الحديقة إلى بوابة الفيلا، شغلَتُ بالي بعدة قضايا، حتى خيَّم الليلِ على المكان وجعل من السماء ونجومها والقمر الذي تعلق فيها لوحة رائعةٍ تغري الفنانين، أحبُّ الشتاء وبرودته التي تَدخل إليَّ قشعريرةً تحتل جسدي لبرهة، قُطع تركيزي حينما لمحتُ في الأرض شيئًا غريبًا!.. ترابٌ هو مزيجٌ من اللونين الأسود والأحمر، انحنيت لألتقطه، كانت له رائحة كريهة، تفحصته فكان ملمسه خشنًا، لم أفهم ما سبب وجوده هنا، وحاولتُ ألا أبدي اهتمامًا بالأمر.

أغرتني برودةُ الطقسِ لكي أذهب للنوم، لكني وقبل أن أتحرك لمحتُ خيالًا أسودًا يتحرك بسرعة ويدخل باتجاه الصالة!.. ذهبتُ مُسرعًا وراءهُ لكن لم أجد شيئًا! لكني سمعت صوتًا وكأنَّ شخصًا يتأوهُ ويختنقُ ويُعذب من قبلِ شيءٍ ما، تحركتُ ناحيته، لأجدَ إمرأةً سوداءَ الجسد بملابسٍ محترقةً تقف وتُعطيني ظهرها، خفقَ قلبي بسرعة، واغتصَبني العرقَ فمسحته بيديَّ وسرتُ قليلًا نحوها، حتى كنتُ خلفها مباشرة، تحركتُ ونظرت إليَّ ومع وجهها المحترقِ الذي بلا فم وأنف، أطلقتُ صرخةً هزَّت أرجاء المنزل، وقعتُ على الأرض مذعورًا، فسمعتُ

صوتًا يناديني:

- بابا!

التفتُّ ناحية الصوتِ فوجدته "محمود".

- بابا انت كويس؟ مالك؟ (سألني "محمود")

- لا لا مفيش، مفيش يا حبيبي، حسيت بنغزة في قلبي فجأة بس راحت خلاص (أجبتُه)

- آخر كلام؟

قالها "محمود" وهو يضحك ويناولني يده، فأمسكتها وقمتُ عن الأرضِ ثم ربَّت على كتفه وأنا أبتسم في وجهه:

- ماتقلقش يلا بينا ننام، كويس إن فريدة ماصحيتش.

رقدتُ في سريري أتذكرُ ما وقع وأفكر فيه، في الواقع لم تكن تلك هي المرةُ الأولى التي أرى فيها شيئًا كهذا بالبيت، وأصبح الأمرُ زائدًا عن حده، رحت أفكر وأفكر حتى ذهبتُ في غياهبِ اللاوعي.

*****

في الصباحِ استيقظتُ على صوتِ هاتفي يرن، أمسكته فوجدتُّ رقمًا غيرِ مُسجلا، انتظرت قليلا، وانتهى الرنين.. لكن قبل أن أضعهُ جانبًا رنَّ مرة أخرى!.. أجبتُ بسرعةِ هذه المرة، فالتقطت أذني صوتًا خشنًا قويًا:

- ألو.. كمال بيه أبو الدهب معايا؟

- أيوة حضرتك مين؟

ردَّ الصوتُ بنبرةٍ واثقة:

- هتعرف لما تجيلي عايزك ضروري جدًا، أمر يهمك.

- عرفني إنت مين الأول؟

صمتَ قليلاً قبل أن يردِف:

- عايزك بخصوص الحاجات اللي بتشوفها في بيتك، هبعتلك عنوان في رسالة ع الموبايل، هتيجي.. وماتنساش تجيبلي التراب الأحمر اللي لقيته امبارح في بيتك.. سلام.

لم يُمهلني الفرصةَ للرد، فقدِ أغلقَ الخط في وجهي، ولم أستطع إعادة الإتصال به، فقد أغلق الخطَّ بعدها بلحظات، وأرسل إليَّ العنوان في رسالةٍ من رقم آخر، كان العنوانُ قريبًا من مقابر الصدقة بالبساتين.

على وقت المغرب وقفتُ أمام منزل عتيق برائحة بخور مغرية، وسرتُ وأنا أسمعُ أصوات تكسير وتهشّم أوراق وبقايا أغصان شجر أسفل قدمي، كان برفقتي بعضُ رجالي اللذين مشوا خلفي لحمايتي، ودخلوا برفقتي إلى هذا البيت الذي بدى ليّ مهجورًا وخاليًا من أي حياة، لم يكن أمامنا سوى ممرٍ طويل، على جوانبه أبوابٌ خشبيةٌ مغلقة، وينتهي بباب مفتوح.

عندما وصلنا إلى الغرفةِ في نهايةِ الممر، استقبلتنا سيدةٌ عجوزٌ ترتدي جلبابًا أسودًا وتمتازُ بعينٍ مغطاة باللون الأبيض، هالني منظرُها، كانت امرأةً مخيفةً بحق، ووجدّتها تشيرُ بيدها لنا لكي نتوقف، وسألَت:

- انتوا كام؟

بَدت علينا جميعًا علاماتُ عدم الفهم، فقالت:

- تلاتة.. تلاتة بس هيدخلوا.

لم أحِبذ أن أدخُل معها في حوار، اخترتُ اثنينِ من الرجال وأمرت

البقيةَ بأن ينتظروني هنا، اصطحَبتني المرأة العجوز أنا والرجلين برفقتي إلى غرفة أخرى بداخل تلك الغرفة، كانت غرفةً أكبر وأوسع وفي نفس الوقت أكثرُ غرابة.. ازدانت الحوائطُ بالجماجم البشرية والتمائم، ضف لذلك جثثَ القطط والكلاب المُحنطة، يتوسطُ كل هذا طاولةٌ تعلوها جمجمةُ ثور، يجلسُ خلفها رجلٌ يرتدي ملابسًا مرقعةً وغريبة المنظر، تعلو رأسهُ عمامةٌ حمراء، وفي يده سبحة ذاتَ خرز أزرق، أسمرَ البشرة، كثيف الذقن، ضخم البنيان، يتمتع بأنف كبيرةٌ نسبيًا بالإضافة إلى شامة صغيرة تزينُ جبهته.. بمجرد أن ركزتُ نظري مع هذا الرجل للحظاتٍ كانت قد اختفت تلك المرأةُ الغريبة، وكأنها كانت مجردَ شبح!

حدَّثني ذلك الساحرُ قائلاً:

- وريني التراب اللي إنت لاقيته إمبارح.

كانت طريقتهُ مباشرةً جدًا، حتى أنه لم يدعونا للجلوس، في الواقع أحببتُ ذلك وناولته مبتغاه، أمعنَ النظرَ فيه لثوان ثم دعانى أنا ورجالىَ للجلوس، قبل أن يقول:

- التراب ده بتاع واحدة ماتت محروقة.

ضربَتني وغـزةٌ فـي قلبي إثـرَ كلامه وسألت:

- وده معناه ايه؟

- حد عاملك عمل. (أجاب)

- عمل!!

تعجَّبتُ من الإجابة رغم أنني توقعتها، ووجدتُ نفسي أسألُ بشكل تلقائي:

- والحد ده مين؟

ترددَ الساحر قليلاً قبل أن يجيبني:

- أخوك محمد أبو الدهب ابن زينب.

في الواقع توقعتُ هذه الإجابة أيضًا، فأخي يؤمن بالسحر وقوته، وطالما سلك تلك الطريقةَ ليثأر من أعدائه، تساءلتُ بطبيعة الحال:

- طب والحل؟

- الحل إنك تخلص من أخوك يا كمال.

- ازاي يا شيخنا.. أقتله يعني؟ معقولة هعمل كده؟

- مش أحسن ما هو يقتلك.

- تقصد إيه يا شيخ؟

علَت نبرةُ صوتهِ وهو يُجيب:

- أقصد اللي فهمته وتخيلته بكل تفاصيله في دماغك دلوقتي يا كمال.

لم أستطِع منعَ خيالي وجمحهُ عن التفكير في جسدي وهو يُخترق بعدد كبير منِ الطلقات النارية التي تخرجُ منَ فوة مسدسٍ يُمسكه أخي، أطرقْتُ قَليلاً قبل أن أقول:

- يعني مفيش غير الحل ده يا شيخنا؟

- مفيش يابني غير الخلاص.. الخلاص من روح أخوك الحاسد الشيطانية، ولو ده محصلش.. العمل هيستمر، ولو هو مموتكش، العمل هيموتك إنت وأسرتك واحد وراء التاني.

بعد أن سمعتُ كلامه، خطر ببالي سؤال:

- هو إنت بتساعدني ليه؟ وعرفت منين حواري أنا وأخويا.



تحولت عينيهِ الاثنتين إلى سوادٍ غاشم واختفى اللونُ الأبيض منهما، ورأيتُ العديدَ من الخيالات السَوداء، وَهو يقول لي:

- أكيد في مقابل.. والمقابل هاخده منك لما العمل يتدمر.

سألتهُ مجددًا:

- وإيه اللي يضمنلك ده؟

أجاب:

- هتديني المقابل، وإلا هقلب حياتك لجحيم.. وبدل العمل هعملك ألف، حاجة أخيرة لازم أقولهالك.. خد ده.

ناولني ورقةً بيضاء خُطَّ فوقها بعض الأحرف والأرقام:

- ده رقم وعنوان واحد اسمه عبده الأزرق، ده اللي هيخلصلك موضوع أخوك.

- اشمعنا؟ أنا عندي رجالة يسدوا عين الشمس.

أجابني بإجاباتٍ غامضةٍ ككل شيءٍ فيه:

- لأ.. لازم واحد من بره رجالتك، ده هيساعد أكتر في فك العمل، وكده كده أنا عارف إنك هتستعين بحد من بره، علشان إنت باقي على رجالتك، وأنا أضمنلك ده.

في الواقع شعرتُ أنني تحتَ سيطرته ومجبرٌ على طاعته، كنت خائفًا منه، ومن كل ذلك الرعب المحيط به.. لذلك.. تناولتُ من يده الورقة، وخرجت بعدها أنا ورجالي من المكان، لم يكن هنالك أثرٌ للمرأة الغريبة!.. استقليتُ سيارتي الفارهةَ بصحبةِ رجالي، وعدت للمنزل.

*****



جلستُ بالشُرفة أتفحصُ بعض مواقع الإنترنت بحثًا عن معلومات في السحر والمسّ.. صُعقت عندما وجدَتُ علاماتِ المسِّ تنطبقُ علَى ما يحصل لي، وتمنيتُ لو يختفي أخي قبل أن أقتله، تمنيتُ لو صرنا واحدًا وقضَينا على فُرقتنا.. رأيتُ أَبي يتدلى ويظهرُ أمامي ممتقع الوجهَ في مشهد مسرحي، وشعرتُ أنه يريد إبلاغي رسالةً معينة لم أفهمها قط، أو للدَّقة فهمتُها لكني تجاهلتها، خائف وبشدةٍ من يوم يأتي وتتلوثُ فيه يديَّ بدمِ أخي.. لكنه من بدَأ.. هو الذي أراد تدمير حيَاتي أولاً.

سمعتُ صوت خطواتِ زوجتي "فريدة" وهي تقتربُ من الشرفة.. أعشقُها وهي تتحرك ببطءٍ وتنظرُ لي مبتسمةً وكأنها طفلةٌ صغيرةٌ تريد من والدها شيئًا ما.. مرَّ زَمنٌ على زواجنا، كبُرت أجسادنا وهرمت.. لكن لم يقلَّ حبنا.

- مالك؟ سرحان في مين كده؟

كان ذلكَ صوت "فريدة" الهامسِ الحنونِ يخاطبُني.

- لا مفيش بس بفكر في الشغل، عندي بكرة صفقة مهمة ولازم تكمل على خير.

- مين يصدق إن رغم طيبتك دي، إنك أكبر تاجر سلاح في البلد.

لم تحب "فرِيدة" يومًا عملي بحكم طبيعته الخطرة، وعندما أحبَّتني لم تكَن تعرف أنني تاجِر سلاح، لكن حبها لي جعلها تقبل أي شيءٍ في سبيل أن نبقى معًا، كُنت صريحًا منذ اليوم الأول الذي اعترفنا فيه لبعضنا بَحبنا، أخبرتها أنَّني فردٌ من عائلةٍ هي الأشهرُ في تجارة السلاح، ورغَم صدمتها لم تتخلَّ عني، حاولت رِدعي مرارًا، لكنِ لم تكل مني أو تهرب أبدًا.. لذلك أعشقها.. وسأعشقها بكل خليةٍ ونفسٍ وقَطرةِ دمٍ في جسدي.

سرحتُ في وجهها قليلاً فأردَفت:

- مالك سرحت في إيه؟

ابتسمتُ وأنا أقول:

- لأ ولا حاجة، هو احنا كنا بنقول إيه؟ آه تجارة السلاح، هو أنا يعني علشان تاجر سلاح، لازم أكون قاسي وعنيف في تعاملاتي! وبعدين تجارة السلاح مش عيب ولا حرام، ازاي؟ هفهمك دلوقتي واحد عنده أرض ومش ...

قاطَعت "فريدة" كلامي قبل أن أسترسِل فيه لتُكمل هي:

- ومش عارف يحميها يجي لمين؟! يجيلك إنت، واحد خايف من بلطجي أو حد بيهدده يجي لمين؟ يجيلك برضو.

قهقهتُ ضاحكًا وقلت:

- الله يفتح عليكي يا حبيبتي.. مانتي عارفة كل حاجة أهو.

كان بيدِها سيجارة، أطفأتها وهي تقول:

- ماهو علشان بسمعه منك بقالي أكتر من عشرين سنة يا حبيبي، طب بالنسبة بقى للي بيستخدموا السلاح في الجرايم والمصايب؟

فابتسمتُ قائلاً بثقة:

- مش مشكلتي بقى.. كل حاجة ليها استخدام كويس واستخدام سيء زي السكينة بالظبط.

أمسكتُ تفاحةً من أمامي وقمتُ بتقطيعها وأعطيتُها جزءًا قبل أن أستطرِد:

- السكينة اللي قطعتلك بيها التفاحة دلوقتي، في غيري ممكن يقتل

بيها حد أو يسرق ويثبت.. هل نمنع السكاكين ومانقطعش بيها علشان واحد ولا اتنين استخدموها غلط؟

ضحكت بصوتٍ عالٍ وقالت لي:

- بحبك علشان بتقدر تقنعني بدبلوماسيتك دي.

- وأنا بحبك لما بتقتنعي وبتصدقي أي كلام بقوله.

أشعلتُ سيجارة وأشعلَت هي الأخرى سيجارة، وأنا أردِف:

- أول جملة قالها صامويل كولت لما اخترع المسدس (الآن يستوي القويُّ والضعيف) السلاح غاية ووسيلة قوية لا يمكن الاستغناء عنها.

قالت لي:

- وده طبعًا لإن الإنسان بطبعه بيميل للشر.

- الطبيعة البشرية في أساسها بتميل فعلاً للشر، من أول لحظة في الحياة لما قابيل قتل هابيل والصراع النفسي اللي نشأ جوه قابيل.. فبالتالي البشر بطبعهم الغدر والكره وحب الذات.

- خلينا نغير الموضوع علشان بقت سواد أوي كده.

ابتسمتُ وأطفأتُ سيجارتي، ثم حاولتُ أن أغيرَ الموضوع فتساءَلت:

- أمال فين محمود صحيح؟

بدلَت من جلستها وهي تقول:

- نزل يا سيدي هو وخطيبته علشان يشتروا الحاجات اللي ناقصة، خلاص فاضلهم شهر ويتجوزوا.. مش عارفة مستعجلين على نيلة إيه!

قلتُ بصوتٍ منخفضٍ وخبيث:

- طب ما احنا كنا مستعجلين برضو.. ولا نسيتي يا هانم.

انفجَرت منها ضحكةٌ رقيعةٌ وقالت:

- لا مانستش.. فاكرة كل حاجة.

اقتربتُ منها وقبلتُ يدها ورأسها، ثم سحبتها إلى الداخل وقامت بيننا علاقةُ حبٍّ وحنينٍ لذكريات من الماضي السحيق، وفي أحضانها حلّقت روحي بعيدًا إلى سُبلَ الراحة والطمأنينة.. قبلتُها قبلةً أخيرة.. وذهبنا بعدها في رحلةٍ إلى مدينة الأحلام.

*****

كنتُ أسير في شارع ترامت فيه الجثثُ عن يميني وعن شمالي.. الطلقاتُ النارية اخترّقت أجسادهم وقطعتها، الطقس حارٌّ هنا ولا يوجدُ أي مصدرٍ للإضاءة، توغلتُ للداخل حتى وصلت إلى سيارة سوداءَ فارهة، لوّثت زجاجها الدماءُ لدرجة أنها حجبت الرؤية عمّا بداخلها، اقتربت وفتحت بابها لأجد جثة زوجتي وابني.

شهقتُ.. وقمت مفزوعًا من النوم.

*****

في فجرِ اليوم التالي بالصحراءِ الغربية.

كنتُ أجلس في سيارتي ومعي ثلاثةُ رجال وخلفنا العديدُ من السيارت الأخرى التابعة لنا، كنا ننتظرُ حدثًا معينًا سننقضُّ فيه على فريستنا، تحركت سيارتان من بعيد وخرج منها أشخاصٌ ودار حديثٌ طويلٌ بينهم، أعطيتهم إشارتي بالتحرك.. وعندما رآنا الآخرون بدى عليهمُ الخوف، وقفتُ بجانبِهم بكبرياءِ إلهٍ وقلت:

- والله عيب.. العيال بقت عاملة فيها رجالة وبيعملوا عمليات تقيلة

من ورانا.

قال من كان يقفُ على يساري متفاجئًا:

- معلم كمال أبو الدهب!

وقالَ الآخر:

- أهلاً يا معلم.

أشرتُ بإصبعي لرجالي فيما معناهُ أن يأخذوا السلاحَ الذي أمامنا، ونظرتُ لمن يقف على يساري وقلت:

- فلوسكم أهي مش هاخد منها مليم، أما البضاعة بتاعة نظير الكلب تخصني.

تدخل الثاني:

- بس كده ماينفعش يا معلم ومش صح.

صفعتُه على وجهه بعنف فرفعَ رجالي السلاحَ على أتباعه، ونظرتُ له بحزم في عينيه حتى كدتُ أخترق روحه.

- نزلوا يابني السلاح.

أمرتُ رجالي فأطاعوا، فقال الفتى الذي تلقَّى الصفعة:

- ماشي يا معلم كمال.. بس ماتنساش إن الدنيا لفافة وهتلففك في يوم.

ابتسمتُ بزهوٍ وقلتُ له وأنا أربّت على خدهِ الأيسر عدة مرات:

- أعلى ما في خيلك اركبه، يا روح أمك إنت والمره اللي مشغلاك.

خرجتُ من المكانِ مع رجالي وبحوزتي شحنةٌ كبيرةٌ من السلاح.

*****

قاطعتُ سرد "كمال أبو الدهب" لحكايته لأسأله:

- معلش أنا آسف، بس هو مين نظير اللي إنت جبت سيرته ده؟

زفرَ "كمال" قبل أن يردَّ على سؤالي بضيق:

- نظير ده عيل لسه بيشخ في اللفة.. عامل زي الفار المتشرد، عايش أوي في دور محمد رمضان في الأسطورة، بيحاول يعمل لنفسه اسم ويسبقني أنا وأخويا في السوق، رغم عدم اتفاقي أنا وأخويا على حاجة أبدًا، لكن علطول أنا وأخويا حاطين ع الواد ده مع بعض، علشان كده عنده عقدة وحرقان من حاجة اسمها ولاد أبو الدهب.

- تمام أوي.. آسف إني قاطعتك، ياريت تكمل.

زفرَ "أبو الدهب" بقوة، ثم عاد لسردِ باقي حكايته.

*****

في اليومِ التالي وبينما كنتُ في حديقة منزلي، جاء لي إتصالٌ فأجبت، واستمعتُ لصوتٍ لم أميِّزه جيدًا:

- خلي بالك يا كمال بيه.

شعرتُ أنني أعرفُ الصوت، لكنني عاجزٌ عن تحديد مَن هو صاحبُه، فسألته:

- مين معايا؟! وأخلي بالي من إيه؟!

صمتَ الصوتُ قبل أن يقول:

- أخوك ناويلك على نية سودة.. خد حذرك.

وأغلقَ الهاتفَ في وجهي، لم أحاولُ الاتصال به، فكثيرةٌ هي المراتُ التي جاءت لي فيها مكالماتٌ كتلك، ولم يقع أي شيء.

وبينما أتناولُ فطوري المفضَّل، قبلتني "فريدة" من رقبتي وهي تهمسُ في أذني:

- أنا هنزل أعمل شوبينج عايز حاجة؟

- لا بس خلي بالك من نفسك، تحبي آجي معاكي؟

قالت برقةِ فتاةٍ في العشرينات:

- لا مش عايزة أعطلك عن الشغل، وأنا مش هتأخر، باي باي.

أنهت جملتها ورأيتُها تتهادى نحوِ باب البيت، لم أعلم لماذا شعرتُ وقتها بوغزةٍ في قلبي، وكأن مصيبةً سوف تحدث.

*****

تناولتُ بيضةً وقطعة جبن والقليل من التوست، ثم ذهبتُ إلى غرفتي وارتديتُ ملابسي، وبينما أنا في السيارة متجهًا إلى العمل، رنَّ هاتفي، وكان المُتصل هو "محمود"، فردَّت:

- ألو يا حبيبي محتاج حاجة؟

كان يبكي بشدةٍ ويحاولُ كتمَ صوته:

- محمود! إنت كويس يابني فيك إيه؟

- إلحقني يا بابا.. أنا في المستشفى اللي جنب البيت.

فزعتُ وعلا صوتي:

- حصل إيه؟! أنت كويس؟

كنتُ أستمع إلى محاولته في كتمِ بكاءهِ ليتكلم بصعوبة:

- ماما.. ماما يا بابا.. وهي ماشية بعربيتها جنب البيت، إضرب.. إضرب



عليها نار، وهي دلوقتي في العلميات، الدكاترة بيحاولوا يلحقوها.. بابا.. إلحقني أرجوك تلحقني.

كنتُ أستمعُ إلى كلامه بينما قلبي يتهاوى، لم أكُن أشعر بشيء، لم أشعر بنفسي وأنا أصرخُ في السائق والدمعُ يجري فوق وجهي، وعندما وصلت إلى المستشفى، دخلتُ وأنا أصرخُ في كل مكان، مسببًا صخبًا كبيرًا، وصعدتُ على السلالم مُهرولاً دون أن أنتظر المصعد، سرتُ في ممر أبيض واسع حتى وجدتُ "محمود" مستندًا على الحائطِ بجوار إحدى الغرف، ويضعُ يده على عينيهِ ووجههُ غارقٌ في الدموع.. ركضتُ بإتجاههِ وهززتُ جسده بقوةٍ بيدي وأنا أقول:

- إيه اللي حصل لأمك يا محمود.. هي فين؟

أجابني بصعوبةٍ من وسط دموعه:

- ماما اضرب عليها ٢٢ رصاصة، صفوها يا بابا..

صرختُ في وجهه:

- متقولش الكلام ده، دي هتبقى كويسة.. والله هتبقى كويسة.

- أمي ماتت يا بابا.

بدونِ إرادةٍ مني وجدتُ نفسي ألطُم "محمود" على خده، فاحمرَّ وجههُ من شدةِ الصفعة، وصرخت:

- أُسكت.. أوعى تقول كده تاني.

تركتهُ ونظرتُ من زجاج غرفةِ العمليات من الخارج، فرأيت الطبيب يغطي وجه "فريدة" بالملاءةِ البيضاء.

اقتحمتُ الغرفة.. ودفعتُ كل الواقفين، حتى الطبيب، حاولوا منعي، لكني صرختُ فيهم جميعًا وقاومتهم، ثم نزعتُ الملاءة عن جسدِ



زوجتي المغطى بالدماء، واحتضنتُها بقوة والدموع تجري فوق وجهي لتختلط بدمائها.. بكيتُ كالطفل الذي فقدَ أمه، لا أذكر أنني بكيت على أمي هكذا، تلطخ جسدي وملابسي بالدماء، حاولوا كثيرًا أن يشدوني لكنني بقيتُ أقاوم.. صرختُ وأنا أسمعُ من خلفي بكاء "محمود":

- قومي يا فريدة.. قومي علشان خاطري.. والله هتبقي كويسة والدنيا هتتغير.. علشان خاطري قومي.

نظرتُ إلى عينيها اللتين فارقتا الحياة، لأيقنَ أنها لم تعُد من سكان هذا العالم.. هكذا انساب وعيي مني، وسقطتُ على الأرضِ مغشيًا عليّ.

*****

مرَّ الوقتُ ثقيل مُحملٌ بالهموم كرياح الخماسين الصيفية.. بين العزاء وتحقيقات النيابة، وبكائي وحزَن "محمود".. كان البيت يفتقدُ روحها التي زينتهُ لما يقاربُ الثلاثة عُقود، لم أجد أمامي خيارًا آخر، خصوصًا بعد أن أتى "محمد" إلى عزاء "فريدة"، وشعرتُ بالشماتةِ في وجهه بينما يعزيني، بدأتُ في التخطيط الصحيح للقضاء على روح أخي، وبالفعل لجأتُ إلى ذلك المُحتال "عبده الأزرق" الذي اقترحهُ الساحر مؤكدًا لي أنه الأكفأ لعمل المطلوب، وفكرتُ معه حول كيف ومتى ومَن الذي سيقوم بذلك:

- مفيش غيره يا باشا.. جمعة الكسلان هو اللي هيقوم بيها.

قالها "الأزرق" بينما نحن جالسين بحديقة منزلي.

- وده بيبيع إيه إن شاء الله؟!

بصقَ على الأرض ثم ارتشف القليل من القهوة:

- ده واد قلبه طري عندي من المنطقة.

أثارَ كلامهُ أعصابي وعلا صوتي:

- قلبه طري!! وهتجيبهولي يهبب إيه في العملية دي.. إنت مبلبع يلا؟

- يا باشا اسمعني بس.. جمعة دلوقتي حياته ملطشة ومحتاج فلوس.

قُلت بعدم اقتناع:

- مش كفاية.. مش دافع يخلي واحد زي ده يقتل، حتى لو المبلغ كبير، الدنيا ملطشة مع الكل في البلد دلوقتي.

تراجعَ إلى الخلفِ وتحدث بثقة كبيرة:

- كل رجالتي واللي أعرفهم مُسجلين، واللي مش مُسجل عليه العين كبيرة يا باشا، وبعدين الدافع سهل خالص.. وهيخلي الواد ده يعملنا اللي احنا عايزينه، هنأجر تاكسي يخبط حد من أسرته، بنته مثلاً.. وده هيخليه محتاج فلوس علشان المستشفى والدكاترة والأدوية وإنت عارف القصة دي بلاعة، بتتفتح على الواحد وبتبلع فلوس ياما.

نظرتُ في عينيهِ أفكر فيما يقوله، قبل أن أقرر:

- وأنا موافق، اتصرف وخلصني، لازم العملية تتم في أسرع وقت.

تركني وذهب، وبعدها بيومين حضر لي وبرفقته "جمعة" هذا وتم الاتفاق، وفي خلال أيامٍ بسيطة، خرجت روح "محمد أبو الدهب" من جسده، وحلقت لتطرقَ أبواب الجحيم، مكانها الأصلي.. لكنني لم أكن أشعرُ بالراحة لفعلتي تلك، شعرت بأنني قابيل الذي تلوثت يديهِ بدمِ أخيه.

*****

عودةٌ أخرى إلى ساحة السجن، هل تتذكروني أم أنستكمُ الأحداثُ



من أنا؟ أكملتُ حديثي مع "كمال أبو الدهب" وكتابة كل مايقوله لي، وأردف:

- وطبعًا، الأزرق الكلب وصل لولاد أخويا إني اللي عملتها، وهما صفوا ابني، وأنا قمت بالواجب مع جمعة، والأزرق اتقبض عليه، أما الساحر اللي كان سبب في كل ده، اختفى، معرفتش أوصله، ولا حد يعرف هو مين.

أشعلتُ سيجارةً وأعطيتُها له وقلت:

- جميل أوي.. أنا كده فهمت حاجات كتير كانت واقعة مني، بس فين السر اللي إنت قولت إنك فهمته متأخر وخلاك تخسر أسرتك وتروح برجلك علشان تسلم نفسك.

فتح فاهُ، وأوشكَ على الكلام، وتحفزت كل خليةٍ في جسدي لسماع ذلك السرِّ العظيم.. لكنه ابتسم بخبثٍ وقال:

- مش عايز أقوله الحقيقة، خليك كده متعلق، كده الموضوع مسلي أكتر.

أخذ نفسًا من السيجارة التي أعطيتُه إياها، ثم رماها على الأرض، وسحَقها أسفل قدمه، وتركني والفضول يغلي بداخلي.

*****

أثناء تواجد "دانتي" و"فيرجيليو" في الحلقة الرابعة.. تساءل "دانتي" بحق الإله، من ذا الذي يحيط بكل هذا العذاب، وتعجَّب مما نُؤول إليه بسبب خطايانا، كان هناك مجموعتان من الناس، وقفت كل مجموعةٍ في جانب، يدفعُ كل واحد منهم صخرةً كبيرةً بواسطة صدره، ويدور في نصف دائرة، حتى ترتطِم صخرته بصخرة أحد الموجودين



بالمجموعة المقابلة، فتدفع الصخور ومع الأجساد للخلف من وقع التلاقي، فيصيحُ الواقف على الجانب الأيسر في الواقفِ علَى الجانب الأيمن: "فيما أسرفت؟" فيرد عليه الواقف على الجانبَ الايمن بسؤال أخر: "وأنت فيما بخلت؟"

فيعودون مجددًا ليدفعوا الصخورَ في نصف دائرةٍ أخرى، لتتلاقى مرارًا وتكررًا، عذابٌ أبديٌ لا مفر منه.

شعرَ "دانتي" بوغزةٍ في قلبه وهو يسألُ مرشده:

- من هؤلاء القوم؟ وهل كان حليقوا الرأس منهم قساوسة؟

فأجابَ "فيرجيليو":

- الواقفون على الجهةِ اليسرى هم البخلاء، والواقفون على الجهة اليمنى هم المسرفون.. هؤلاء قومٌ لم يُسرفوا عن تقدير، وسيطرَ الطمع عليهم، لذلك تجدُهم يلومون بعضهم عندما تتلاقى الصخور.. أما حليقوا الرأس، فقد كانوا قساوسةً وصل فيهم البخل إلى غايته القصوى.

"الكوميديا الإلهية -الجحيم- الأنشودة السابعة، الأبيات ١٦-٤٨"

*****

في زنزانتي وقبل شروق الشمس، كنتُ مستيقظًا أدخّن النيكوتين بكثرة.. أحاول دفن امتعاضي مما فعلهُ "كمال" داخلَ رمادِ سجائري، كنتُ قد قضيتُ الليل في تدوينِ كلٍ ما قاله لي في شكل بناء سرديٍّ روائي.. لم أشعُر بنفسي واستسلَمتُ للنوم في النهاية، لم أنَم بشكل جيد، وفي وقت الفطور اجتمع المساجينُ كالعادة في مطبخ السجنَ، بعد الفطور وبينَما أنا لا أرى أمامي من أثر الإرهاق، تناهى إلى أذنيَّ الكثير من الهرجِ والمرج، وصوتُ مأمور السَجن يصرخ:



- ازاي ده يحصل يا شوية نسوان؟

حاولتُ إفاقة نفسي حتى أعرفَ ما سببُ هذه الفوضى، وقفتُ ضمن حشد كبير من المساجين نتابعُ ما يحدث، لأجدَهم يُزيلون جثة "كمال أبو الدهبَ" عن الأرض، والدماءُ تنزفُ من رقبتِه بغزارة، وخلفهُ "جمعة" يدفعهُ بعض العساكر وقد تم تقيده بالأصفاد، ويده غارقةٌ في دماءِ "أبو الدهب"!

هكذا قُتل "كمال" وقُتلِ السرُّ معه.. وقُتلت أعصابي ولم أستطع النوم، ومرت عليَّ أيامٌ عجافٌ طويلةُ الأمد.. أصبحتُ شرهًا في التدخين واخترقني الأرق وحطمَ جسدي، ثلاث ساعاتٍ من النومِ المتقطعِ فقط، وسط أربعةِ وعشرينَ ساعة

، وبقيةُ يومي ملقًى على الأرض شاردُ الذهنِ، أو أدفنُ مَللي في القراءة.. شعرتُ أنني سأجن، أجن؟! أنا مجنونٌ بالفعلِ.. لا تتعجبوا، كل الكتابِ مجانين، وليس كل المجانينِ كتاب، حجةٌ منطقيةٌ عقيمة، لكنها مقنعةٌ بشدة.

بقيتُ على هذا الحالِ ليومين، لأعرف بعدها خبر قطعِ "جمعة" لشراينه، وانتحاره.

*****



الحلقة الخامسة

(الحسد)

الحسد قاتل.. والحاسد هو الضحية الأولى له..



عندما كتبَ "دانتي" الكوميديا الإلهية.. تحدثَ فيها عن رؤيته الخاصة في الخِطاة، ومثَّلهم في كونهم بشرًا فقدوا القدرةَ على التفكير والإدراك، لتتحكَّم فيهم شهواتهم وأطماعهم وحسدهم.

*****

كنتُ دائمًا أحاولُ الوصول لهدفي، السيطرةُ الكاملةُ على سوق السلاح في البلاد، لكنني لم أستطِع الصمود أمام المدِّ الكبير الذي تمثَّل في "كمال أبو الدهب" وأخيه "محمد أبو الدهب"، حيتان السوق.. مِن يقدرُ على الوقوف أمامهم؟!.. لم يكونوا أكبر التجار بلا منازع، هناك من هو أكبر، لكن لَا أحد يمثل عائقًا أمام أمثالي سواهما، فهم لا يسمحون بدخول أي منافس جديد، لذلك سعيتُ من أجل العظمة والسيطرة.. مَن يعتلي قمة البرَج أولاً؟.. لابد من عدة خطوات ضرورية والتشدد بالصبر في بداية الصعود من أول درجة حتى القمة، لذلك بدأتُ بتنفيذ عمليات صغيرة، جمعت منها المالَ والعتاد والعلاقات، وعندما شعرتُ أن البداية قاربت، وضعتُ كل ما أملكُ في صفقة بدينة واشترك معي بعضُ التجار الذين أرادوا تصفية "كمال" ووضع السوقَ بين يديَّ لعملِ قوانينَ تغنينا عن البقاء تحت سيطرة هؤلاء، ولكن فشلت تلك الخطةُ بسبب هجوم "كمال" وقتَ التنفيذ واستيلائه على كل شيء، أصبحتِ في وضعٍ صعب ووقعتُ بين خيارين.. إعادةُ الأموال للتجار، أو أن ألقى في الحَبسِ المشدد.

*****

وُلد "نظير" من رحم الحسد.. يمتلكُ مقلتين كبيرتين تكادان تخرجان من محجريهما عند حسده، وقامةٌ طويلةٌ مع جسدٍ متناسقٍ رياضي، أسمرَ



البشرة، حليقَ الـرأس، تحيطُ وجهه ذقنٌ متوسطة الطول يقومُ بتحديدها بالموس.. طالَ حسِدُه كل من حوله، حتى انتهى به الحالُ هنا، عندما رأيت "نظير" لأولِ مرةٍ في السجن، كانت يدهُ مصابةً وملفوفة بالشاش والقطن إثرَ معركةٍ ما، دائمًا يمشي بهيبةٍ وكبرياء لا محدودين، رغم كل شيءٍ هو يتمتعُ بثقة عاليةٍ في نفسه، بدى لي "نظير" حقًا شخصيةً مثيرةً للاهتمام.. في البدايةِ عندما سمعتُ اسمه لأول مرة، شعرتُ أنني سمعتهُ مسبقًا، لكن عندما عرفتُ بعض المعلومات عنه من خلال علاقاتي المبنيةِ على الرشاوي بعساكر السجن، عرفتُ أنه هو نفسه "نظير" الذي ذكرهُ "أبو الدهب" في حكايته، لذلك سعيتُ للتحدث معه، ولم أتوقع أن يكون الأمرُ سهلًا، لذلك حاولتُ أن ألجأ لبعضِ الخداع.

انتهزتُ فرصة جلوسه وحيدًا ذات مرة، وجلستُ دون أن أستأذنَ بجواره وناولته سيجارةً من علبةٍ كانت بحوزتي، وأنا أقول:

- أحلى مسا عليك.

جعلَ ينظر لي لثوانٍ بعينهِ الواسعتين قبل أن يقول بينما يتناولُ مني علبة السجائر:

- أحلى مسا عليك يا باشا.

كان يتمتعُ بلهجة مميزة جدًا تمكنتُ من تميزها منذ اللحظة الأولى، كان يتحدثُ باللهجة التي يتحدث بها أغلب أهل الشمالِ في مصر، وتحديدًا الشمال الجنوبي، كبورسعيد والسويس وغيرها من المناطق.

حاولتُ أن أخلقَ معه حديثًا فسألته:

- الباشا جاي في إيه؟

كان سريعَ البديهةِ والرد.. وبدلاً من أن يجيب، رد عليَّ السؤال:

- إنت جاي في إيه؟

توترتُ للحظةٍ قبل أن أجيب:

- أنا كُنت ظابط في مديرية الأمن، وحصلت معايا مشكلة كده مبحبش أفتكرها جابتني هنا.

ابتسمَ وقال:

- طب احكي يا باشا.. أهو نسلي وقتنا.

حاولتُ أن أكونَ مباغتًا مثله:

- طيب ما تحكي إنت.

ضحِك "نظير":

- يا باشا إنت بتاع الحكايات مش أنا.

اتسعَت عيناي، وغزى العرقُ جبهتي وتلعثمتُ وأنا أسأله:

- تقصد إيه؟

- يا باشا عيب عليك، أكيد مش هيدخل عليا حوار الظابط العبيط اللي إنت قلته ده، ده أنا نظير.. اللي يفهمها وهي بتطير.. وبعدين إنت ما شاء الله عليك مشهور في السجن بالقصص والورق والأقلام.

قالَ كلامه ذاك، فحاولتُ ألا أبدي أي توترٍ وقلتُ بسخرية:

- ما شاء الله عليك.. طيب مانت ناصح أهو.. أمال إيه اللي جابك هنا

بقى مدام إنت مفتح كده؟

- ولاد المره.. جابونا ورا يا باشا.

قالها لي بشكل مباشر، ولم أفهم ماذا أو من يقصدُ بكلامه، فأعدتُ عليه طلبي بأن يحكّي، فكانَ رده:

- هحكي.. بس لو كتبت حاجة ونشرتها أو كنت بتسجلي مش هيطلع عليك نهار، أنا بتكلم معاك وبجاريك علشان بس مخنوق وعايز أسلي وقتي.

- اللي تحبه. (قلتُها مهادنًا إياه)

استرسلَ "نظير":

- بص أنا بسبب شوية مستندات جيت هنا السجن، المستندات دي بتدني في شوية شغل كنت بعمله، تهريب سلاح ومصانع سلاح وقنابل ومسدسات ومولوتوف، طبعًا مش فاهم حاجة من الليلة دي.. خليني أوضح لك.

*****

(السطور القادمة يرويها "نظير" الذي يحب الكلام بلا "تحوير")

اجتمعتُ في مصنعي المخصص للأسلحة مع التجار الذين يتملكهُم الغضبُ تجاهي إثرَ ما حدث، وَفشلَت خططنا في الاتحاد ضدَّ أولادِ "أبو الدهب"، كانوا ثلاثةً من كبار التجار في سوق السلاَح.. الأولُ يسمى "عوني"، وهو صعيدي الأصل وحادَّ الطبع، ودائمًا ما يرتدي جلبابًا.. والثاني يُدعى "محمد عبد المانع"، ونعرفهُ بـ"عبد المانع" فقط، وهو أبعدُنا عن سوقِ السلاح وأقلنا نشاطًا رغم ما يحيطُ به من شبهات.. أما الثالثُ فهو "رائد باشا"، وهو أكبرهُم جميعًا وأكثرُ



الحاضرين سطوة، فهو يمتلكُ من القوة ما يجعله يناطحُ أولاد "أبو الذهب"، لكن ليس وحده، هذا بالإضافةِ إلى كونه مدعومًا من أسرة زوجته المليئةِ بالضباط المرتشين، بينما كُنت واقفًا أمام ثلاثتِهم شعرتُ أن الجَحيمَ يحيط بي من كل إتجاه، وحاولتُ بكل ما لدي أن أكسب فرصةً جديدة:

- ممكن تدوني شوية وقت وأنا هتصرف؟

تحدثَ "عبد المانع" بعصبية:

- هتعمل إيه يعني، إنت فاشل، مقدرتش تحمي بضاعتنا وكمال أخدها منك، لكن العيب مش عليك، احنا اللي علوق علشان اعتمدنا على عيل ابن حرام زيك.

-مالهوش لزوم اللي بتقوله ده يا معلم عبمانع.

حاولتُ أن أدافعَ عن نفسي، لكن "رائد باشا" تدخل بنبرةِ صوته الواثقةِ بينما يعبثُ بالقداحةِ في يده:

- استنى يا عبد المانع.. عايز أعرف الأستاذ المبجل ممكن يكون عنده حلول إيه.

نظرتُ إلى هيئته الوقورةِ التي لا طالما حسدتُه عليها وقلت:

- ملكمش دعوة هعمل إيه.. كل اللي عايزه الصبر، محتاج منكم تصبروا عليا وكل حاجة هتتحل، وبكرة نظير يثبتلكوا إنه كبير.

تدخلَ "عوني" بجلبابه الرمادي وحدثني بلهجةٍ صعيدية:

- قدامك أسبوع واحد تتصرف فيه، بعد إجده ماتسألناش هنعملوا إيه.

- أنا موافق.. وأوعدكم إن مع نظير، كل مشاكلكم دي هتطير.



نظر لي "رائد" بثقةٍ ثم أضاقَ عينيه محذرًا:

- خد وقتك.. بس عارف لو ماحلتهاش؟.. نظير الخطير، هيتقطع ويتحشي في الفطير.

قالها "رائد" ساخرًا من لهجتي ثم ارتفع اللهب من القداحةِ بيده، ورأيتُ كلا من "عوني" و"عبد المانع" يبتسمان، فابتلعتُ ريقي ولن أنكر أني شعرتُ بالخوف للحظات، وقلت:

- كل حاجة هتكون تمام.. وولاد أبو الدهب هيختفوا من السوق كله.

*****

وقفتُ في شرفة مكتبي أحتسي القهوة المزودةَ بالقليل من الأفيون، وبعد أن انتهيتُ منها ألقيتُ الفنجان من فوق بعصبية، فوصل إلى الأرض مهشمًا لآلاف الذرات، كنتُ أحترق من الغيظ من فعلة "كمال أبو الدهب"، وفي نفسِ الوقت يحترقُ عقلي بحثًا عن فكرة للخروج من الورطة التي وُضعتُ فيها، ووسط انشغالي بالتفكير، أرسلت ليَ السماءُ الحل، رنَّ هاتفي الجوال، وكان المتصل مجهولاً، فتجاهلتُ الاتصال في البداية، لكنه عاد ليرن، مرة.. اثنين.. ثلاثة.. فقررتُ أن هذا المتصل سيكونُ الضحية المناسبة التي سأنفس فيها عن غضبي، رددتُ على المتصل:

- ألو.. في إيه يا عم؟ عمال تزن تزن.. إنت مين بروح أمك؟

سمعتُ القليل من التشويش، ثم جاء صوتٌ خشنٌ من الجهة الأخرى، صوتٌ يبدو لرجلٍ عجوز:

- بوراحة يابني.. مش يمكن أكون حد مهم ولا حاجة وتغلط فيا بالغلط.



سألته:

- مين معايا يعني لا مؤاخذة؟

- أنا اللي عندي الحل.. الحل اللي يخلصك من ولاد أبو الدهب ومن غير ما إيدك تتغرق دم.

ضحكتُ بسخرية قائلاً:

- يا سلام.. هي المواضيع سهلة كده يا حجوج.

تحدثَ بنبرةٍ ثابتة:

- مش مهم كل ده، حتى تريقتك متقبلها، اسمعني كويس، الحل الوحيد اللي هتعرف تسيطر بيه هو إنك تدخل الشك جوه ولاد أبو الدهب.

- وتفتكر أنا مجاش كل ده في بالي، بس..

قاطعني:

- ماتقاطعش كلامي واسمع للآخرِ، الظروف حاليًا مختلفة والمشاكل والشكوك بينهم زادت أوي، خاصةً بعد ما كمال أخد الصفقة بتاعتك ومحمد أخوه كان منشن عليها، دلوقتي الفرصة المناسبة، ازرع الشك جواهم، لو حصلت أي مصيبة دلوقتي لواحد فيهم ط، هيفتكر إن التاني اللي عملها.

فكرتُ قليلاً في حديثهِ معي وسألته:

- إشطا.. كلامك مظبوط، بس إنت مستفيد إيه؟

قالَ وهو لا زال يتمتعُ بنفس الثبات:

- لأ هستفيد، وهستفيد أوي كمان.. أنا كمان عايز أخلص منهم، ما بيني وما بين العيلة دي شوية مشاكل، أنا عندي خطة تخصني.. أنا



ساحر، وأقدر أعمل عمل لكمال أخلي حياته جحيم، لكن علشان تكمل للآخر، لازم تسمع كلامي.

سكتُ أفكرُ في كلامه قليلاً، في الواقع أنا أؤمن جدًا بقوةِ العين والسحر، وهذا نابعٌ من تربيتي وسط بيئةٍ يتحكمُ إيمانها بتلكَ الأمور في كل قراراتها.

عندما فتحتُ فمي لأتكلم، وجدتُ أنه قد أغلقَ السماعة!

وفي تلكَ الأثناء ولجَ "فتحي" إلى مكتبي، "فتحي" هو ذراعي الأيمن في العمل، وهو أصغرُ مني بعامين فقط، وأعتبرهُ صديقًا لي، صاحَب دخوله زوبعةً من التساؤلات:

- ها يا معلم نظير هنعمل ايه؟! احنا دلوقتى لا عارفين نجيب القطع المطلوبة علشان ننتج الأسلحة هنا، ولا عارفين نجيب أسلحة ونورد، ولا عارفين حتى نبيع رصاصة واحدة.

رحتُ أجولُ في جسده النحيل ووجهه الحليق، وعظام وجنتيه البارزتين، بالإضافةِ إلى الشعر القصيرِ فوق رأسه قبل أن أقول:

- افصل بقى رغي نسوان، أنا عندي الحل.

اقتربَ مني وأرهفَ السمع:

- لايمني عليه يا كبير واحنا ننفذ طوالي.

صمتُ قليلاً، أخذتُ نفسًا عميقا، ومددتُ يدي إلى جواري لألتقطَ الشيشة، ثم احتضنتُ المبسم بشفتي، وجلسَ "فتحي" بجانبها ليضع الفحم المشتعل، أخرجتُ دخانها من صدري، وخلفهُ خرجت كلماتي:

- هنخلص من كمال.

ظهرَت على ملامحه عدمُ الفهم، فأردفت:



- لا هنخليه يقتل أخوه.

حكَّ رأسه وقال:

- متآخذنيش يعني يا معلم مش فاهمك؟

- افهم يا غبي، هنوقعهم في بعض والسوق يبقي بتاعنا، استنى بس بقيت الرجالة تيجي وهديكم التفاصيل الكاملة.

طلبتُ بعضًا من رجالي الأوفياء، وجلسوا جميعًا حولي ينصتون باهتمام لما أقول، فشرحتُ تفاصيل ما يدور في ذهني بالكامل، ولم يتبقى سوى التنفيذ.

*****

وضعنا الخطةَ وأشرفَ عليها الشيطانُ بفخر.. في اليوم التالي وقفت سيارةٌ بها ثلاثةٌ من رجالي ملثّمي الوجهِ في شارع تم تحديده مسبقًا وفقًا لتحركاتِ زوجة "أبو الدهب"، وانتظرتهم أنا بعيدًا داخل سيارتي ومعي سلاحي الخاص، مُستعدٌ للاشتباك في أي وقت، انتظرنا قليلا حتى مرّت سيارةُ الهدف المرجو، فأشرتُ إلى رجالي نحو الهدف فشدوا أجزاء أسلحتهم الثقيلة، واقتربوا من السيارةِ التي تقبعُ بها زوجة "كمال"، وأطلقوا الرصاصَ على عجلات السيارة، فتوقفت واصطدمَت بشجرة كانت على جانب الطريق الأيسر، أُصيبَت الضحية بالفزع، ورأيتُها تصرُخ بأعلى صوتها، كانت جميلةً حقًا رغم احتلال العَجز لأجزاء من وجهها، شعرها الناعمُ جذبني للغاية، لكن لم يَشفع لها من قبل شياطيني، أطلقوا عليها من رشاشاتهم، فصرخَت بصوتٍ مرتفع كاد أن يصم آذاننا ثم سكتَت إلى الأبد.

بعد أن تأكدَ رجالي من أن رصاصاتهم قد تم استنفاذُها في جسدها، انطلقوا بدراجاتهم الناريةِ وتحركتُ بعدهم.. ثُقبت السيارة من أثر



الرصاص، وتهشّم الزجاجُ فوق رأسها وجسدها، خلقوا فيها العديدَ من الفتحاتِ التي خرجَ مكانها الكثيرُ من الدماء، عيناها كانتِ زائغةً نحو السماءِ وفمُها مفتوحٌ يصرخ بلا صوت، لم يعُد لها أنفٌ فقد انهارت وسقطت إلى داخل جمجمتها، ألقيتُ عليها النظرةَ الأخيرة.. ثم تحركتُ خلفهم.

*****

عُدنا إلى مصنعي وتم إخفاء السلاح والدراجات الناريةِ ومن قاموا بالمطلوبِ لبعض الوقت في إحدىَ المحافظاتِ الريفيةِ حتى تهدأ الأمور.

يومها اتصلَ بي "رائد" وهنأني على تلكَ الضربة:

- ضربة معلم بصحيح يا نظير.

كان هذا كلامُ "رائد" لي، فحاولتُ أن أبدو مجاملاً:

- تعاليمك أثرت فيا يا باشا.

كُنت أعلمُ أنه يحبُّ من يمجده ويجامله، فأردتُ أن أكسبَ ودّه أكثر خصوصًا بعد تلك الخطوة.

- بس تفتكر خطتك هتمشى زي ما هي ولا الوضع هيتقلب عليك؟ (سألَني)

- عيب عليك يا باشا، دا أنا نظير.. الواد الخطير.

- ماشي.. ع العموم لو في أي مشكلة قولي وأنا هتصرف بالناس بتوعي، وكده كده حتى لو خططك مانجحتش فاحنا ضربنا كمال أبو الدهب في مقتل، ومش سهل يقوم من الضربة دي.. بس خد بالك.. لو أبو الدهب عرف إن إنت اللي ورا الحكاية دي، صدقني يا نظير الجحيم

هيتفتح عليك، وأنا مش هلحقك ساعتها.

أرعبَتني كلماته قليلاً، لكنني ردَدتُ عليه بثقةٍ كما اعتدتُ وقلت:

- كله هيبقى تمام.

أغلقتُ الخط، وجلستُ أنتظرُ ما سيحدثُ في الأيام القادمة.

*****

ضربَ البردُ القارصُ مكتبي بالمصنع، فأغلقتُ كل النوافذ وأشعلتُ المكيفَ على وضع "hot"، وارتشفتُ الكثير من البنِّ مع نيكوتينَ السجائر، انقطعَ التيارُ الكهربائي فجأة، فتعجَّبت، وتحركت تجاه مفتاح الكهرباء محاولاً تحريكه، فأبى أن يَلِين في يدي، أمسكتُ مقبضَ الباب لأفتحهُ لكنه أيضًا لم يستجب، سقط كوبُ ماءٍ وأحدثَ ضجيجًا في المكتب، فنظرتُ فزعًا ناحيَةَ الصوت، كانَ ضوءُ القمر يتسللُ من نافذة المكتب ليجعل مشاهدةَ الأجسام ممكنةً وسط الظلام، وهذا سمح لي بأنِ أرى أكثر شيءٍ مرعبٍ رأيتهُ في حياتي، جسدٌ بدينٌ أسودُ اللون يتحرك باتجاهي!

شهقتُ وأنا أصرخُ فيه:

- إنت مين؟

لم تأتِ إجابة.. اقتربَ مني هذا الجسدُ اللعين أكثر، وأنا مشلولٌ في مكاني غيرَ قادر على الحراك، كنتُ أسمعُ صوتَ أنفاسه، وأشعرُ بحرارتها، اقتربَ أكثر، ومدَّ يده نحوي، ثم أمسكَ يدي! فارتعدَ جسدي، وشعرتُ بالاختناق وتاهَت صرختي، دفعَني ذلك الشيء بقوة، فسقطتُ على الأرض، لا أدري ما هذا! لكنني شعرتُ أن ما يقبعُ أمامي لا ينتمي إلى عالم الأحياء، أنا أمام شيءٍ غير بشري، أخيرًا تخلصتُ من



عجزي وتمكنتُ من الحراك، ركضتُ في المكانِ فتبعني هذا الشيء بينما يُحدث فوضى كبيرةً في المكتب، وعلى ضوءِ القمر مرةً أخرى تبيَّنتُ شكله بوضوح أكبر، إنها امرأة.. لكنها ليست امرأةً عادية، امرأةٌ امتلأ جسدُها بالثقوبِ في أماكن متفرقة، لم يكن لديها أعين، بل مجرد ثقبين غائرين سالت منهما دماءٌ سوداء، كانت تلك زوجةُ "كمال".. أو هو شبحَها الغاضبُ إن شئنا الدقة، توقعتُ أن تلتهمَني أو أن تقتُلني، لكن بدلاً من ذلك، تكلمت:

- النمرود بدأ يحرك خيوط عروسته علشان يخنقك بيها، الحسد والخيانة.. الاتنين بيتسابقوا على نهايتك، مين هيخلص عليك الأول؟

لم أفهم أي شيءٍ من كلامها، لم يبدُ لي كلامًا ذو قيمةٍ من الأساس.. لكنها بعد أن نطقت به، سكتت لوهلة، قبل أن تصرخَ في وجهي، فيطيرَ جسدي بقوةٍ للخلف، لأصطدمَ بالحائط، وأسقطَ فاقدًا للوعي.

*****

استيقظتُ في الصباح لأجد نفسي نائمًا فوق مكتبي وكل شيءٍ في المكان مرتبٌ كمًا كان دائمًا وكأن شيئًا لم يكن.. كان مجرد حلمٍ أحمق، أضغاثُ أحلام ليس إلا.

في الأيام التي تلتِ الحادث، تناحرَ أعضاءُ عائلة "أبو الدهب"، لم أتوقع أن تنجحَ خطتي وتؤتي ثمارها بهذه السرعة، قتل "كمال أبو الدهب" أخيه "محمد"، فرُدَّدت له في ابنه، حيثُ قُتل برصاصات أولاد "محمد أبو الدهب"، وبينما يتنازعون بدأت أنا أختلي بسوق السلاح، وأعددتُ للعديدِ من الصفقات الكبيرة، منها صفقةٌ كبيرةٌ ستتم خلال وقتٍ قصير مع بعض الألمان، صفقة ستجعلني ملكًا في وقت قصير.. تضخمَ حسابي البنكي، وتضخَّمت معه بضاعتي في السوقِ، وحان الوقتُ لأفكر بشكلٍ عملي، هؤلاء الكبار لن يتركوني طويلاً، أنا مجردُ



وسيلةٍ ولعبةٍ في أيديهم، مهما حاولوا أن يُبدو غير ذلك، إذا لم أحم نفسي من غدرهم، فقد أُقتل في أيةِ لحظة.. لذلك فكرتُ ووجدتُ أنَ خير وسيلةٍ للدفاعِ هي الهجوم، و قررتُ البدء في خطة التطهير.

*****

في عوامة "رائد باشا" الثابتةِ فوق مياه النيل.. وقفتُ أدخّن سيجارتي المحشوةُ بالحشيش الأفغانيَ الأصلي، فخلقتُ فوقي سحابةً كثيفةً من الدخان، تابعتُ قطَرات الماء الصغيرة التي تساقطت من السماء، هيئة الماء وانعكاسُ الضوء عليها جعل منها منظرًا بديعًا للناظر، حسدتها، فأمسكتُ بحجارةٍ كانت جالسةً بجواري وألقيتها على سطح الماء، فتوترَ وتشوه المنظرُ البديع.. في الواقعِ أنا أحسدُ ذلك المدعو "رائد" على هذه العوامة، قريبًا سأمتلك واحدةً أنا الآخر.

أطفأتُ السيجارة، واقتربتُ من المجموعة الجالسة بالقرب مني، والتي كانت تضم "عبد المانع" و"عوني" و"رائد باشا" صاحبَ العوامة بالطبع، سحبتُ كرسيًا وجلست، فرحّب بي "رائد" بسخريةٍ واضحةٍ في لهجته:

- يا أهلاً بمعلم وكبير السوق الجديد.

وتبعهُ "عبد المانع":

- احنا كنا واثقين إنك تقدر تعمل كده وزيادة كمان، خلاص كده انزاح ولاد أبو الدهب وكلها شوية وهنزيح اللي أكبر منه ويفضالنا السوق.

نظرتُ إلى "عوني" وسألت:

- وانت يا معلم عوني معندكش حاجة عايز تقولها؟

قالَ "رائد" بحدة:

- أنا ليه حاسس بتنطيط في لهجتك معانا.

- ولا تنطيط ولا حاجة، بس احنا محتاجين شغلنا يبقى بشكل مختلف تمامًا.

كُنت أتكلمُ وعيوني تطاردُ تعابيرَ وجوهِهم، فطلب مني "عوني" التوضيح.

- وضح كلامك يا نظير.

قلت:

- تمام نوضح.. لما حصل اللي حصل، وكمال بوظ العملية بتاعتي وفلوسكم ضاعت، محدش فيكم صبر عليا ولا وقف معايا.

قاطَعني "رائد" وهو يعتصرُ القداحةَ بيده غاضبًا:

- محدش وقف معاك؟! أمال مين سهلك دخول كميات السلاح والبضاعة الجديدة؟!

أجبت:

- مش هنكر إن معارفك ظبطوني، بس كله كان بحسابه يا رائد بيه، ومحدش تكرم واداني حاجة من جيبه، وفي الآخر كله كان بيصب في مصلحتنا كلنا.

تكلمَ "عوني" بلهجته الصعيديةِ بعصبيةٍ قائلاً:

- نظير.. لخص وجول عايز توصل لإيه؟

- السعر يزيد والكمية تقل.

جحَظت عينا "عوني" وصاح:

- إنت أتجننت يا ولا.. صُح؟



فعلا صوتي أنا الآخر:

- احفظ أدبك يا معلم عوني، أنا ماتجننتش، بس خلاص السوق كله بقى في إيدي، واللي مراحمنيش وأنا ضعيف مش هرحمه وأنا قوي.

دخلَ "عبد المانع" في الحوار:

- احنا اللي حطينا السوق في إيدك، علشان مصالحنا تمشي في الأول وفي الآخر، ونقدر نسحب كل حاجة من إيدك تاني.

تحدثتُ معهم بشكلٍ مباشر:

- خليني صريح معاكم.. إنتوا مش كبار أوي كده، وكمال أبو الدهب وأخوه برضو مش أكبر حاجة في السوق، السوق كله بيدور تحت إيد زايد باشا، وأفتكر إنتوا عارفين كده كويس.. كل واحد فيكم ليه نشاطات تانية بتجيبله فلوس، والسلاح بالنسبة لكم دروس خصوصية، مصدر دخل زيادة، وعلشان مكنتوش عايزن تبقوا في وش المدفع صدرتوني أنا، إنتم الطيب معاكم ماينفعش، ما كمال أبو الدهب كان بيعاملكم أحسن معاملة وفي الآخر بعتوه.

- بعناه علشان مكانش عايز حد يكبر جنبه، وأخوه كان بيعاملنا معاملة زي الزفت.

كان هذا "عبد المانع"، وأكملَ من بعدهِ "عوني":

- إنت لسه بتعملك اسم، وغلط تخسر الناس اللي حواليك.

عدتُ بظهري إلى الخلفِ وتحدثتُ بثقة:

- اللي هخسره هيجي مكانه مليون، وبكرة بعد ما تتم صفقتي مع الألمان، هبقى ملك على حق.

كان "رائد" في قمةِ ثباتهِ وهو يسألني:

- إنت عايز تزود كام؟

- نفس الطلبية بتاعة كل مرة هتقل ٣٠٠ كيلو وهتبقى بمليون ونص.

علا صوتُ "عوني" أكثر:

- بتجول إيه؟ إنت مبرشم ولا شارب حاجة؟ تزود علينا نص مَليون حتة واحدة، وكمان چللت الكمية!

قمتُ من مكاني غاضبًا:

- قولتلك ميت مرة احفظ أدبك وإلا هدفنك هنا.

تدخلَ "رائد" وقامَ من مكانه صائحًا:

- نظير.. إنت بتخسر كده الناس كلها، وسيادتك عارف لو خسرتني مش هيبقالك ضهر في حتة، أنا غير الاتنين اللي قاعدين دول، أنا تاريخي طويل بعمرك كده، ولو كنت عايز كنت هبقى أكبر تاجر سلاح من زمان.

- بفلوسي وعلاقاتي هعمل ميت ضهر، أنا نظير.. ومش هيهزني كلام تلت عصافير.. سلام يا بهوات. (أنهيتُ كلامي والتفتُّ لأغادر)

قامَ "عبد المانع" وأمسكَني من يدي وهو يحذرُني:

- فكر تاني يا نظير.

فردَدتُ عليه بشكلٍ مباشر:

- إنت غبي؟

أشعَلت كلمتي غضبه، فأخرجَ مسدسه ووجههُ ناحية رأسي، لم أهتزَّ من مكاني، لكن "رائد" تدخل وأزاحَ المسدس بعيدًا عن رأسي وهو



يقول:

- سيبه يا عبد المانع.. كده هو اللي جابه لنفسه. (قالها ثم أردفَ وهو ينظرُ نحوي) اعمل اللي تحبه يا نظير.

ابتسمتُ في وجوههم قبل أن ألتفت لأغادرَ العوامة، كُنت أعلمُ أنني أشعلتِ توًا فتيل الحرب بيدي، ولا أنكرُ أنني شعرتُ لوهلةٍ بقلبي يرتجفُ خوفًا من المستقبل.

*****

استلقيتُ فوق سريري بعد يوم عمل شاق.. كانِ الهدوءُ والبردُ يخيمان على منزِلي، وضعتُ فوق جسديَ غطاءً ثقيلاً حمل الدفءَ لي بعد أن أهلكتني البرودة، لكنِ قشعريرةً غيرِ مبررة سرَت بداخلي فجأة، ولمحتُ بطرف عيني هالةَ سوداءَ تتحركُ أمامَ الشرفة، راقبتُها بخوف من أسفل الغطاَء، حتى بدأت تلك الهالةُ تتحرك باتجاهي، أنا متأكدٌ أنها مخيلتي اللعينةُ تصورُ لي هذا، أغلقتُ عينيَّ بقوةٍ لمدة ثوان، وعندما فتحتُهما، لم يكن هناك أي وجودٌ لتلك الظلال، أخذتُ نفسًا عميقًا وحاولتُ أن أعاود النوم، لكن فجأةً ارتعشَ السرير كله من حولي، وسمعتُ صوتًا عاليًا بجواري يصمُّ الآذان، أفزعَني الصوتُ فانتفضتُ من مكاني وكدتُ أنِ أقعَ من فوق سريري، لكنني اكتشفتُ أن المتسببَ في هذا الصوت، رنةُ هاتفي الذي كان فوقَ الوسادة.

أمسكتُه ونظرتُ في شاشته، فكان المتصل هو "فتحي"، لم أستطعِ منعَ نفسي من أن أنهلَ شرف أمه بلساني قبلَ أن أردَّ عليه:

- ده وقت تتصل بيا فيه يا علق؟

سألني بصوتٍ متقطع:

- إنت كويس يا معلم نظير؟

- آه كويس، بتسأل ليه يا فقر؟ (أجبتُ متعجبًا)

- لا مفيش يا معلم، بس بطمن عليك.

لم أرتَح لطريقته معي وسؤالهِ غير المبرر:

- فتحي!.. إنت مالك في إيه؟!

- مالي؟! ماليش يا رياسة هو في حاجة حصلت مني؟! (كان يتكلمُ بصوتٍ متقطع)

- لا مافيش بس مش مستريحلك.

- بقى دي آخرتها برضو! يا رياسة يعني أتربى على إيدك وتقولي كده! مكانش العشم والله.. أنا بس حلمت بيك حلم وحش فقولت أطمن عليك.

- ولا.. اخلص إنت هتاكل بعقلي حلاوة. (قلتُها بنفاذِ صبر)

- يا معلم أقسم بالله مفيش حاجة.. ابقى خلي بالك من نفسك بس، خاصةً اليومين دول، علشان يعني التهديدات اللي بتجيلنا، والعيون بقت حوالينا.

- واحنا من امتى بنخاف يا زفت.

ضحكَ وهو يقولُ بصوتهِ الشبيه بنقيقِ الضفادع:

- مش القصد يا معلم، بس حرس ولا تخون.

غيرتُ محور الحديثِ قبل أن أقتُله:

- سيبك من الهري ده.. خلصت الصفقة بتاعة المعلم فرغلي وتممت على البضاعة ولا لسه؟



- كله تمام يا رياسة ماتقلقش.

- فتح عينك يابني الصفقة دي كبيرة.

- ماشي نفتح.. (توقفَ فجأةً عن الحديثِ ثم استطرد) هوبا!.. أهو شوف كنت هنسى يا معلم نظير، في خبر بمليار رصاصة.

سألتهُ سريعًا:

- إيه هو يا زفت اخلص؟

فأجاب:

- حبيبك كمال أبو الدهب سلم نفسه للنيابة النهاردة، واعترف على نفسه وقالهم كل حاجة تخص نشطاته وتسليطه رجالة على أخوه.

سكتُّ للحظاتٍ أستوعبُ الخبر قبل أن أضحكَ قائلاً:

- أخبارك قديمة عرفت من مصدر تاني يا خفيف.

لم يكن هناك مصدرٌ ثانٍ، لم أعرف بالخبر سوى توًا من لسانه.. لكنني لم أحب أن أظهرَ بمظهرِ الجاهلِ أمامه، لمَ أستطع كتمَ سعادتي فأنهيتُ المكالمة قبل أنِ يلاحظ "فتحيَ" ذلك، قمتُ وقد طارَ النومُ من عيني، ثم شغلتُ أغنيةً شعبيةً من على هاتفي الجوال.. لماذا فعلَ "كمال" ذلك؟.. مَن يهتم! إن كل الطرقِ أصبحت ممهدةٌ أمامي، وعلى اللحن الصاخبِ للأغنية رحتُ أتراقص، بينما يترددُ صدى الكلماتِ في الغرفةَ

"آه لو لعبت يا زهر.. واتبدلت الاحوال.. وركبت أول موجة.. في سكة الأموال"

*****

كُنت واقفًا فوقَ سطح مصنعي أنظرُ إلى المحاقِ في السماء، بينما



نسماتُ الهواء البارد تلامس وجهي، كانت السماء صافيةً للغاية، كُنت أسَلي وقتي بعدِّ النجوم حتى مللتَ، فأشعلتُ سيجارةً ثم فتحتُ زجاجة بيرةٍ من نوع "ستيلا" وتجرعتُها بالكامل، ثم ألقيتُها بعيدًا فتهشمَت عندما لمست الأرض، فتحتُ زجاجةً أخرى وراقبتُ رجالي من فوق وهم منهمكينَ في حركةِ نقل وتركيب قطع السلاح، رميتُ بصري إلى ما بعد أسوار المصنع، فرأيتُ من بعيد العديدَ من السيارات السوداء والدرجات النارية التي تسيرُ باتجاهنا! ركزتُ أكثر حتى أتعرفَ على ماهيةِ تلكَ العربات، وعلى أضواء كشافات المصنع ظهرت قواتُ الشرطة التي أتت لغزوي، تحركتُ مسرعًا لأهبط من فوق سطح المصنع وأنا غيرُ مستوعب لما يحصُل، وفي ثوان كان الجميعُ يتأهبُ بالأسلحة والذخائر، سمعتُ صوتَ تحذيرٍ آتٍ من خارج أسوار المصنع من مكبرِ صوت يمسكهُ ضابطٌ شابٌ، قالَ العديدَ من الجملِ التهديدية، لكنني تجاهلتُها، بل أنني تصرفتُ بتهوُّر.. وأعلنتُ الحربَ.. بدأ رجالي بضربِ النار، كنا في وسطِ ملحمة سوداء، أطلقنا الذخيرةَ الحيةَ فماتَ منهم العديد، وكانت ضربتنا هيَ الإذنُ لهم في التحركِ لسحقنا، تحركَ رجالي سريعًا إلى داخل الخنادق التي حُفرت في الأرض تفاديًا للرصاص، كُنت أحسُب حسابَ معركةَ كهذه، لكنني لم أعلم أنها ستكونُ مع الشرطة، رميتُ بجسدي داخلَ حفرة منهم، واقتحمَت قواتهُم المصنع، سقطَ منهم العديد بينما لم يسقُطَ سوى رجلين فقط من رجالي.. بدأوا يتراجعونَ خوفًا من كمية الأسلحة التي نمتلكها، ومن أن تتسببَ المعركةُ في انفجار شيءٍ ما هنا، لكنني رأيتُ عسكريًا يتحركُ خلف السور حتى لا نراه وفي يده بندقية، وجلس وصوَّب باتجاه القناص الخاص بي الذي اعتلى السطح، وقبل أن يُطلقِ.. أفرغتُ في جسَده خزنةً كاملة من سلاحي، سقطَ على الأرض ونزفَ كل دمائه، عندما شاهدَ أتباعي هذا، أخذتهُم الجرأةُ وقاموا من



الخنادق مطلقين على العساكر النيران من كل جانب، فتقهقَرت قواتُ الشرطةَ في النهاية.

في تلك اللحظةُ أمرتُ رجالي بصوتٍ عالٍ:

- القنابل اليدوية بسرعة يا رجالة.. اتحركوا، وروهم قوة نظير.. ملك التدمير.

أخذَت القنابل في السقوط فوق أدمغتهم، بينما تتراجعُ سيارتهم، وركضنا خلفهم ونحن نطلقُ النيران، فسقط منهم الكثير، كانوا خائفين يرتعشُون من هول ما أوقعناهُ بهم، أو هكذا ظننتُ في البداية، لم أدرك ما فعلته، لم أدركَ مدى الخطر والنهاية المحدقة بي.. فأنا أتحدى الدولة الآن، أسلحةٌ وقواتٌ لا تنتهي، أجهزةٌ كبيرةٌ تتحكم وتوجَّه ورؤوس تُنفذ، دقائقٌ قليلةٌ وكنا في وضع التأهب والاستعدادِ للهرب، كنا نعلمُ أنهم سيعودون، وكنت أنتظرهم.. الأمرُ كان ممتعًا جدًا بالنسبة لي، لكن قدُومهم كان أسرع مما تصورنا، والقوةُ التي عادوا بها كانت فوق تخيلنا، يبدو أنهم قد حضَّروا للمعركة منذ البداية، ثلاثُ دبابات وأسلحةُ "RPG" لتضربَنا عن بُعد.. طالبونا بتسليم أنفسنا قبل أن يحوِّلوا مصنعي لجمر من الجحيم، استسلَم شياطيني الواحدُ تلوَ الآخر، لكنني رفضتُ الاستسلام، أخبروني عندما كنتُ صغيرًا أن "عيني وحشة"، كانوا يقصدون أنني قادرٌ على إحداث الخراب في أي شيءٍ أنظرُ إليه، إذًا لماذا لا تُدمر تلك الدبابات اللعينة، أخذتُ رشاشًا بديلًا لسلاحي الذي نفدت خزانته، وركضنا خلفَ الأعمدة التي تحمل أركان مصنعي، وبادرتُ بالضرب، فسقطَ من طلقاتي واحدٌ منهم، فطالبوني بتسليم نفسي مجددًا بواسطةِ مكبر الصوت ، فرفضتُ كلامهم، فلم يتخذوا أي خطوةٍ نحوي، تعجبتُ في البداية.. لكنني كُنت قد غفلت عن بندقيةِ قناصٍ ترصدُني من فوق الأسوار، وقبل أن



أحاول إطلاق النار مجددًا، ثقبَت رصاصتهُ يدي، فسقطَ الرشاشُ من بين قبضَتاي.

حاولتُ أن أتحاملَ على الألم لكني لم أستطِع.. هل هذه هي النهايةُ حقًا.. ثوانٍ وكانوا يحيطون بي، قيدوني وساروا بي نحو عرباتهم، سرتُ معهم كالشاةِ التي تُساق للذبح، وهناك رأيتُ كل رجالي الذين تبِعوني في طريق المَوت، راكعينَ على الأرض، وأياديهُم مقيدة خلف ظهورهم، وللمرَةِ الأولى لاحظتُ أن "فتحي" لم يكُن بينهم!

*****

نعودُ إلى ساحة السجن.. حيث انتهى "نظير" من سردِ حكايته، ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يُشعل سيجارة.

– بس إنت برضو ماقولتليش كمال أبو الدهب جه السجن ازاي؟ وإيه اللي هيج الحكومة عليك؟.. حتى ولو التجار هما المسئولين، علشان يحركوا قوات الشرطة ناحيتك، أكيد كان في مستندات أو حاجة بتدينك.

سحبَ دخانَ سيجارته لداخلِ صدره، ثم وجه ناحيتي عينيهِ الكبيرتين وهو يقول:

– كمال أبو الدهب عرف إني السبب في كل حاجة، غالبًا يعني فتحي الخاين هو اللي قاله كل حاجة، واتفق مع فتحي ورائد عليا علشان أنا كان معايا مستندات فيها فضايح لرائد واللي معاه.. كمال سلم نفسه علشان تأنيب ضميره وقتله لأخوه بدون سبب حقيقي، وفتحي اداهم مستندات توديني في داهية، لما كمال جه هنا سلم المستندات دي وبالتالي أنا شرفت معاكم.

سألته:



- طب وليه فتحي يعمل كده فيك؟! رغم إنه استحملك فترة طويلة ومكانش بيشتكي.

صمتَ يفكرُ قبل أن يُجيب:

- إنت بتسأل كتير أوي بس أنا هجاوبك.. فتحي كان زيي الحسد مالي قلبه، وأنا كنت عارف ده كويس، كان بيحسدني على اللي قدرت أعمله وهو معملش حاجة في حياته ومايسواش تلاتة أبيض، ويدوب واحد من رجالتي، أكيد رائد عرض عليه مبلغ كبير علشان يسربله المستندات دي، وبما إنه كلب فلوس.. وافق.

- وكده وقع نظير الخطير.. بعد ما افتكر إن طلعتله جناحات وبقى بيطير.

صدرَ ذلك التعقيبُ الساخرُ مني، فرمقَني "نظير" بغضبٍ ولم يتكلم حتى عادَ الجميعُ إلى زنزاناتهم.

*****

الحلقة السادسة

(الغرور)

أنا مابيهمنيش حد، أنا هكون أقوى من الموت، وبكرة هبقى رب السلاح في السوق كله..

وكما أن الفضولَ يقتُل، فالغرورُ أيضا يقتُل..

إن المجهولَ يتحدثُ فأنصتوا، فها أنا أعودُ لكم لأسردَ باقي حكاياتي..

*****

كانت تبدو كصبيحةِ يوم عادي لا شيء مميزٌ فيه.. أشعةُ الشمس تدلفُ بسلاسةٍ من بين قضبانَ السجن لتداعبَ قلمي وأوراقي، كل الأمور علي ما يرام، كل أوراق حكاياتي مُرتبة، لم أكن أحمقًا إلى هذا الحد، كنتُ أدرك جيدًا أن ذلكَ هو الهدوءُ الذي يسبقُ العاصفة دومًا.

حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرًا، ضربت العاصفةُ السجن بقوة..

أقدامٌ تضربُ الأرض، صوتُ زنزانةٍ تُفتح، أو إن صحَّ التعبير يتم اقتحامُها، أصواتُ جلبةٍ بالخارج، وحوارٌ لم أتمكن من تداركه، التقطتُ منه بعض الجُمل البسيطة.

– إنت مش ناوي تنطق تقول كل حاجة يلا؟

– لأ، هو ده كل اللي عندي يا سيادة الباشا، غير كده مفيش ومعرفش.

قائلُ العبارة الأخيرة كان "نظير"، تمكنتُ بسهولةٍ من تميز نبرة صوته، بعدها سمعتُ صوتَ لكمة قوية، أو إن شئنا الدقة صوتَ عظام وجه أحدهم تتكسّر، حاولتُ أنَ ألتقطَ بعيني من فتحاتِ باب زنزانتي أيةَ تفاصيل، لكني لم أرَ سوى ثلاثة عساكر راحوا يعدُون نحو زنزانة "نظير"، ثم دخلوها ليخرجوا منها بعد أقل من دقيقة وبرفقتهم ظابطٌ في الثلاثينات من عمره، ذو ملامحَ متجهمة، ووجهٍ أحمر من شدة الغضب، و"سكسوكة" تحيطُ بفمه وذقنه.

كادَ الفضولُ يقتلني لأعرفَ مَن هذا، وما الشيءُ الذي أراد أن يعرفهُ من



"نظير"، هل من الممكنِ أن تكون للحكاية فروعٌ أخرى؟!

سيطرتُ على فضولي حتى اليوم التالي، حيث تمكنتُ أخيرًا من الإمساك بـ"نظير" وهو يجلسُ وَحيدًا على أحد الدكك في ساحة السجن، كدتُ ألا أعرفهُ بسببِ الضمادات التي تغطي الكدَمةَ المتورمة في وجهه.

بمجردِ أن جلستُ بجوار "نظير" تكلمَ الأخير دون أن يلتفَّ بعينيه حتى نحوي:

- عارف إنت جايلي ليه، عايز تعرف اللي حصل امبارح.. صح؟

ضحكتُ وقلت له:

- عليك نووور.. ده إنت طلعت فاقسني بقى.

- يا باشا عيب عليك، ده أنا نظير.. اللي يفهمها وهي بتطير.. أنا يمكن صغير، بس عيني بتعرف تجيب اللي في دماغ الناس من أول بصة.

- طب قولي بقى يا باشا.. احكيلي.

- الموضوع مش هيفيدك في حاجة صدقني.

استنكرتُ كلام "نظير" بسرعة:

- لا لا لا مين قالك.. كل حاجة بتفيد، أنا الكاتب وعارف كويس أنا بقول إيه، وبعدين في كل الأحوال أنا بحب أسمع.. وحابب أسمع.

قال "نظير" بشيء من التردد:

- امممم.. ماشي يا سيدي.. الحكاية كلها باختصار إن ده حتت ظابط شايف نفسه اسمه هادي، بيدور على رائد وعايز يمسكه، وعلشان يقدر يوديه في داهية لازم يقفشه متلبس وهو بيعمل الصفقة مع الناس بتوع



ألمانيا.

- ناس مين؟ (تساءلتُ فردَّ "نظير")

- دول عصابة في ألمانيا كانوا متفقين معايا على صفقة سلاح كبيرة فشخ، ولما أنا اترميت هنا رائد أكل الجو كله، واتفق معاهم إن هو اللي هيقوم معاهم بالصفقة دي.. طبعًا الظابط ده عايز يعرف مني كل المعلومات اللي أعرفها عن الصفقة، ولما جه يستجوبني وأنا قلتله إني معرفش، معدهاش.. ماصدقنيش واتعصب عليا، بصراحة هو غبي وإيده تقيلة.. بس أنا مكنتش عايز أكبر الموضوع فطنشته وسبته يضرب دماغه في الحيط.

- لا هو مضربش دماغه، هو ضرب دماغك إنت. (صدرَت مني هازئًا)

لمسَ "نظير" الضمادةَ التي تُغطى خده الأيمن وقال:

- ماتفكرنيش ياعم بالله عليك.

أطرقتُ لوهلةٍ ثم عدتُ أسأل:

- هو إنت فعلاً ماتعرفش حاجة؟

"نظير" (بنفاذ صبر):

- أنا لو أعرف حاجة كنت قولتهاله وخلصت من ابن الهرمة اللي اسمه رائد ده، بس أنا فعلاً معرفش.

- يلا كله يطلع على زنزانته.

كان يصيحُ بها أحدُ العساكر في ساحةِ السجن، فتفرقنا.. بينما لا تزالُ مطرقةُ الفضول تطرقُ عقلي الساخن.

*****



في الحلقة التاسعةِ من الجحيم.. وتحديدًا في منطقة "بطليموس" حيث يُعذب خونةُ الأصدقاء والضيوف، رأى "دانتي" الخطاة وقد استحال عليهم البكاء بسبب تجمد الدموع في عيونهم، وتعرفَ على بعض الخونة الذين لم يموتوا بعد ولا يزالوا أحياءً يرزقون.. تعجبَ في البداية قبل أن يعرف أن أرواحَ الخونة تُدفع إلى الجحيم قبل موت أجسادهم على الأرض، فعندما يُقدم الإنسان على الخيانة والغدر، فإن روحهُ تهبطُ هنا بينما يبقى جسدهُ على الأرض لتتحكمَ به الشياطيُن وتقوده ما تبقى له من عمر.

"الكوميديا الإلهية -الجحيم- الأنشودة الثالثة والثلاثين، الأبيات ١٢٤-١٤٧"

*****

- هو ده فتحي.

همسَ بها "نظير" في أُذنـي بينما يشيرُ بيده نحو شخص يجلسُ وحيـدًا في مطعم السجن، كان قد مرَّ أسبوعين على حـواري الأخير مع "نظير"، وكنت قد بدأتُ أفقد الأملَ في أن أجمع المزيدَ من التفاصيل لروايتي، نظرتُ نحو "فتحي" قليلاً قبل أن أقول:

- بقى هو ده.. وإيه اللي جابه هنا؟

ردَّ "نظير" والغيظُ في عينيه:

- معرفش.. هو كان من ضمن الاتنين المساجين الجدد اللي شرفوا امبارح بالليل، وبعدين مهو عيل خاين طبيعي دي تكون نهايته، كان



لازم يموت ابن الوسخة ده والله.

راح "نظير" بعدها يتحدثُ كثيرًا ويتوعَّد كثيرًا، لكني لم أكن أُنصت له، كنتُ أفكر في الكيفية التي سأخلقُ بها حديثًا مع "فتحي".

بدون الكثير من التفكير، توجهتُ نحو "فتحي" في اليوم التالي، وعرفته بنفسي وشرحتُ له كل شيء.. كان "فتحي" شابًا في العشرينات.. بدأ الصلعُ في الزحفِ على جوانب رأسه، شديد النحول، حليق الوجه شاحبه، عينان واسعتان وشفاهٌ سفلية بارزةٌ بالإضافة إلى ذقن صغيرة، كان ذا صوتٍ سخيف يليقُ بملامحه، ويتكلمُ كمهرج في السّيرك، في الحقيقة لم يَكُن متعاونًا معي على الإطلاقِ في بدايَة الحوار، لكني استمررتُ في المماطلة معه كثيرًا.

- يا باشا إنت عايز مني إيه دلوقتي، ما تسبني في حالي وخلاص.

- ما أنا بقالي ساعة بقولك وبحاول أقنعك، أنا لازم أعرف منك باقي الحكاية علشان روايتي تكمل، تعاون معايا أرجوك.

سكتَ "فتحي" لثوانٍ ثمَّ زفر مُستسلمًا:

- طب اخلص يا باشا، عايز تعرف إيه علشان تحل عن سمايا.

هاجمتُ بشكلٍ مباشر:

- خنت ليه نظير؟

"فتحي":

- أنا أصلاً كنت متسلط عليه من زمان علشان أراقبه، ولما بدأ يشوف نفسه على الناس اللي أكبر منه في السوق، رائد مكانش ينفع يسكت له، وخصوصًا لما لقى نظير بيهدده بشوية ورق كده ملهمش لأزمة.



- طب هو ازاي فضل واثق فيك ومخافش إنك تبيعه زي ما عملت مع نظير؟ (تساءلت)

- ببساطة لإن في إيده حياة أهلي اللي في المنيا، لو قليت معاه هو عارف ازاي يتصرف ويصفيهم، وده عيب شغلانتنا، إن يبقى ليك نقطة ضعف. (كانَ هذا هو ردُّه على تساؤلي)

قلتُ بجديةٍ بالغة:

- طب خلينا ندخل في الجد بقى يا معلم.. فين رائد دلوقتي؟.. عايزك تحكيلي اللي حصل من ساعة ما نظير دخل السجن لحد ما إنت جيت هنا.

"فتحي":

- اتفقنا.. بس لازم مقابل.

الكاتب:

- متخافش هظبطك في اللي إنت عايزه.

هللَ "فتحي":

- تبقى كده جبيبي.. اسمع بقى يا باشا الكلام الجاي ده كويس علشان أنا دماغي مفوتة ومش هعرف أعيد حاجة.

- سامعك.. احكي يا فتحي.

*****

(السطورُ القادمةُ في الفصل تم نقلها وكتابتُها على لسان "فتحي")

بعد أن دخلَ "نظير" إلى السجن ومن قبله "كمال أبو الدهب"، ضف إلى ذلك موت "محمد أبو الدهب"، أصبحَ الجو خاليًا أمام "رائد"، أراد أن



يسيطرَ على سوق السلاح بالكامل ليُضيف سوق السلاح كدعم بجوار القوةِ السياسيةِ التي يمتلكها، لذلك اتفقَ مع الألمان على صفقةٍ سلاح كبيرةٍ كانت ستكون من نصيب "نظير"، لكن "رائد باشا" أصبحَ الآن هوَ الوجهُ الجديد الذي سيتعامل مع الألمان، وضاعف حجم الصفقة ليغزو السوق بالكامل، كان الكل يعلمُ أن هذا هو الجنون بعينه، فـ"زايد باشا" لن يتركه ليفعل ذلك بمنتهى البساطة، من هو "زايد"؟.. كان "زايد" هو المتحكمُ الأكبر في سوق السلاح بالبلد، يلهو الجميعُ ويتصارعون في الأسفل، بينما يجلسُ هو في الأعلَى ليراقبَهم وكإنه إله، فالجميعُ أطفال بالنسبة له، لكن "رائد" كان يشكلُ خطرًا على "زايد" أكثرَ من أي أحد، فالاثنان كانا شركاءَ في الماضي، والاثنانِ يمتلكون من السلطة والمال ما قد يحولُ سوق السلاح إلى محيط من الدماءِ إذا اشتعلت الحرب بينهم، وصفقة الألمان كانت الشرارةَ التي ستشعلُ هذه الحرب، عندما سألتُ "رائد باشا" ذات مرة: "إنت مش خايف من زايد؟"، فألجَمني بردٍّ لا يمكنُ أن أنساهُ ما حييت: "أنا مايهمنيش حد، أنا هكون أقوى من الموت، وبكرة هبقى رب السلاح في السوق كله".

وفي خلال أيام أتمَّ "رائد" الصفقةَ مع الألمان، وكنتُ حاضرًا وقتَ تسليم السلاحِ لـ"رائد باشا"، لم يتدخلْ "زايد" ليمنعَ الصفقةَ من أن تتم، لم أكن أفهمُ ما الذي يخططُ له "زايد باشا" أو يفكرُ فيه، لكنِ "رائد" كان واثقًا أن "زايد" لن يحاولَ إيقافه، كان من الواضحِ أنه يدرك بشكلٍ كاملٍ ما يفكرُ فيه "زايد" وقتها.

بعد أن تمَّت الصفقة، بدأ "رائد" يبحثُ عن قوةٍ جديدة تضيفُ إلى قوته.. كان يُحاول أن يدعمَ نفسه بكل شكل، أرادَ أن يُصبح إلهًا على سوقِ السلاح، لكن "زايد" لن يمهلهُ الفرصةَ للتفكير، فبعد مرور ثمانية وأربعين ساعةً على اتمام الصفقة، رنَّ الهاتفُ النقال الخاص بـ"رائد"، وكان المُتصلَ هو "زايد"!..



كنتُ شاهدًا على هذه المكالمةِ والتي لم تطُل مدتها عن الدقيقة، كانت ملامحُ "رائد" جامدةً طوالَ مدة المكالمة، كانت ردودهُ مختصرةٌ وقاطعة.

عرفتُ وقتها أن المكالمة كانت بهدف تحذير "رائد"، ومنحه فرصةً ليقوم بتسليم البضاعة إلى "زايد"، لكنَّ اليوم لمَ ينته عند تلكَ المكالمة فحسب.. فقد تبعَتها رسالةٌ من شخص مجهول، كان مضمونها مبهمٌ وغيرُ واضح، كان مضمون الرسالة هوَ: (أنا عندي الحل اللي هيخليك أقوى واحد في السوق ورب السلاح زي ما نفسك تكون.. استنى مني رسالة تانية بالعنوان)..

من أرسلَ تلك الرسالة كان يعرفُ جيدًا كيف يفكرُ "رائد"، كان يعرفُ أنه وبرغم قوة "رائد" وغطرسته، سيجري وراء تلكَ الكلمات..

صباحَ اليوم التالي كنتُ أجلس في سيارةٍ ضمنَ ثلاثِ سيارات، توقفتِ السيارات الثلاث أمام بيتِ قديم بالبساتين، فتحت أبواب السيارات ليهبطَ منها ما يقربُ من عشرةِ رجالِ ذوي بذلاتٍ سوداء، وكنت أنا برفقة هؤلاء الرجال، وفي النهاية هبطَ "رائد" من أحد السيارات الثلاث، ووقفَ شامخًا داخل بذلته الرمادية ينظرُ إلى البيت القديم المتآكل والمكونِ من طابقينِ من خلف نظاراته السوداء، كان "رائد باشا" يتوقعُ أن يكون هذا فخٌ من "زايد"، رغم أنه يعلم أن "زايد باشا" ليس بتلكَ السذاجة، إلا أنه اتخذ احتياطاته، طرق باب البيت ثلاثَ مرات، ففُتح الباب ببطء، تقدم ثلاثةُ رجالِ ليلجُو إلى البيت أولاً، فلم يجدوا خلف الباب أو في البيت كله أيّ شخصٍ!.. لم يكن أمامهُم سوى ممرٍّ طويل، على جوانبه أبوابٌ خشبيةٌ مغلقة، وينتهي بباب مفتوح، أزاح "رائد" الرجال الثلاثة وتقدم ليدخُل إلى الممر بكل ثقةٍ وكبرياء، وتبعناه جميعًا، وعندما وصلنا إلى الغرفة في نهاية الممر،



استقبلتنا سيدةٌ عجوزٌ ترتدي جلبابًا أسودًا وتمتازُ بعين مغطاة باللون الأبيض، هالني منظرها، كانت امرأةً مخيفةً بحق، أشارَتْ بيدِها لَنا لكي نتوقف، وقالت:

- تلاتة.

بدَت علينا جميعًا علاماتُ عدمِ الفهم، فقالت:

- تلاتة بس هيدخلوا.

نظرَ لها "رائد" من خلف نظارته مُطولاً قبل أن يلتفتَ نحونا، ويشيرُ إليَّ وإلى أحدٍ آخر، وأشارَ للبقيةِ بأن يقفوا هنا، اصطحبتِ المرأةُ العجوزُ ثلاثتنا إلَى غرفة أخرى بداخل تلكَ الغرفة، كانتِ غرفةً أكبر وأوسع وفي نفس الوقتِ أكثرُ غرابة، ازدانـت الحوائطُ بالجماجم البشرية والتمائم، ضِف إلَى ذلك جثثَ القططَ والكلابِ المحنطة، يتوسط كل هذا طاولَةٌ تعلوها جمجمةُ ثور، يجلسُ خلفهاَ رجلٌ يرتدي ملابسًا مرقعةً وغريبة المنظر، تعلو رأسهُ عمامةٌ حمراء، وفي يده سبحةٌ ذاتَ خرزٍ أزرق، أسمرَ البشرة، كثيف الذقن، ضخم البنيان، يتمتع بأنف كبيرةٌ نسبيًا بالإضافة إلى شامةٍ صغيرةٍ تزينُ جبهته.

بمجرد أن دخَلنا تبخرت المرأة، رُحت ألتفتُ حول نفسي باحثًا عنها بفزع، بينما لم يُحرِّك "رائد باشا" ساكنًا.

- إنت بقِي اللي بعتلي الرسالة، يُستحسن تكون مابتكدبش في اللي قولته فعلاً.. وإن دي ماتكونش لعبة، أنا مأمن نفسي كويس وممكن تلاقي في لحظة المكان ده حتة من الجحيم.

قالها "رائد" وهو يشعلُ القداحة التي في يده بينما يتكَلم.. فتكلم الشخصُ الذي لم أحتج الكثير من الذكاءِ لأستنتجَ أنه دجالٌ أو ساحر:

- مش من مصلحتي أكون بكدب عليك، أنا ساحر كبير ومعروف



ولي موريدين من كل حتة ومش محتاج منك غير إنك تجرب طريقتي للخلود.

- تقصد إيه بطريقتك للخلود؟ (تساءل "رائد" متعجبًا)

أجاب الساحر:

- إنت مش نفسك تبقى أقوى واحد في السوق وتبقى رب السلاح؟ طب هو في رب أو إله بيموت؟.. أكيد لأ.. أنا بقى عندي الطريقة، الطريقة اللي هتخليك تفضل عايش للأبد ومابتموتش.

اهتزَّ ثباتُ "رائد" فجأة:

- هو ده ممكن؟ ممكن أفضل خالد وماموتش؟

ضحكَ الساحرُ وتكلم بصوتِهِ المتحشرج:

- الجن يقدروا يعملوا كل حاجة، بس إنت تنفذ طلبتهم.

خرجَ "رائد" من ثباته، وقال كغريقٍ تعلقَ في كومةٍ من القش:

- موافق.. موافق.. هعمل اللي إنت عايزه، بس خليني خالد.. أعيش للأبد.

قاطعهُ الساحر:

- مش هتعيش للأبد، بس ع الأقل محدش هيقدر يموتك.

قالَ "رائد":

- أنا موافق على أي مقابل.

تكلمَ الساحرُ بصوتٍ مخيف:

- هتبات في قبر تحت الأرض لمدة تلت أيام، مش هيبقى معاك غير ٢٤ حبة تمر بس علشان تعيش بيهم التلت أيام، كل يوم هتردد كلمات معينة



أنا هقولك عليها، وكلام تاني هتكتبه، وهيبقى معاك تلت قطط، كل يوم هتدبح واحدة، وهتعيش على شرب دمها، في أوفاق هتتعلمها علشان تكمل بيها الطقوس، الأوفاق دي جداول وأرقام ليها قوة وتأثير.

ضغطَ "رائد" بقوة على القداحةِ في يده، حتى كادت تتهشَّم وقال:

- أنا موافق.. لو ده اللي هيخليني منيع ضد الموت.. فأنا موافق.

الساحر (بخُبث):

- عظيم جدًا.. وبما إنك وافقت لازم تبقى فاهم كويس، إنك هتعمل الطقوس دي من فترة للتانية، وهتطور مع الوقت، لإن الطقوس دي مراحل، واللي أنا قولتلك عليه مش كفاية يديك الخلود، إنت هتخدم سيدي وسيدك اللي عايش تحت الأرض، هتعيش مهما تعيش يابن آدم، بس روحك لازم تبقى ليه في النهاية.

*****

لم يكن "رائد باشا" يبالغُ عندما قالَ أنه سيفعلُ أي شيءٍ حتى يُصبح منيعًا ضدَّ الموت، فقد اتفقَ بالفعل مع حارس مقابر عائلة زوجته، ونزل إلى القبر وبحوزته القطط الثلاثَ، الماء، حبات التمر، المخطوطات والأوراق التي أمرهُ الساحرُ بحملها، أغلقنا خلفهُ القبر، ومكثَ بالداخلِ لثلاثة أيام.. وعندما أخرجناهُ في اليوم الرابع، صُدمنا جميعًا من هيئته.

ابيضَّ شعرهُ بالكامل، ملامحهُ باتت مرعبة، نظرته لنا جعَلت قلبي يرتعش، أصبحَ وكأنه عائدٌ من الموت.. لم يعُد بشرًا.

بعد أن أعدناهُ إلى بيته، جلس وحيدًا طوال اليوم، وعندما زُرته في غرفته لأتأكد إن كان يحتاجُ لأي شيء، خفتُ أن أقتربَ منه، كان يتحدثُ بصوت هامس إلى أناس غير موجودين، لكن في اليوم التالي كان الفضول قد تمكّن مني، وقررتُ أنني سوف أتكلمُ معه.. عندما



اقتربتُ من باب غرفته وقبل أن أطرقَ الباب شعرتُ بشلل في يدي.. وكأن هناك يدٌ غير مرئية تمسكُ بيدي.. وفي وسطِ فزعي سمعتُ صوتَ "رائد" يناديني من الداخل:

- أدخل يا فتحي.

لم أفهم كيف علم بوقوفي بالخارج.. كنتُ خائفًا ومشتتًا، وفي قمة رعبي، فتح البابُ من تلقاء نفسه، وكشفَ عن "رائد باشا" الجالس بالداخل على الكرسي، دخلتُ بهدوءٍ فأمرني بالجلوس، فجلستُ وقال لي:

- أنا عارف إن نفسك تعرف إيه اللي حصل معايا في التلت أيام اللي قعدت فيهم في القبر، أنا هقولك.. بس اللي هحكهولك مش هيطلع منك طول ما أنا عايش، بمعنى آخر.. للأبد.

حركتُ رأسي إشارةً على الموافقة، وبدأ "رائد باشا" في الحكي..

*****

لم أنكِر خوفي في البدايةِ عندما أغلقَ عليَّ باب القبر وجلستُ وحيدًا ليس بحوزتي سوى شمعةٍ تتزينُ بشعلة صغيرة تقاومُ ظلام القبر بصعوبة، بالإضافة إلى جوّالٍ بداخله ثلاثُ قططٍ تموءُ بأصوات مرعبة.. بالإضافة أيضًا إلى رائحة القبر الخانقة تحتَ ضوء الشمعةً.. جلستُ أقرأ ما كُتب في المخطوطاتِ التي أعطاها ليَ الساحر.. كنتُ أرتعش بينما أقرأ كل كلمةٍ وكل حرف.. كانت للكلمات هيبتُها، ضف إلى ذلك فكرةَ التحدث فيِ الظلام، لم يُخلقِ الظلامُ ليكونَ ساكنًا، فإذا تحدَّثتَ بداخله فأنتَ تَخرِقُ قواعده، وعليك أن تتحملَ العواقب.

بعد أن انتهيتُ من القراءة، جاءَ وقتُ كتابة الوفق السحري الذي أمرني الساحرُ بأن أكتبه.. و"الوفق" هو وثيقة اتصالِ شيطانيةٍ بالعالمِ الآخر،



وله ألفُ شكل وطريقة.. بدأتُ في كتابة الوفق على جسدي بواسطة قلمٍ من نوع "مَاركر"، وكانَ الوفق على شكل نجمة سداسية كُتب على كلِّ جانبٍ من جوانبها رقمٌ فردي، بشرطِ أن يُكونَ مجموعُ كلِ طرفين متقابلين من أطرافَ النجمة الرقم ٦٦.. وبدأتُ أكتبُ ٣١ يقابلها ٣٥، ٥٣ يقابَلها ١٣، ٢١ يقابلها ٤٥، وفي منتصف النجمة، من المفترضِ كتابةُ حروفٍ بعينِها بترتيبٍ معين.. كاف هاء ياء عين صاد.

بعد ذلك جاءَ وقتِ ذبح القطة الأولى.. أدخلتُ يدي إلى الجوال الذي تغفو بداخله القططُ الثلاثة، وأمسكتُ بواحدة، شعرتُ بمخالبها تنغرزُ في يدي، لكنني تحاملتُ على نفسي وأخرجتُها، كانت القطة مقيدةٌ حتى لا تتمكنَ من الفرار، لكنها كانت تتمتعُ بروح شيطان، فتمكنَت من القفز من بين يدي ووقفَت تنظرُ إليَّ وهي تصدَرُ من حلقها صوتًا مرعبًا، ليس صوت مواء قطة عادية، بل صوتَ شيطان يقبعُ في الدركِ الأسفل من الجحيم، تراجعتُ إلى الخلف.. خفتُ أن أقتربَ منها، كانت تَنظرُ لي في تحدي وكأنها تتوعدُني بالموت.. أمسكتُ السكين الذي بحوزتي، واقتربتُ منها بهدوء، واستعدتُ بعضًا من قوتي، ثم أغلقتُ عيني وأنا أقفزُ ناحيتها لأمسكَ بها واضعًا السكين على رقبتها ثم مررتٍ بهدوء إلى داخل جسدِها، انغرسَ السكين، شعرتُ باللحم وهو يتقطع، وبالدماء الدافئة تسيلُ فوق يدي وجسدي، لا زِال صوتُها وهي تتنفسُ أنفاسها الأخيرةً في أذني، لا زال جسدي يرتعش من هول تلك اللحظة، لم أخشَ يومًا من ذبحِ إنسان، لكن الأمر كان مختلفًا عن أي شيءٍ مررتُ به يومًا.

كان لابد أن أستجمعَ شتاتَ نفسي بسرعة.. فقد جاءَ وقت المرحلة الأكثر قذارة، مرحلة شرب دماءِ القطة، مددتُ يدي نحو كوب أحملهُ معي، وبدأتُ في تصفيةِ ما تبقى من دم القطة فيه، حتى قاربَ الامتلاء، رميتُ جثةَ القطة بعيدًا، ثم قرَّبتُ كوبَ الدم من فمي، وبدأتُ في



الشرب.. لم أصل إلى هذه المرحلة من التقزز في حياتي، سائلٌ دافئٌ ولزجٌ وطعمهُ غيرِ مفهوم، يتسللِ من حلقك إلى معدتك، أردتُ أن أتقيأ، لكني عجزتُ عن ذلك، كنتُ أعلم أنَ هذا سوفَ يبطلُ الطقوس، فلم أملكْ سوى السقوطِ مغشيًا عليّ.

لم يختلف اليوم الثاني كثيرًا عن الأول.. نفسَ الأحداث تتكرر، باختلاف كَوني أصبحتُ أكثر شجاعةً واستعدادًا، الاختلافُ الوحيدُ الذي كان كبيرًا بِشكلِ ملحوظ، هو أن هناك أصواتٌ بدأت تهمسُ وتتكلمُ معي داخل القبر!

كانَ اليومُ الثالثُ هو اليوم الأهـم.. استيقظتُ فيه وأنا أشعرُ بالقوة تدبُّ في عروقي، لم أعُد أشعرُ بذرة خوف، أصبحتُ أستنشقُ رائحة القبر باستمتاع، وأصبحَ الظلامُ صديقًا لي، لا زلتُ أسمعُ الأصوات التي تخاطبُني منذُ البارحة، لكني بدأتُ أفهمها، قمتُ بالطقوس هذه المرة على أكملِ وجه، وعندما أتى وقتُ ذبح القطة الباقية، لم تقاومني، واستسلمَت لسكيني بكل هدوء، بل إنني أيضًا شربتُ كأس دمها في استمتاع، لم يعد طعمُ الدماء يشعرني بِالتقزز، حتى أنني بعد أن أنهيتُ كوب الدماء، رحتُ أعتصرُ جثتها فوق فمي حتى تقطرَ بداخله بعض الدماء، في النهاية ظهر لي، مخلوق يجلسُ في الظلام، لم أتبيَّن أي شيءٍ من ملامحه سوى قدمه التي كان ضوءُ شمعتي يلامسُها، لم تكن قدمًا لبشر، بل كانت حوافرَ ثورٍ ضخم!

بدأ في التحدثِ معي بلغة لم أسمع مثلها من قبل، لكن من الغريب أنني كنتُ أفهمها جيدًا، بل إنني كنتُ أبادله الحديثَ بنفس اللغة، حكَى لي أشياء كثيرة، غريبة ومبهرة.. من فرطِ إبهارها لا يستطيعُ عقلي تذكر أي شيءٍ منها أو استيعابها، جلسَ يحدثني طويلًا، وعندما اختفى انفتح بابُ القبر، لأكتشفَ أن الثلاثةَ أيام قد انتهت..

*****



بعد أن انتهى "رائد باشا" من سردِ مع حدثَ له داخلَ القبرِ سكَت، وبدى وكأنه لن يتكلمَ إلى الأبد.. كنتُ خائفًا وخرجتُ أركضُ مرتعشًا من الغرفة، ما دارَ بعقلي وقتها أن "رائد باشا" تحول إلى شيطان وليس إله.

في اليوم التالي جمَعنا "رائد باشا" في حديقة فيلته، وقال لنا آخر شيءٍ كان من الممكنِ أن نتصورَه:

- كلمت زايد باشا امبارح بالليل، وحدد معايا معاد ومكان بعد بكرة هنتقابل فيه احنا ورجلته، ونسلمهم بضاعة الألمان.

كان هذا كلامُ "رائد باشا" فصاحَ أحدُ الرجال:

- ازاي سعادتك يعني بعد الليلة دي كلها تروح تسلم زايد البضاعة كده بكل سهولة، وتحط نفسك وتحطنا معاك تحت ضرسه، أمال ليه النفخة الكدابة من الأول؟!

لم يرُد "رائد" عليه.. بل ظلَّ ينظرُ له في ثبات، قبل أن يخرجَ مسدسه من جيبه ويضربهُ بطلقة واحدةٍ في رأسه، وسط نظرات الدهشةِ من بعضنا والفزعِ من البعض الآخر.

سقطَ الرجل صريعًا دونَ أي جلبة، فأشارَ لنا "رائد باشا" بأن نحملهُ من هنا وقال:

- شيلوا جثته من هنا وابعتوها لأهله علشان يدفنوها ويكرموها، واصرفولهم فلوس التأمين.

نفذنا أمرهُ بسرعةٍ دون جدال، ولن يجرؤ بعدها أحدُنا على مناقشته.

*****

كنا نعلمُ جميعًا أن "رائد" يقودُنا إلى الهاوية.. فهو لم يعُد يهابُ الموت



، وأصبحَ على أتمِّ استعدادٍ بأن يُضحي بكل أتباعه، لماذا كنا نسيرُ خلفه؟! كل من يعمَلون في هذا "الكار" بلا استثناء يُحركهم المال، يعرفونَ أن حياتهم في خطر، لكنهم يحملونَ فوق أعناقهم مسئوليات وبيوتٍ وأولاد، حتى إذا ماتَ أحدنا خلال أحد العمليات، كان "رائدَ باشا" يتكفلُ بتأمين حياة أهله بعد موته، لم يكن رجلاً عاديًا.. كان يعرفُ كيف يجعل الجميع يُطيعه بلا كلام، كان خليطًا من القوة والذكاء والمرح، لكن غروره أعماه.

في الموعد والمكان المحددين، ليلاً على أطراف القاهرة، إلتقاءُ الجمعين.. كنتُ أنا و"رائد باشا" بالإضافة إلى ثلاثة عشر رجلاً والسيارات خلفنا، تقفُ أمام عشرين رجلاً من رجال "زايد" ومن خلفهم سياراتهم، وعلى رأسهم كان يقف "وحيد" ابن "زايد"!.. و"وحيدٌ" هو الابن الوحيد لـ"زايدٍ"، والذي يقومُ بكل الأعمال والعمليات بدلاً من والده الذي لا يتحرك من فيلته كثيرًا بسببٍ وزنه الزائد.

عندما رأى "وحيد" "رائدٍ" في البداية، تعجَّب من شكلهِ وشعرهِ الأبيض، قبل أن يبتسمَ ويقولَ ساخرًا:

- عجزت أوي عن آخر مرة شفتك يا عمو رائد.

ظلَّ "رائد" ثابتًا، ولم يظهر على وجهه أي انفعال وهو يردُّ السخرية إلى "وحيد":

- وإنت لسه زي ما انت عيل، أنا لسه فاكر يوم ما اتولدت وجيت أشيلك في السبوع وعملتها عليا.

ظهرَ الغضبُ على وجه "وحيد" الذي قالَ بحدة:

- سيبك من الكلام الفاضي ده وهات السلاح علشان نخلص الشغل، فين السلاح؟

ضحكَ "رائد" مطولاً، ضحكَ بهستيريا، ضحكَ وسطَ نظرات التعجُّب من الجميع:

- سلاح؟!.. مفيش سلاح.

زادَ انفعالُ "وحيد":

- إنت شكلك اتجننت على كَبر.. يعني إيه مفيش سلاح يا راجل يا خرفان إنت؟

- يعني مفيش سـلاح.. (قالها "رائد" ببطء ثم تابع)ماينفعش أدي حاجاتٍ خطيرة زي دي لشوية عيال زيكم.

كنتُ واقفًا أتابعُ ما يحصلُ أمامي وأنا عاجزٌ عن الفهم.. ماذا يعني؟ إذا كان لا ينوي تسليم السلاح منذ البداية، فلماذا جاءَ بنا إلى هنا؟ وماذا تحوي الحقائبُ التي في تلك السيارات؟!..

أشارَ "رائد باشا" لاثنين من الرجال، ففتحوا السيارات وأخرجوا منها ست حقائب ووضعوها على الأرض، أمامَ "وحيد" ورجاله.

- عايز السلاح.. أنا جيبتلك سلاح يناسبك إنت وشوية الكتاكيت اللي معاك دول، ادوهم السلاح يا رجالة.

نفذَ الرجالُ الأمر، وفُتحت الحقائبُ أمام "وحيد"، وكان ما بداخلها غير متوقع..

*****

- عارف رائد بيه كان معبي الشنط دي ايه؟.. مسدسات بلاستيك وميه!

في تلكَ اللحظة لم أتمالك نفسي من الضحك، فقاطعتُ حكاية "فتحي" ورحتُ أضحكُ بهستيريا:

- مسدسات بلاستيك.. يابن اللعيبة.. ده دمرلهم الجبهة، معلش يا فتحي مقدرتش أمسك نفسي، كمل الحكاية.

ظهرَ الضيقُ على ملامح "فتحي" وهو يقول لي:

- والنبي ماتقاطعنيش تاني وحياة أهلك يا شيخ، أنا مابصدق أجمع الأحداث.

قلتُ له:

- مش هقاطعك تاني، اتفضل كمل.

صمتَ "فتحي" لثوانٍ ثم استأنفَ الحكي:

- المهم يا سيدي، وقفنا عند لما شنط السلاح اتفتحت ولقوا فيها المسدسات البلاستيك.

*****

في تلك اللحظة، كانت كل عفاريت الدنيا تتقافزُ أمام أعين "وحيد":

- أنا جايلك هنا علشان أقولك إن هو ده السلاح اللي عندي وأعلى ما في خيلك إنت وأبوك اركبوه.

أنهى "رائد باشا" كلماته.. وفي لحظة رُفعت الأسلحةُ كلها في الهواء وشدَّ الجميعُ أجزاء أسلحتهم ليعلنِ الطرفين الحرب، ولم يتبقَ سوى "رائد باشا" الذي وقفَ ثابتًا دون أنَ يُخرج أي سلاحٍ يدافعُ به عن نفسه، نظر إلى "وحيد" مبتسمًا وقال هازئًا:

- كخ يا حبيبي.. المسدس ده مش للعب، ارميه من إيدك.



قالَ "وحيد" ووجهه قد احمرَّ عن آخره:

- أنا أقدر دلوقتي أمحيك من على وش الأرض، إنت مش فاهم ولا ايه؟

- اللي أنا فاهمه إن أي حركة غلط هتحاول تعملها دلوقتي هتحول المكان ده لساحة حرب، وصدقني محدش هيخسر غيرك، أنا هطلع من كل ده حي.

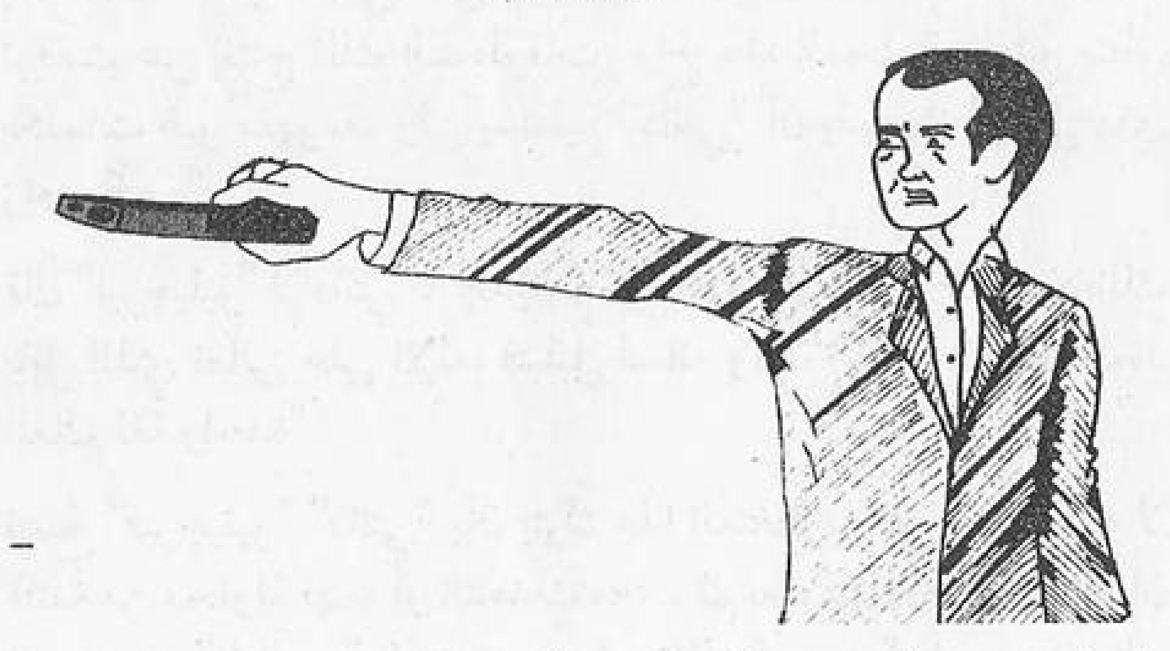
- تحب تجرب الموت دلوقتي؟ (زعق"وحيد")

- يابني أنا إله.. أنا مابموتش.. إفهم بقى. ("رائد" بثبات)

- وأنا هبقى ليك ملك الموت.

بعدَ أن قالها "وحيد"، قامَ بتعميرِ سلاحه، ووجهَ المسدس نحو رأس "رائد".

*****



-

يلا يا مسجون إنت وهو كل واحد على زنزانته.



قطعَ صوتُ العسكري الذي أمرَ المساجين بالعودة إلى زنزانتهم حكايةَ "فتحي"، فتوقف "فتحي" عن الحكي، وهمَّ بالنهوض.

- إيه مش هتكمل الحكاية؟ (سألتُه)

- أديك شايف أهو، بكرة نكمل الحكاية بقى.. يلا سلام يا برنس. (أجاب)

*****

بينما كان الشاعران يسيران بينَ الحلقة الثامنة والحلقة التاسعة في الجحيم.. لمحَ "دانتي" وسطَ الضباب أبراجًا مرتفعةً من بعيد، فسألَ مرشدهُ عن ماهية هذه المدينة، فأوضَحَ له "فيرجيليو" أن ما رآه ليس أبراجًا، وأن حواسه قد خدعَته، بل هم جماعةٌ من المردة الذين تكبروا وعتَوا في الأرض، وعندما اقتربَ "دانتي" وراءَ أحدهم بوضوح، فزعَ وشعرَ ببعض الخوف.. فقد كان بشع الخلقة، ضخمٌ جدًا، ومقيدٌ بالأغلال.. فكرَ "دانتي" في نفسه بأن الطبيعة كانت حكيمةً عندما توقفَت عن إنتاج تلك المخلوقات، راحَ هذا المخلوقُ البشعُ ينطقُ بكلمات غير مفهومة، ولن يستطيعَ "دانتي" أن يفهمها: "رافيل ماي زادي ألَمي".

قالَ "فيرجيليو" لـ"دانتي": "إنه يتهمُ نفسه بنفسه، هذا هو النمرود ملك بابل الذي تعالى على الإله، فتبلبلَ لسانه وكان السبب في ألا يتخذَ العالم لغة واحدة".

نصحَ "فيرجيليو" "دانتي" بأن يتركَ هذا المتغطرسَ في حاله، فإنه لا فائدة من محاولة فهمه أو التحدث معه.. ثم بعد ذلك وصلَ الشاعران إلى المارد "إفيالَيس" الذي تمردَ على الإله "جوبيتر"، ثم وصلوا إلى "أنتيوس" المارد الذي لم يثر على الآلهة، لذلك كان يتكلمُ بدونِ قيود،



فطلبَ "فيرجيليو" منه أن يحملهُما بين كفيهِ إلى الحلقة التاسعة من الجحيم.. فوافقَ المارد وحملهُما برفقٍ إلى حَلقة "يهوذا".

"الكوميديا الإلهية -الجحيم- الأنشودة الحادية والثلاثين- الأبيات ١٩-١٤٣"

*****



الحلقة السابعة

(الغضب)

"الغضب هو الشكل المطور والِجبان عن الحزن، فمن السهل أن تظهر بشكل الغاضب بدلاً من الظهور بمظهرِ الحزين"

توم جيتس



انتظرتُ قدوم اليوم التالي بفارغ الصبر.. كُنت أتشوقُ لمعرفة تفاصيل نهايةِ حكاية "رائد"، لكن ما حدثَ في اليوم التالي لم يكن في الحسبانَ، فعندما خرجتُ إلى ساحة السجن، كان هناك حشدٌ من المساجين عند نقطة معينة من الساحة، لم أحتَج إلى الكثير من الذكاء حتى أستنتجَ أن هناك معركةً تحتدمُ وسط هذا الحشد، اقتربت وحاولتُ أن أخترق الجموع حتى أصل للصفِّ الأمامي، بصعوبة نجحتُ في هذا، لتصطدمَ عينيَّ بشيءٍ كُنت أتوقعُ حدوثه منذ البدَّاية، "فتحي" مُلقى على الأرض بينما يجثو "نظير" فوقه، كان "فتحي" ينزف بشدة من أنفه وفمه، و"نظير" لا يبرحُ يكيلُ له اللكمةَ تلو الأخرى.. لكنه توقَّف للحظات عن الضرب ليلتقط أنفاسه، وللحق.. كان قرارًا غبيًا بحق، فقد أعطى الفرصة لـ"فتحي" بإخراج "الموس" من فمه، ليقومَ الأخير بخفةٍ وحرفيةٍ بجرح رقبة "نظير"، الذي وقعَ بجسدهِ للخلف، فتسمحُ الفرصة لـ"فتحي" بالنهوض والوقوفِ على قدميه.

- خلاص كده يا نظير خلصت، احنا الاتنين روحنا في داهية وخلصت اللعبة.

قالها "فتحي" وهو ينظرُ إلى "نظير" الذي وضعَ يده على رقبته محاولاً إيقاف النزيف، استدارَ "فتحي" بجسده ليغادرَ الساحة مُتجاهلاً "نظير"، لكنه فجأة، توقفَ وزاغت عيناه، كنتُ أنظرُ لما يحدُث وقد ألجَمت الدهشةُ لساني أنا وكل الواقفين.. بدأت الدماءُ تخرجُ كالشلال من فم وأنف وأذن "فتحي"، ثم وقعَ على الأرض ليظهرَ من خلفه "نظير" حاملاً حجرًا ثقيلاً غارقًا في دماءِ "فتحي".

في تلكَ الأثناء، انتشرَ العساكر في ساحة السجن، وبدأوا في فضِّ



الحشد الواقف وإعادة الجميع إلى زنازينهم، بينما التفَّ بعضهم حول "نظير" الذي اتسعَت عيناهُ من هول ما فعل، ليسقطَ الحجرُ من يده على الأرض.

*****

عندما وصلَ الشاعران "دانتي" و"فيرجيليو" إلى الحلقة الخامسة من الجحيم.. كان هناك نبعُ ماء مغلي، المياه فيه خليطٌ من اللونين الأحمر والأسود، ولكن الأسود يغلِّبُ على الأحمر بشكل أكبر، مشى الشاعران مع النبع، ليجِدا أن هذا النبعَ الحزينَ بمستنقعٍ يُدعَى "استيكس".

وقفَ "دانتي" حتى يُمعن النظر، فرأى قومًا غمرهُم الطين في المستنقع، كانوا عرايا.. ذوي وجوهٍ غاضبة، لا يتوقفون عن التضارب والعراك، لكنهم لم يكونوا يتضاربون بالأيادي فقط، بل بالأرجل والوجوه والرؤوس والصدور وحتى الأسنان، كانوا يمزقون بعضهم إربًا إربًا.

لم ينتظر "فيرجيليو" من "دانتي" أن يسأل عن ماهيةِ هؤلاء الخطاة، فقال له:

- تلك يا بني هي النفوسُ التي غلبَت عليها خطيئةُ الغضب.

«الكوميديا الإلهية- الجحيم- الأنشودة السابقة، الآيات من ١٠٠- ١١٦

*****

لن أقبلَ بأن تكونَ تلك هي النهاية، لا يزالُ هناك العديد من الأسئلة التي لم يُجِب عليها، لا زال مصيرُ العديد من شخصيات الحكاية مجهولًا ولن أحاول تخيُّل نهاية من خيالي.

انتظرتُ لأيامٍ متعلقًا في أملٍ واهٍ، كُنت أجلسُ وحيدًا في كل يوم لأقرأَ



ملحمةَ الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي "دانتي أليغييري"، أقرأها للمرة الحادية والعشرين دون أن أمَل.

بينما أنا مُنهمكٌ في القراءة، لمحتُ بطرفِ عيني اثنين من المساجين المعروفين داخل السجن بخطورتِهم، يُحيطون برجل يجلسُ وحيدًا في هدوء، كان من الواضح أنهم يقومون بمضايقته ومحاولة تضيق الخناق عليه، كُنت أعرفُ هذا الرجل، فلقد رأيتُه من قبل.. "هادي بَاشا"!.. الرجلُ الذي حاول استجوابَ "نظير" في زنزانته من قبل، لكنه لم يكُن يرتدي ملابسَ ضابطِ الشرطة، هذه المرة.. بل ملابسَ مسجون!

تركتُ الكتابَ من يدي واقتربتُ لأستمعَ بما يحدث، لم أكن أحتاجُ لكثير من الذكاء حتى أفهمَ أن هؤلاء المساجين أصحابُ "تار" قديم عند "هادي باشا"، وأنه الآن جاءَ إلى ملعبهم وحانَ وقت الاحتفال به.

كانوا يضايقونه ويسبُّونه ويصفونه بصفات بذيئة، لكنه ظلَّ محافظًا على هدوئه رغمَ كل ذلك وحاول تجاهلَهم، فشجعَّهم سكونه على الاستمرار في العبثِ معه، وبدون أية مقدمات، شدهُ أحدهما من قدمه ليُسقطه على الأرضِ، ويشرعَ الاثنانَ في الضحك، وكانت تلك هي الشرارةُ التي أشعَلت لهبَ غضبه.. قامَ "هادي" عن الأرض ورأسُه يشتعلُ من الغضب، وتحولَ لونه إلى اللون الأحمر، كان الأمرُ يشبهُ مشاهد تحول "hulk" الرجل الأخضر في أفلام "marvel".

- هو علشان سكتلك يابن الوسخة إنت وهو هتعيشوا عليا الدور، طب وحياة أمي لأفشخ ميتين أبو كوا.

تحولَ الأمرُ إلى قِتالِ حامي الوطيس.. واحتشدَ العديد من المساجين، و"هادي" لا ينفكُ يوجهُ اللكمات إلى الاثنين دونَ هوادة، ليصبحَ هو المسيطرُ الأوحد على مجريات المعركة، لكنه لن يستطيعَ مقاومة الاثنين لفترةٍ طويلة، فلقد استطاعَ الاثنين توجيهَ بعض اللكمات له فوقعَ

على الأرض، وانقلبَ الوضعُ في لحظات.. لتنهالَ اللكماتُ على وجه "هادِي" الذي راحَ كل جزءٍ في وجهه يصرخُ من الألم.. ظنَّ الجميع أن نتيجةَ المعركة قد حُسمت، لكن لا أحد حتى أنا توقعَ أن يحدثَ ذلك، فلقد خرجتُ من بين الحشد، ودخلتُ إلى ساحة المعركة، وركلتُ المسجون الجاثي فوق جسدِ "هادي" فأزحتهُ جانبًا، فاستطاعَ "هادي" أن يقومَ عن الأرض وهو يمسحُ الدماء عن أنفه وفمه.

قلتُ لهم:

– على فكرة اتنين على واحد مش رجولة.

يقفزُ "هادي" من مكانه كالنمر ويشرعُ في توجيه الضربات المُستمرة إلى الإثنين، ليسيطرَ مجددًا على زمام الأمور، لكن في تلك الأثناء.. يخترقُ السجَّانون الحشود الواقفة، ليفصلوا بين المتعاركين، ويسحبُون المتعاركين الأربعة الذين كنتُ من بينهم إلى السجنِ الانفرادي.

*****

بعد أيام تم إخراجُنا من الحبس الانفرادي، وعدتُ إلى ملل السجن ثانيةً.. في الحقيقة كنتُ أتحينُ الفرصة المناسبة لأتحدثَ مع "هادي"، عسى أن يملكَ مفاتيح الحكاية.. لكني لم أتوقع أن يأتي هو للجلوسِ بجانبي في مطعم السجن!

– شكرًا على وقفتك معايا يوم الخناقة. (قالها "هادي")

– لا ولا يهمك يا سعادة باشا، ده واجب علينا. (ردَدتُ بتوتر)

– سعادة الباشا! (قالها مُتعجبًا)

– ما أنا عارفك، وشوفتك هنا قبل كده.

– طب اسم الكريم إيه بقى؟ (سألني)

- الكاتب المجهول. (فأجَبت)

ابتسمَ وقال ساخرًا:

- ده اسمك الحقيقي ولا على فيس بوك.

- لا ده اسم الشهرة، ومبحبش اتعامل باسمي الحقيقي، بحب الاسم ده أكتر، لإنه مش اسمي بس، ده مهنتي.. بالمناسبة أحب أعرفك بنفسي.. أنا كاتب، ليا حتى كتب وأفلام في السوق وممكن تكون عارفني.

تكلمنا كثيرًا، ومزحنا أكثر، واكتشفتُ أنه يعرفُ أعمالي السينمائية ومعجبٌ بها بشدة، أخبرني أيضًا أن ابنه الوحيد يحبُّ تلك الأعمال، فقادني فضولي البشري إلى أن أسئلهُ عن اسم ابنه فقال:

- كان اسمه عمر، وكُنت بحبه أكتر من أي حاجة في الدنيا.

تساءلتُ متعجبًا:

- كان وكُنت؟ هو ...

لم أُتمم جملتي، فقد لاحظتُ بوادر دموعٍ على وجهه، ففهمتُ كل شيء، وقلت:

- البقاء لله.

سكتَ قليلاً وكأنما يبتلعُ الغصةَ التي في حلقه، ثم عادَ يتكلم:

- كنت بحبه أوي، مكانش ليا حاجة غيره بعد ما أمه ماتت وهي بتولده، كانت أحلى ست في الدنيا، الوحيدة اللي كانت ممكن تستحملني في الدنيا دي، أنا مشفتش أمي، وهي كانت أمي، ولما ماتت، حسيت فعلا وقتها إني بقيت يتيم، مش ابني بس اللي بقى يتيم، عمر كان هو الحاجة الوحيدة اللي فضلالي منها، كنت كل يوم بأكله وبشربه، حتى رباط



الجزمة كنت أنا اللي بربطهوله علشان مكانش بيعرف يربطه، وهو بمنتهى السهولة خده مني.

- ربَتُ على كتفه وأنا أقول:

- اهدى بس ووحد الله، هو مين ده اللي خده منك.

- زايد.

كان الاسمُ كفيلٌ بأن يُثير فضولي، وجدتُ نفسي دون أي مقدماتٍ أقول:

- ممكن تحكيلي بالظبط زايد ده عملك إيه؟

تحولتُ حالة "هادي" من الحزن إلى التعجب، فأكملتُ كلامي:

- أنا أعرف زايد ده، احكيلي حكاية زايد معاك وأنا ممكن أساعدك، ممكن أكتب عنه، وعن اللي عمله وأحاول أفضحه.

ابتسمَ ابتسامةً حزينةً وقال:

- وتفتكر إن هو ده الحل؟.. إنت ساذج أوي.. البلد دي علشان تأخد حقك فيها، لازم تخده بالقوة يا بتاع الحكايات.

سألت:

- طب وإنت إيه اللي سحب منك القوة دي، إنت مش كنت ظابط، إيه اللي قعدك وسط المجرمين؟ إيه تُهمتك؟

فردَّ بسؤال:

مهتم تسمع الحكاية؟

أجبتُه:



- أنا أهم حاجة عندي دلوقتي إني أسمع الحكاية.

- هحكيلك.. بس مش هلحق أحكيلك حاجة دلوقتي، بكرة نتقابل في أول مكان اتقابلنا فيه في السجن.

ظللتُ أعدُ الساعات والدقائق إلى أن بزغَ فجر اليوم التالي، وإلى أن أتى موعِد اللقاء.. وبالفعل، التقينا، وبدأ هو في سردِ كل شيء.

*****

(الجزء القادم نقلاً عن حكاية "هادي" على لسانه)

من أين أبدأ حكايتي؟.. من اليوم الذي ماتَ ابني فيه؟ أم من اليوم الذي ماتت زوجتي فيه؟ أم من اليوم الذي ماتت أمي فيه، والذي هو يوم ولادتي؟ أو أخبرك بحلٍ أفضل، سأحاول أن ألخصَ كل هذا.. أنا "هادي عبد السلام".. إنسانٌ كارهٌ لحياته، ولدَ في الشهر السابع أو "ابن سبعة" كما يُقال، وتوفيَت والدتي أثناءَ ولادتي، عشتُ في كنف أبي سيادة العقيد "عبد السلام سالم"، والذي توفي بعدها بسبعةِ أعوام أثناء تأديته لوظيفته، كان الرقمُ سبعة يلعبُ دور ملك الموت في حياتي، بعد أن استُشهد أبي تربيتُ في كنف جدي سيادة اللواء "سالم عبد الودود"، أعتقدُ أنك أصبحتَ تدرك الوضع الاجتماعي والوظيفي لأسرتي.. أسموني "هادي" كما تمنّت أمي قبل موتها، لكنهم لم يكونوا على علم بأنني سأكونُ طفلاً في غايةِ الشقاوة، ومن بعد ذلك مراهقٌ مُتمردٌ على كلِ شيء، لأتحول إلى شاب دائم الثوران، كان الطريقُ ممهدًا أمامي منذ أن ولدت.. كلية الشرطة لأكملَ مسيرة الكفاح التي بدأها جدي وأكملها من بعده أبي، كانوا يرونَ في كلية الشرطة حلا مثاليًا لأتمكنَ من توظيفِ الغضب الكامن بداخلي، لأستغلهُ في مِطاردة المجرمين واستجوابهم، دخلتُ كليةَ الشرطة وتخرجتُ لأصبح من نوعية الضباط الشرفاء، تعرفهم بالطبع.. قد أبدو للجميع شخصًا قاسيًا ولا

يُرحم، لكنني لم أُحاول يومًا أن أتقمصَ شخصية "حاتم"، ولم أكُن يومًا أرى أنها فوضى.

بدأ كل شيءٍ في ذلك اليوم الذي أرسلَ لي فيه أحدهُم أوراقًا ومستنداتٍ مهم، تخصُّ عملية تجارةٍ وتهريب سلاحٍ في مصر، السلاحُ قادمٌ من ألمانيا، والعمليةِ متورطٌ بها رجال أعمالٍ كبارٍ في الدولة.. كان مُرسل الورق يتواصلُ معي تحتَ اسم "فاعل خير" وعندما حاولتُ أن أُظهِر هذا الورق، رُمي في القمامة، وقيلَ لي:

- إيه الكلام الفاضي اللي إنت جايبهولي ده! يا سيادة الضابط ركز في شغلك، وبطل تجري ورا تخاريف.

لكني لم أتوقف، بل ظللتُ أبحثُ عن دليلٍ بنفسي، عرفتُ من خلال الرسائلَ التي كان يرسلُها لي فاعل الخير أن "نظير" وهو أحدُ من المتورطين في العملية وموجودٌ هنا في السجن، لذلك جئتُ إلى هنا باحثًا عن أية معلومة.

*****

- إنت مش ناوي تنطق تقول كل حاجة يلا؟

- لا هو ده كل اللي عندي يا سيادة الباشا، غير كده مفيش ومعرفش.

*****



لم أخرُج منه بأي معلومة مفيدة، وكانت فرصتي الوحيدةُ في أن أتمكنَ من الإمساكِ بالمتورطين في العملية متلبسين.

في تلك الفترةِ كُنت عصبيًا جدًا، ولا أطيقُ التحدثَ مع أحد، وفي اليوم التالي بعد أن فقدتُ الأمل في العثور على أي دليل، وبينما كُنت جالسًا أفكر في حل، اقتربَ مني "عمر"، وطلبَ مني أن أساعدهُ في ربط حذائه، لم أعِره أي اهتمام، فألحَّ عليَّ بالطلب، ولم يكن يتوقعُ أنني سأصرخُ في وجهه بهذا الشكل:

- مش هربط حاجة، إنت كبرت، اتعلم تربطه لنفسك.

ظلَّ "عمر" واقفًا ينظرُ لي في ثبات، وبوادرُ الدمع في عينيه، قبل أن يلتفَ ويجري نحو جدتهِ التي احتضنتهُ واحتضنت دموعَه معه.

كانت جدتهُ هي الشخصُ الذي يرعاه أثناء غيابي، تسكنُ معنا في نفس البيت، هي جدتُه من ناحية أمه، وهي امرأةٌ في الستينات لكنها لا تزال بصحةٍ جيدةٍ تمكنُها من الاعتناء بطفلٍ في السابعة.

ذهبَ "عمر" إلى مدرسته وعاد والحزن بادٍ على وجهه، أعترفُ أنني كنتُ قاسيًا معه، وفكرتُ في أن أعتذرَ له، لكنَّ القدر لم يمهِلني الفرصة لذلك، فلقد جاءني في نفسِ اليوم اتصال مهم:

- إزيك يا هادي باشا، معاك فاعل الخير اللي بيبعتلك الورق.

- إنت بقى فاعل الخير! وليه دايمًا مستخبي لو إنت فعلاً فاعل خير؟ (قُلت)

- إنت كل الفترة دي واثق فيا، خليك واثق فيا المرة دي، يمكن تكسب. (ردَّ بهدوء)

- اخلص.. قول اللي عندك.



- إنت صحيح ملحقتش تقفشهم وقت صفقة الألمان، بس في فرصة تانية.. زايد ورائد هيتقابلوا ومعاهم شحنة سلاح كبيرة، أعتقد دي أحسن فرصة تقفشهم فيها متلبسين.

أبلغني بالزمان والمكان، كان المكانُ على بُعد ساعتين من منزلي، أما الزمانُ فكان بعد ساعتين!

هبطتُّ من المنزل وركبتُ سيارتي بسرعة واتصلت بـ"رفيق" زميلي في العمل، لأطلبَ منه أن يلحقَ بي إلى هناك، وبرفقته العرباتُ المُحملة بالعساكر.

تقابلتُ مع "رفيق" في منتصف الطريق، وعندما أصبحنا على مقربة من المكان المحدد، سمعنا صوت إطلاق النار، طلقةٌ واحدةٌ تبعَتها عشرات الطلقات، زودتُّ السرعة، حتى نصلَ بشكل أسرع، كان هناك العديدُ من العربات السوداء الواقفة في مقابلة بعضها البعض، بالإضافة إلى عشرات الرجال راحَ بعضهم يتبادلون إطلَاق النيران، وشرعَ البعضِ الآخر في الهرب، على الأرض تراصَّت ستُّ حقائب مفتوحة ومُحملة بمسدسات بلاستيكية، وفي وسطِ هذا المشهد الغريب جثةٌ لرجلٍ تلقى رصاصةً في منتصف رأسه.

قامت عرباتُنا بتطويق المكان، وهبطَ العساكر من السيارات حاملينَ أسلحتهم، وأجبرنا الَجميع على رمي مسدساتهم، للأسف لم نتمكن من الإمساكِ بهم جميعًا، فقد هربَ العديدُ من الرجال، لَكن كان من بينِ من نجحنا في تطويقهم شابٌ يدعى "فتحي" كان من أتباعِ "رائد" المَخلصين، وعمل مع "نظير" من قبله، لذلك اعتبرتهُ شاهدًا مهمًا بالإضافة بالطبع إلى "وحيد" ابن "زايد".. بعد أن هدأ كل شيء، رحتُ أجول ببصري فيِ ساحة المعركة، واقتربتُ من الجثة الراقدة على الأرض، كانت جثةٌ لرجلٍ في أواخر الأربعينات، شعره شديد البياض،



ويرتدي نظارةً سوداءً تلطخَت بفعل الدماء التي انفجَرت من رأسه، كانت هذه الجثة لـ"رائد"!

لم يكُن هناك أي قضية.. ليس هناك قانونٌ يُدين من يتاجرُ في المسدسات البلاستيكية، لكن هناك العديدُ من الإصابات، وهناك جثةٌ لرجل تم قتلهُ عمدًا، والعديدُ من الشهودِ على أن القاتلَ هو "وحيد" ابن "زايد البرعي"، وبهذا يكونُ لدي تهمةٌ لأحبسهُ بسببها على ذمة التحقيق، أما "فتحي" فقد تم ترحيلهُ إلى السجن بعد اكتشافنا أن عليه أحكامًا قديمةً تُقدرُ بعشر سنين، بينما حُبس البقية أيامًا معدودات.

في نفس الليلة، وقبل طلوع الشمس.. جاءني اتصالٌ من رقم مجهول، توقعتُ أنه فاعل الخير، لكن هذا لم يُكن صوته، كان صوتٌ غريبٌ هو من حدَّثني تلك المرة:

- صباح الخير عليك يا سيادة الظابط المحترم.

- مين معايا؟ (سألت)

- زايد باشا، أكيد عارفني. (أجاب)

ابتسمتُ ابتسامةً خافتةً وقلتُ مرحبًا:

- يا أهلًا وسهلًا.. مكالمتك شرفتني.

- تسلم يا باشا، من غير لف ولا دوران، إنت عارف أنا بكلمك ليه طبعًا. (تحدثَ بشكلٍ مباشرٍ وجدي)

- لا مش واخد بالي الحقيقة. (تصنعتُ الغباء)



لكن فجأة، تغيرَت لهجتهُ مئةً وثمانين درجة وهوَ يقول:

- بقولك إيه.. بطل استعباط، إنت فاكر اللي حصل ده هيعدي بالساهل! بص يلا.. أنا عارفك كويس ومعايا معلومات عنك، وعارف إنك مش هتيجي بالفلوس.

قاطعتُ كلامه وقد احمرَّ وجههي من الغضب:

- إنت ازاي تكلمني كده، احترم سلطتي ومركزي أحسنلك.

- لا يا حبيبي فكك من الكلمتين دول، أنا سلطة أكبر منك، فاسمع الكلمتين دول كويس.. لو ابني مخرجش خلال ٢٤ ساعة، أوخبر إنه قتل ده اتسرب برّه، ابنك هيتئذي أكتر من ابني بكتيير.

- قصدك إيه؟

لم يردَّ على سؤالي، وأغلقَ الخط.

أول شيءٍ فكرتُ فيه عندها أن أتصلَ بالمنزلِ حتى أطمئنَّ على أخبارهم، اتصلتُ مرةً تلو الأخرى تلو الأخرى.. لا أحدَ يرد، كُنت أعلمُ أن هذا هو موعدُ نومهم، لكن حماتي كان نومُها خفيفًا، وجرسُ الهاتف كان ليوقظها بسهولة، تملكني الرعب، هرعتُ بالسيارة نحو المَنزل، وبمجردِ أن وصلتُ وصعدتُ إلى حيثُ شقتي، ألفيتُ حشدًا من الناس يلتفونَ حول باب الشقة، ويضربون كفًا على كف، اقتحمتُ هذا الحَشدَ وأنا أصرخُ فيهم بأن يُفسحوا، وبمجردِ أن دخلت اصطدمت عيناي بحماتي واقعة على الأرض بين يدي رجُلين يُحاولان أن يسعفاها، صحتُ فيهم لكي يقوموا، وجَلستُ أنا بجوارها، سألتُها بلهجة ملؤها التوترُ عن "عمر"، كنتُ أعرفُ الإجابة لكني كنتُ أحاول أن أنكِرها، نطقَت حماتي بينما تلتقطُ أنفاسها بصعوبة:

- عمر.. عمر يا هادي.. خدوه.

ابتلعتُ ريقي وأنا أسمعُ إجابتها الصادمةَ قبل أن تفقدَ الوعي، فصرختُ في الواقفين:

- حد يتصل بدكتور بسرعة، فين الاسعاف؟

*****

نُقلت حماتي إلى المستشفى.. ووقفتُ أنا في مكانِ الاستقبال بالمستشفى أحاول مرارًا وتكرارًا أن أتصلَ بالرقم الذي كلمني منه "زايد" لكن الرقمَ كان مغلقًا، لكن أثناءَ أحدِ تلك المحاولات البائسة، رنَّ هاتفي، اتصال من رقم مجهول! ردَدتُ على المُتصل، وكنت واثقًا أن الصوت الذي سيأتيني الآن من الجهة المقابلة، هو صوتُ "زايد".. لكني لم أكن محقًا بشكلٍ كامل:

- ألو يا بابا.. (كان الصوتُ الذي ردَّ عليّ هو صوتُ "عمر")

- عمر!.. ألو ياحبيبي إنت فين.. إنت كويس؟

أجابني بصوتهِ الطفولي:

- أنا معرفش أنا فين.. بس في ناس شريرين خدوني ووقعوا تيتة على الأرض.. وقالولي أكلمك علشان تيجي تاخدني.

أعدتُ تكرار السؤال:

- طب إنت فين يا حبيبي.. تعرف؟

فقالَ لي:

- لا مش عارف.. هما قالولي إنك لازم تعمل اللي هما قالولك عليه قبل ما تيجي تاخدني، وفي واحد هنا زعقلي جامد وقال إنه هيموتني

لو إنت ماسمعتش الكلام.

بدأ "عمر" في البكاء، وشعرتُ بقلبي يتم اعتصاره، حاولتُ أن أُهون عليه، لكنهم لم يمهلوني الوقتَ لفعل ذلك، فقد ابتعد صوتُ ابني، ليحلّ محلهُ صوتُ "زايد":

- أعتقد كده يا سعادة الباشا إنت بقيت فاهم اللي فيها، وحيد يخرج النهاردة، وإلا مش بعيد أمصمص صوابع ابنك الصغيرة دي ع العشاء النهاردة.. هبعتلك رقم في رسالة، الرقم ده تكلمني عليه النهاردة وتقولي رأيك في الكلام.. باي يا باشا.

وكما فعلَ في المرة السابقة، أغلقَ الخطَّ دون أن يُمهلني فرصةً للرد.

لقد وضَعني أمام قرارين لا ثالث لهما، إما أن أساعد في تحرير مجرم وأفعل شيئًا ضدِ مبادئي والقانون، وإما أن أترُك ابني للموت.. كُنتَ على وشك أن أجن، وكادَ رأسي أن ينفجرَ من التفكير، لم يكن في مقدرِتي التفكير وحيدًا، لذا قررتُ أن أزورَ أقرب صدق لي، "رفيق".. زميلَ العملِ وصديقي ودُفعتي في كلية الشرطة، اتصلتُ به، وعلمتُ أنه موجودٌ في مكتبه في القسم، خرجتُ من المستشفى لأركبَ سيارتي حتى أذهب له، لأحكي له كل شيءٍ كما أحكيه الآن، استمعَ إلى حكايتي بالكامل، وسكتَ وقد ظهرت في عينيه نظرةُ استسلام، لكنه بعد صمتٍ طال، تكلم:

- أنا ممكن أساعدك باللي إنت عايزه.. الوضع صعب بس ممكن نحاول نتعقب مكانه، أو مثلا نحاول نتحصل على المكالمات دي لو متسجلة.

قلتُ له:

- الراجل ده ذكي جدًا جدًا.. مستحيل يكون بالغباء ده، غير إني متأكد



إن مش هو اللي بيكلمني، أو بيكلمني من خلال تطبيق على الموبايل بيسمح له يغيّر صوته، يعني التسجيلات ملهاش لازمة.

بدَتِ الحيرةُ على وجهه، وكادَ يعودُ إلى صمته، لكنه قرر أن يتكلم كحلٍ أفضل:

- بص يا صديقي.. أنا أعرفك من زمان، وعارف إنك مستحيل تتهاون ضد أي ضغط، وإنك مش هتسمح لحد يكسر عينك أو عين القانون.. بس فكر مرتين قبل أي خطوة، وأنا هساعدك في اللي إنت عايزه، وهنقلب الدنيا لحد ما نعرف مكان عمر فين.

ابتسمتُ ابتسامة مجاملة حاولتُ من خلالها أن أبدو قويًا، ثم ربتُّ على كتفه وأنا أرى نظرات التّعاطف والحزن في عينيه، التفتُّ وخرجتُ من مكتبه ثم من القسم بالكامل، تركتُ سيارتي تحتلُّ مكانًا أمام القسم، ورُحت أطوف في الشوارع علي قدميّ، أسيرُ بلا هدفٍ أو فكرة، بقيتُ على هذا الوضع إلى أن سمعتُ صوت الأذان يأتي من مسجدٍ كبير، فوجدتُ نفسي أتبعُ الصوت دون إرادة.

دخلتُ إلى المسجد، توضأتُ وصليت.. كان قد مرَّ وقتٌ طويلٌ عن آخر مرةٍ دخلتُ فيها لأصلي بالمسجد، بعد أن أنهيتُ الصلاة، جلستُ خاشعًا بين يدَي رحمته، أدعوهُ أن يُلهمني الصواب، أن يُوجهني للشيءِ الأصلح.. بكيتُ كثيرًا، بكيتُ كما لم أبكِ مُذ كنتُ رضيعًا، لم أشعُر بهذه الراحة النفسية منذ زمن، أحسستُ بسلام داخليٍّ لم أحسَّ به قبلًا، رفعتُ رأسي إلى الأعلى، وابتسمت.. شعرتُ أن الله قد أرسلَ ليَ الحل، كان الحل هنا، داخلَ قلبي، لم يكُن هناك خياران من البداية، بل هو خيارٌ واحد، وقدرٌ محتوم.

*****



عُد إلى القسم.. تحديدًا إلى الزنزانة التي وُضع فيها "وحيد"، أمرتُ العسكري بأن يفتحَ الباب، ودخَلت.. كان "وحيد" جالسًا على الأرض وسطَ المساجين، وبمجرد أن رآني ابتسم، وكأنه كان ينتظرُ قدومي، قامَ عن الأرض وهو ينفضُ ملابسه، بينما انشغلتُ أنا في الاتصال بالرقم الذي أرسله لي "زايد"، وضعتُ الهاتف على أذني، وبمجرد أنَ رنَّ الجرس، ناولتُ الهاتف لـ"وحيد"، الذي وضعَ الهاتف على أذنه، وراحَ يخاطبُ المُتحدثَ من الجهة الأخرى:

- ألو.. أيوه يا بابا.. آه تمام.. هو واقف قدامي أهو.. عايز تكلمه؟.. حاضر خد معاك أهو..

أنهى "وحيد" كلامهُ وناولني الهاتف وابتسامةُ استهزاءٍ على ثغره، كُنت على وشك أن أهشم جمجمته، لكني حاولتُ أن أُمسك أعصابي، تناولتُ الهاتف، وحدثتُ الشخص الذي كنتُ أعلم أنه "زايد":

- شكرًا يا هادي باشا، تعبناك معانا، كويس إنك رجعت لعقلك وقررت تعمل الصح.

قلتُ له:

- أنا فعلاً قررت أعمل الصح يا زايد بيه.. والصح إن ابنك يفضل هنا على ذمة التحقيق، لحد ما الطب الشرعي يثبت إن الرصاصة خارجة من مسدسه.. ويتحاكم.

رأيتُ ملامح "وحيد" تتغير، والابتسامة السخيفة تُمحى عن وجههِ ليحُل محلها الفزع، بينما صرخَ "زايد" في الهاتف:

- إنت مجنون يلا ولا إيه؟.. إنت مش واخد بالك إن ابنك الوحيد في إيدي؟

- ابني في إيد ربنا، وهو بس اللي يقدر يحدد مصيره.



قلتُها ثم أغلقتُ الخط، والتفتُ قبل أن يلمحَ "وحيد" الدموعَ في وجهي، لآمر العسكري بأن يُغلق باب الزنزانةِ من خلفي.

لم يمرَّ الكثيرِ من الوقت، مع غلبةِ الليل على النهار، اتصلَ بي "رفيق"، ليُخبرني بما كنت أتوقعُه، جثةُ "عمر" ابني الآن في المشرحة!.

لن يفهمني سوى منِ جربَ مشاعر الأبوة.. لن يفهم أحدٌ ما معنى أن تفقدَ الابن الذي تعيشُ حياتك من أجله، أن تفقده بعد أن حملته مُذ كان عمرهُ يوم، وربيتهُ ورأيته يكبرُ يومًا وراء يوم، تعلم المشي والكلام وكل شيءٍ تحت عينك.

ركبتُ سيارتي إلى المستشفى التي أخبرني "رفيق" عن مكانها، لم أكن أرى أمامي، نجوتُ من حادث سيارة بأعجوبة، عندما وصلتُ قابلتُ "رفيق"، شدني من يدي دونَ أن ينطقَ بكلمة وصعدَ بي نحو ثلاجةِ الجثث في المستشفى، عندما دخلتُ إلى الثلاجة اصطدَمت عيناي بسرير معدني، مغطى بملاءة بيضاء مدرجةٍ بالدماء، وأسفلها تجسيمٌ لجسدِ طفلي الصغير.. لم يكن يظهرُ منَ الجثة سوى قدمهُ تحت الملاءة، كان يرتدي حذاءهُ الصغير، وربطة الحذاءِ مفكوكةٌ كالعادة.

لم أستطعِ تمالكَ نفسي.. انهرتُ في البكاء والصراخ بجوار قدمه، بكاءَ أب مفجوع، أمسكتُ بربطةِ حذاء "عمر" الذي لطخ ببقعٍ من الدم، وربطتُ ربطةَ حذائه بينما يترددُ في أذني صوتي عندما وبختهُ آخر مرة.

*****

- مش هربط حاجة، إنت كبرت، اتعلم تربطه لنفسك.

*****

زادَ بكائي.. لتختلطَ دموعي بدمائهِ فوق الحذاءِ الأبيض.



- أنا آسف يا عمر.. سامحني.. أنا ربطلك رباط الجزمة أهو، رد عليا وقول إنك مسامحني.

لم يردَّ "عمر"، حاولَ "رفيق" أن يشُدني إلى الخارج، لكنني صرختُ فيه، وتمسكتُ بقدم ولدي الصغيرة، صرختُ حتى فارَ الدمُ في رأسي، وأعلنَ ضغطُ الدمِ في جسدي أنه وصل إلى أقصى حدٍّ له، فسقطتُ على الأرضِ مغشيًا علي.

*****

مرَّت أيامٌ على حادثة مقتل "عمر".. وفي كل يوم، كانت النيرانُ داخل قلبي تزدادُ اشتعالاً، كُنت أراني أصَفي دماءَ "زايد" وولده في كل ليلةٍ في أحلامي، حتى آتى يومَ محاكمة "وحيد"، طلبتُ أن أحضرَ كشاهدٍ في القضية، خلعتُ الزي الرسمي، وذهبتُ لأشهد كمواطن عادي، عندما اقتربتُ من باب قاعة المحكمة أبرزتُ أوراق الهوية للعسكري الواقف بالخارج، فحياني ودخلتُ دون أن يفكرَ حتى في تفتيشي، دخلتُ إلى قاعة المحكمة، ورأيتُ بالداخل "زايد" يجلسُ وسط رجالهِ في الصفِ الأمامي ويشيرُ لولده الواقفِ خلف قفص الاتهام حتى يبقى مُتماسكًا، وددتُ لو أتمكنُ من غرزِ يدَي في كرش هذا السمين لأمزقه إربًا إربًا، لكنني تماسكت، وجلستُ في مكانٍ بعيد بالقاعة ورحتُ أراقبُ "زايد"، كان رجلاً في الخمسينات يتمتعُ ببطنٍ كبيرة، هناك ذقنٌ بيضاء خفيفة تزينُ لغدهُ الكبير، يرتدي جاكت مع قبعةٍ فوق رأسه تشبه قباعات لاعبي التنس، تنسدل من أسفلها بعض خصلاتُ الشعر الرَمادية، ويبدو أنه يُخفي رأسًا أصلعًا تحتَ هذه القبعة.

نادى القاضي على قضيةِ "وحيد"، فخرجَ محامي الدفاع ليقفَ أمام القاضي ليُدافع عن "وحيَد"، جلستُ أستمعُ إلى مرافعته وأنا مصدومٌ مما أسمع، كان كلامُ المحامي شديدَ الغرابة:



- تحليل المعمل الجنائي أثبت يا سيادة القاضي إن الطلقة مش خارجة من مسدس موكلي "وحيد زايد".. طبعًا هتسألوني أمال مين اللي قتل؟.. اللي قتل المجني عليه رائد.. كان أحد رجال موكلي، وده لسبب واضح جدًا، موكلي لما اتاخد كان بحوزته شنط مسدسات لعبة، المسدسات دي تعتبر تجارة موكلي، والمجني عليه ورجالته في ما بينهم وما بين موكلي عداوة بسبب الشغل، وكانوا عايزين يستولوا على تجارة موكلي وحيد، وطبعًا رجالته كانوا بيدافعوا عن تجارة موكلي، ففي الحالة دي مفيش أي تهمة تقع على حد فيهم، ده دفاع عن المال والتجارة والنفس..

بعد أن أنهى المحامي مرافعتهُ الشيطانية، جاءَ دور الشهود، والذين تغيرَت أقوالهم أمام القاضي، كل الشهود غيروا شهادتهم، فضَّلوا السجن على أن يقتُلهم "زايد" ويقتلَ أهاليهم، حتى أهمُّ شاهدٍ في القضية.. "فتحي" ذراع "رائد" اليمنى، عرفتُ أنه قتل في السجن، تحولت القضيةُ بالكامل لصالحِ "وحيد"، ولم يتبقَّ سوايَ لأكون آخر الشهود.

قالَ القاضي:

- قول والله العظيم هقول الحق.

سكتُّ لثوانٍ.. نظرتُ للمشهد من حولي لأستوعبَ كل شيء، استرجعتُ كلَّ ما مررتُ به، ثم تكلمت:

- والله العظيم أقول الحق، ولا شيء غير الحق.. أنا عشت حياتي أقول الحق، وأدعم الحق.. عيلتي كلها عاشت تقول الحق وتدعم الحق، ولما حبيت أعلي راية الحق، الراية وقعت فوق دماغي.. أنا كنت شاهد على اللي حصل، وعارف كل خبايا الشلة اللي قاعدة دي.. الحكاية مش بس حكاية ابن الباشا الكبير تاجر السلاح اللي محدش عارف يمسك



عليه حاجة، ولا حكاية الباشا تاجر السلاح التاني اللي مات.. الحكاية بقت فساد في كل حاجة، الحرمية واللصوص بقوا هما المتحكمين في السلطة وحياة البلد والناس اللي فيها.. بقت أروحنا وأرواح ولادنا لعبة في إيديهم وأرواح عيالهم هما أغلى من أروحنا ألف مرة..

قاطَعني صوتُ مطرقة القاضي وهو يقول:

- اتكلم على قد القضية يا سيادة الظابط.

علا صوتي عندها:

- القضية!.. القضية الحقيقية هي ابني اللي مات من غير سبب، هما اللي قتلوه، علشان وقفت مع الحق.. هتقولولي فين دليلك، هقولكم مفيش.. زايد باشا خطف ابني وقتله لما أنا مرضتش أغطي على جريمة ابنه..

قاطعني القاضي مجددًا:

- لازم دليل على كلامك الخطير ده؟ لو عندك دليل قدمه.

تابعتُ الكلام:

- معنديش دليل على كلامي، وأنا عارف حكمكم من قبل ما تقولوه، وأنا مُحتسب ابني عند الله شهيد.. لكن ده لا يمنع إني هاخد حق حرقة قلبي على ابني، أنا عشت أقول الحق وأخدم الحق، لكن الحق منصفنيش.

أخرجتُ مسدسي من جيبي وسطَ دهشة كل من في القاعة، ووجهتهُ نحو صدر "زايد" الذي اتسعَت عيناه، ثم ضغطتُ على الزناد.

*****



الحلقة الثامنة

(السبع خطايا)

الشراهة.. الشهوة.. الكسل.. الطمع.. الحسد.. الغرور.. الغضب..

هذه هي الخطايا السبع المميتة..



- زايد مات؟! (سألتُه)

- مكنتش حاسس بنفسي.. مكنتش شايف قدامي غير صورة ابني المدبوح، ومش حاسس غير بالغضب اللي بيقل مع كل طلقة بتخرج من مسدسي تدخل في جسم زايد.. حتى لما اضربت على دماغي محستش بألم، محستش غير بسواد بيتجمع حوالين رؤيتي، وبيقفل على آخر مشهد شفته.. جسم زايد وهو بينزل دم من كل حتة.

سكتَ "هادي" بعد أن أنهى كلامه، التزمتُ الصمتَ أنا أيضًا، ظللنا على هذا الوضع حتى سمعنا صوتَ العساكر يأمروننا بالعودةِ إلى زنزاناتنا.. قُمت من مكاني.

- تعرف! أنا برضو عندي حكاية، قد أحكيها لك يومًا ما.

قلتُها وتوجهتُ إلى زنزانتي.

*****

بمرور الأيام توثقَت علاقتي بـ"هادي".. جمعَتنا طاولات الطعام بالسجن، والعديد من المشاجرات والمعارك مع الكثير من المساجين، أصبحنا المسجونان الأكثر شهرةً والأعلى سيطًا، بلَ أصبحنا زوارًا دائمين لغرفة الحبس الانفرادي، كانت سرعة غضب "هادي" وعصبيتهُ دائمًا ما تأتي لنا بالمشاكل.. لم أكُن يومًا من النوع الاجتماعي، لم يكن لي أي أصدقاء، كُنت أفضل دومًا مجالسة الكتب على مجالسة البشر، حتى عندما أصبحتُ كاتبًا، فضلتُ أن أكون مغمورًا، لكني ولأول مرة، أصبحتُ أملكُ صديقًا.

اتخذتُ "هادي" صديقًا لي.. لم يكن فيه شيءٌ يميزه عن غيره ممن قابلتُهم في حياتي، لكن يبدو أن الصداقة كالحبِّ يا سادة.. علاقة



تتكون بين البشر دون مواعيد أو حسابات، مرَّ شهرٌ على لقائنا الأول، ووجدتُ أنه قد حانَ الوقت لأتكلمَ أنا أيضًا.

كان يومًا عاديًا جدًا لا يميزه أي شيء عن أيام السجنِ التقليدية، كان جالسًا في نفس المكان الذي تعوَّدنا الجلوس فيه في ساحة السجن، رأيته شاردَ الذهن، فتعجبتُ من منظره، واقتربتُ منه حاملاً رزمةً كبيرةً من الأوراق وجلست، عندما حاولتُ أن أستفهمَ عن سبب شروده، أخبرني وهو لا يزالُ على حالته:

- وحيد ابن زايد مات!

قلتُ له:

- طب دي حاجة كويسة، إيه بقى اللي مزعلك.

ردَّ قائلاً:

- مش فاهم ده حصل ازاي.. أنا كل ده كنت فاكره خلاص خد براءة، لسه عارف دلوقتي من رفيق لما جالي، إن وحيد مات مسموم قبل ما يخرج من السجن، مش شايف إن دي حاجة غريبة، أكيد الدنيا مقلوبة بسبب حادثة زي دي.

- ماتفكرش كتير، ربنا انتقملك وخلاص، المهم بس تركز دلوقتي في دي.

قلتُها وأنا أناوله رزمةَ ورقٍ ضخمة، فنظرَ لها بعدم فهمٍ وسألني:

- إيه الورق ده؟

فأجَبت:

- ده ملخص حكايات كتير، لميتها وسمعتها وأنا موجود هنا في السجن، منهم حكايتك، عايزك تقرأ الورق ده وترجع تقولي فهمت



إيه، ولحد ما تخلص قرايته، ماتتكلمش معايا أو تقعد جنبي.

كنتُ أرى علامات الاستغراب وعدم الفهمِ تزحفُ فوق ملامحِ وجهه.

- مش فاهمك. (قالَ "هادي")

- لما تخلص قراية ممكن تفهم. (قلتُ له)

*****

قالَ "دانتي" إن الفنَّ يُحاكي الطبيعة، فالفنُّ مثل التلميذ وأستاذه، الفنُّ هو حفيد الله".. إذًا لماذا لم يخصِّص "دانتي" في جحيمه مكانًا للذين لا يكتُبون؟ للذين قرروا أن يأتوا إلى العالم ثم يُغادروه دون أن يتركوا حرفًا لهؤلاء الذين وُلدوا من بعدهم.. ما كانت الفائدةُ من وجودك إذا لم تترك أثرًا لكَ في هذا العالم، ما الفائدةُ من وجودكَ إذا لم تصنَع فنًا، أو ترسُم لوحة، أو تكتُب كتابًا، أو تدوِّن نوتةً موسيقيةً عظيمة..

كل حرف أكتبهُ يشبه أثرًا أتركه فوق الأرض.. انشغلتُ ليومين أفكرُ في مشهدَ النهاية، في اللحن الذي سيعزفُ قبلَ أن تنزلَ الستائر، في الألوان التي سأرسمُ بها مشهدي الأخير.. كتبتُ وكتبت حتى وصلتُ إلى الصفحة الأخيرة، ثم السطر الأخير، ثم الحرف الأخير.. انتهى الفصلُ الأخير من روايتي وكُتب مشهد النهاية، وأصبحَت جاهزةً الآن.. انتظرتُ إلى أن أتى ذلك اليومُ الذي أخبرني فيه "هادي" بأنهُ قد أنهى قراءة رزمة الورق التي أعطيتُها له، ويريدُ أن يسألني الكثير من الأسئلة، قلتُ له وقتَها أن شمس الغد ستأتي، لتِجيبَ له عن كل ما يريدُ معرفته، ثم تركتُه وذهبت.. في اليوم التالي انتظرني في مكان جلوسنا المعتاد في ساحة السجن، ليراني أقتربُ نحوه من بعيد حاملاً كوبين من الشاي، اقتربتُ أكثر ليلفاني أمامه، ثم ناولتهُ كوبَ الشاي الموجودَ بيدي اليمنى، قبل أن أجلسُ لأحتضنَ الكوب الآخر بكِلتا يديّ، ظللتُ

صامتًا أنتظرُ أن أرى ردةَ فعله بخصوصِ ما قرأ.

- أنا قريت كل الورق، ولحد دلوقتي مش فاهم! إنت ازاي جمعت كل التفاصيل دي، ماتقنعنيش إن كل ده عرفته من الحكايات بس.

كانت تلكَ هي الكلماتُ التي بدأ بها حوارنا فردَدت:

- تقدر تقول اعتمدت شوية على خيال المؤلف، وشوية حجات تانية.

قال لي:

- بس الحكاية دي لسه ناقصة فصل أخير، كمان إنت وعدتني تحكي حكايتك.

أخذتُ رشفةً من كوب الشاي وهو ساخنٌ وقلت:

- أنا طول عمري بعرف أسمع الناس بس وهما بيحكوا.. لكن عمري ما عرفت أحكي، علشان كده بكتب.

أزحتُ كوب الشاي جانبًا ثم أخرجتُ من ملابسي ظرفًا كبيرًا بداخله رزمةٌ من الورق.. قبل أن أستطرد:

- الظرف ده فيه كل حكايتي واللي إنت عايز تعرفه، ده الفصل الأخير من روايتي الأخيرة.

يتناولُ "هادي" الظرفَ وهو يقول:

- أنا مش فاهمك ومستغربك.

فتكلمتُ وأنا أبتسم:

- هتموت من غير ما تفهمني.. أنا إنسان طول عمره عايش بفلسفته الخاصة، أقولك على حاجة أحسن! اشرب الشاي قبل ما يبرد.



بعد أن انتهى حوارُنا عاد كل واحدٍ منا إلى زنزانته، ليبدأ هو في قراءةِ الفصل الأخير..

*****

(الأوراقُ القادمة هي نسخةٌ من نفس رزمةِ الأوراقِ التي يحملُها "هادي")

مرحبًا يا صديقي.. في الأوراق التي تقبعُ بين يديكَ الآن سوف أحكي لك واحدةً من أغربِ الحكاياتِ التي من الممكنِ أن تكون قد سمعتَ بها من قبل..

حكاية "الخطايا السبع المميتة"!..

الخطايا السبع شيءٌ يستندُ إلى تاريخ طويلٍ جدًا.. شيءٌ تطور على مدى الزمان من خلال كتابات الرهبان والكُتّاب والشعراء والفنانين، وكان من أشهر من كتبوا عن الخطايا السبع هو الشاعر الإيطالي "دانتي أليغييري" في ملحمتهِ الشعرية "الكوميديا الإلهية" جزء "الجحيم".. وعلى الرغم من تنوع واختلاف تلك الخطايا المميتة على مرِّ العصور، إلا أن الكنيسَة الكاثوليكية المسيحية الحديثة رصدَت تلك الخطايا في سبعةِ أشكال..

الخطيئة الأولى الشراهة

الخطيئة الثانية الشهوة

الخطيئة الثالثة الكسل

الخطيئة الرابعة الطمع

الخطيئة الخامسة الحسد

الخطيئة السادسة الغرور



الخطيئة السابعة الغضب

كلُّ شخصية من شخصيات روايتي الذين قابلتهم أو لم أُقابلهم، تجسدَت خطاياهُ في خطيئة واحدة رئيسية، كانت هي الخطيئةُ التي يتم تغذيتُها لتكون المحركَ الرئيسيَّ لشروره وباقي خطاياه.. في الحقيقة لقد عرفتُهم جميعًا من قبل حتى أن أعرفَ حكاياتِهم، دعني أعودُ بك إلى شهور مضت، إلى الشخص الذي بدأت من عندهُ كل الأمور.. "محاسن"!

منذُ فترةٍ ليست بالبعيدة، كُنت أعملُ على روايتي التي صدَرت العام الماضي، والتي تحدثت عن تجارة المخدرات في مصر، ومن عادتي عند كتابة رواية، أن أقومَ بعمل الأبحاث اللازمة عن الأمر، وأن أحاول الإنخراطَ في البيئة التي أتحدثُ عنها، لذلك قادَني بحثي إلى امرأة تدعى "محاسن"، تعمل في صيدلية بمنطقة شعبية يعاني أغلبُ سكانها من الفقر وتحكمُهم الفوضى والبَلطجة، صيدليَّة "محاسن" لم تكن سوى ستار لنشاط أكثر أهمية بالنسبة لسكان هذه المنطقة.. تجارة المخدرات.. استغرقَ مني الأمرُ الكثيرَ من الوقت حتى أتمكنَ من إقناعها بأني لستُ ضابط شرطة، ولا أحاول الإيقاعَ بها، وبعد معاناة تمكنتُ أخيرًا من إقناعها بأن تُساعدني بمعلومات لكتابة روايتي، تقابلنا عدةَ مراتٍ في منزلي حتى تُكلمني بشكل مفصلٍ عن نشاط تجارة المخدرات، بل إنها ساعدتني في حضورِ عمليَّة تبادلٍ وبيع المخدرات برفقتها، لم يكن هذا كله بالطبع بدون مقابل، فلقد ضحيتُ بنصف أموالي حتى أتمكنَ من العبور إلى هذا العالم، أثناء حواراتنا الطويلة أنا و"محاسن" لم يقتصر حديثُنا فقط على المخدرات، بل بدأتُ أتدخل بذكاء في تفاصيل حياتها، كلمَتني عن زوجها، ثم تحدثنا عن عشيقها السابق "عبده الأزرق"، ثم عشيقها السريِّ الحالي "محسن"، كُنت أدون كل هذه التفاصيل وأنا أعلمُ أني سأحتاجُ إليها يومًا ما.



بعد أن نُشرت الرواية، بدأتُ في البحث عن رواية جديدة لأكتُبها، روايةٌ ستكون هي الأعظمَ بلا شك، روايةٌ سأعيشُها كأحدٍ أبطالها وليس فقط مجردَ راوٍ.. اتصلتُ بـ"محاسن"، وأخبرتُها بأني أريدُ أن أقابلها، تعجَّبت في البَداية لكنها استجابَت، عندما تقابلنا حكت لي عن عودة "عبده الأزرق" لمضايقتِها، ومحاولته الجادة لأن يقتادها إلى أحضانه من جديد، كانَ هذا هو كلُّ ما أحتاجُ إليه بالفعلِ، عرضتُ عليها أن تساعدني مقابلَ مبلغ لا بأس به ومقابلَ أنني سأخلِّصها من المدعو "عبده الأزرق"، ووافقت.

اتفقتُ معاها على أن تُقنع "عبده الأزرق" بأنها لا تزالُ تحبه، وأنها ستفعلُ أي شيءٍ لتكون معه، لم يكن "عبده الأزرق" يعلمُ حقيقة علاقة "محاسن" بـ"محسن"، وهذا ما سهَّل علينا خداعه، طلبَت "محاسن" من "الأزرق" أن يتخلصوا من زوجته "منى" وبذلكَ ستقبلُ "محاسن" بأن تمنحَ نفسها للأزرقِ بعد أن تتخلصَ هي أيضًا من زوجها، وافقَ "الأزرق"، وكان الاتفاقُ أن يتم تأجيرُ بعض الرجال للتخلص من زوجة "الأزرق"، وضربهُ على رأسه بعد اقتحامِ الشقةَ حتى لا يشُك أحدٌ فيه.

بينما كل شيء يسير كما خططتُ له على هذا الجانب، كنتُ ألعبُ لعبةً أخرى في جانب آخر.. "نظير".. الذي جعلتُ الدجالَ يتواصلُ معه ويقدمُ له الحل الذي يبحثُ عنه للتخلصِ من "كمال ومحمد" أولاد "أبو الدهب".

*****

- مين معايا يعني لا مؤاخذة؟

- أنا اللي عندي الحل.. الحل اللي يخلصك من ولاد أبو الدهب ومن

غير ما إيدك تتغرق دم.

ضحكتُ بسخرية قائلاً:

- يا سلام.. هي المواضيع سهلة كده يا حجوج.

تحدثَ بنبرةٍ ثابتة:

- مش مهم كل ده، حتى تريقتك متقبلها، اسمعني كويس، الحل الوحيد اللي هتعرف تسيطر بيه هو إنك تدخل الشك جوه ولاد أبو الدهب.

*****

أوحيتُ له بفكرةِ الإيقاعِ بين الأخوين، من خلال صديقي الدجال هذا.. وطبعًا طلبَ الدجالُ الكثيرَ من المال حتى تبدو مساعدتُه لـ"نظير" منطقية، أقنعَ الدجال "نظير" بأنه سيقومُ بنوعٍ قوي من السحر سيقلبُ الإخوةَ على بعضهم البعض، لكن حقيقةَ الأمر أن سحرَ الدجال كان يعتمدُ بنسبة ٩٠٪ على العقار المهلوس الذي كان يضعهُ أحدُ الخدم في منزل "كمال أبو الدهب" بالطعام، هكذا صدّق "كمال" بأمرِ السحر، وجرى خلفَ الرسالةِ التي أرسلها له الدجال.

*****

- ألو.. كمال بيه أبو الدهب معايا؟

- أيوة حضرتك مين؟

ردَّ الصوتُ بنبرةٍ واثقة:

- هتعرف لما تجيلي عايزك ضروري جدًا، أمر يهمك.

- عرفني إنت مين الأول؟

صمتَ قليلاً قبل أن يردِف:

- عايزك بخصوص الحاجات اللي بتشوفها في بيتك، هبعتلك عنوان في رسالة ع الموبايل، هتيجي.. وماتنساش تجيبلي التراب الأحمر اللي لقيته امبارح في بيتك.. سلام.

*****

نفذَ الدجال مهمتهُ في إشعال الحرب بين الأخوين، بينما يعتقدُ "نظير" بأنه المتحكمُ بهذهِ اللعبة، لكنه لم يَكن يعلم أنه مجردُ عسكريٍّ في الصفوفِ الأماميةِ للُعبتي.

عندما تأكدتُ بأن كل شيءٍ يسيرُ كما هو مخططٌ له، رأيتُ أنه حان الوقتُ ليتم دخولي إلى السجن!

اتفقتُ مع "محاسن" على أن تعطيَني كميةً لا بأسَ بها من "فرش الحشيش" و"أشرطة البرشام"، وتعمدتُ أن يتمَّ الإمساك بي في أحدِ اللجانِ وبحوزتي كلَ هذا، وبهذا دخلتُ إلى السجن بدون أي مجهودٍ يُذكر.

في تلك الأثناء.. قامَ الدجالُ بتوصيل "أبو الدهب" بـ"عبده الأزرق"، كان ذلك قبلَ أن يتمَّ الاتفاقُ الوهمي بين "محاسن" و"الأزرق"، دفعتُ "محاسن" هنا لِتقومَ بمهمةٍ أخرى، وهي زرعُ الخوف بداخلِ قلب "الأزرق" من تلكَ العملية، وجعلتُها تقترحُ عليه إقحامَ المدعوَ "جمعة" ابن تاجر السلاح "محمد عبد المانع" في الموضوع، فهو شخصٌ يبحثُ عنَ القرش السهل، وسيفعلُ أي شيءٍ من أجل النقود، ولم يتطلبِ الأمرُ من "الأزرق" سوى الضغط على "جمعة" ليوافق، وتمَّ هذا الضغط عن طريق حادثة ابنته المُدبَّرة لكي يضطرَّ "جمعة" للموافقة على عملية القتل، اتفقَ "جمعة" مع "كمال"، وقام بتنفيذ العملية وقتل "محمد أبو الدهب"، وبعدَ أن تم الأمر.. استخدمتُ "محاسن" للمرة



الثانية في دفع "الأزرق" نحو "جمعة" لخلق مشكلة وصراع بينهما على ثمن عمليةِ القتل، وكان ما توقعتُه.. شخصية "جمعة" التي عرفتُ أبعادها مَن خلال "محاسن" لن تتمكنَ من مجاراة سطوة وبلطجة "الأزرق"، فكان رَدُّ فعل "الأزرق" الذي لم أتوقعهُ هو أنه أبلغَ أولاد "محمد أبو الدهب" فما كان منهُم إلا أن قتلوا ابن عمهم "كمال أبو الدهب" حتى ينتقموا لمقتلِ أبيهم.. غضب "أبو الدهبَ" لمقتلِ ابنه الوحيد الذي كانَ على وشكِ الزواج، وقرر أن يعكسَ غضبهُ هذا على كل من حوله حتى لو كلَّفه هذا حياته، فبدأ باختطاف زوجةِ "جمعة" وابنته وقتلهم، وفي الليلة التي سبقَت اختطافهُما، تَم تنفيذُ الاتفاق بين "محَاسن" و"الأزرق"، أتى رجلانِ إلى شقةِ "الأزرق" ليلاً وقاموا بضربه على رأسه ضربةً غير قاتلة، ثم قاموا بذبح زوجته، كان من الممكن أن أتخلصَ من "الأزرق" في تلكَ الليلة، لكنني شعرتُ أن دوره لم ينتهي، وبينما "جمعة" يبحثُ عن زوجتهِ وابنته، لفَّق له "كمال أبو الدهب" تهمةَ قتل زوجته وابنته، ودخل السجن.. وفي تلك الأثناء أفاقَ "الأزرق" بعد الحادث في المستشفى لا يتذكرُ أي شيءٍ مما حدث له، شهرٌ كامل بكل تفاصيل الاتفاق بينه وبين "محاسن" قد حُذف من رأسه، لم يكن هذا في الحسبان إطلاقًا، لكن عندما عرفت من "محاسن" ما حدث، أمرتُها بأن تستمرَّ في معاملته كما كانت تعامله قبل الحادث، وكأن شيئًا لم يكن.. بل حاولنا أن نقنعهُ بأن "محاسن" هي من قامَت بقتل زوجته، وعن طريق الدجال الذي أوصل "أبو الدهب" بـ"محسن" و"محاسن" تم الاتفاق بينهما للإيقاع بـ"الأزرق"، وهذا عن طريق التلاعب في عقله ببعض العقاقير التي دسَّها "محسن" له، وفي الليلة التي تم قتل "منى" فيها، قامَ الرجال بوضع بصمات "الأزرق" على سلاح الجريمة، وعندما ترك "محسن" "عبدهَ الأزرق" وحيدًا في الشقة، ترك معه سلاح الجريمة، ليكون دليلاً ضده عندما تأتي الشرطة



لأخذه.. وجدَ "عبده" نفسه في السجن، ويبدو أن العقاقير التي تناولها والأحداثَ التي مرَّ بها ساعدتهُ في استعادةِ بعض من ذاكرته، وهذا ما جعله يشنُق نفسه في النهاية حتى يهرُب من كل هٰذا العذاب.

انتحرَ "الأزرق".. بينما حاولَ "جمعة" أيضًا الانتحار وفشل، بعد أن أنهى "كمال أبو الدهب" انتقامهُ في الخارج سلّم نفسه، لكن قبل أن يُسلم نفسه اتفقَ مع "رائد" و"فتحي" الخائن الذي ظهرَ في الأحداث فجأة، ليتحصل منهم على الأوراق التي تُمكنه من الإيقاع بـ"نظير"، وسلمَ الأوراق بعد أن سلّم نفسه، ليسقطَ "نظير" بعد "أبو الدهب" مباشرةً.

في السجن لم يكُن "جمعة" قد نسيَ انتقامه أبدًا، ولم يعُد لديه شيءٌ ليخسره، لذلك فبمجردِ أن علم بخبرِ قدوم "أبو الدهب" إلى السجن، تحيَّن الفرصة المناسبة، ثم قتله، وقتَلَ نفسه بعدها.. وبهذا أكونُ قد تخلصتُ من ثلاثة.. الشهواني، الكسول، والطماع.. ثم اجتمعَ "نظير" و"فتحي" معًا في السجن، وكانت المعركةُ التي ماتَ فيها "فتحي" وتقررَ فيها عزلُ "نظير" عن ضوءِ الشمس حتى يتمَّ إعدامُه، بالنسبة لـ"رائد" أو "شحات" إذا شئت الدقة، فغرورهُ كان كفيلاً بأن يقضيَ عليه، لكنه فقط كان يحتاجُ إلى الشرارة، وصفقتهُ مع الألمان بعد التخلص من "نظير" كانت هي الشرارةَ التي استخدمتها لإشعالِ حريق ضخم، لذلك استعنتُ بصديقي الدجالِ مرة أخرى لأوهم "رائدَ" بفكرةِ الخُلود.

*****

(أنا عندي الحل اللي هيخليك أقوى واحد في السوق ورب السلاح زي ما نفسك تكون.. استنى مني رسالة تانية بالعنوان)

*****



وعندما صدَّقها أصبحَ لعبةً في يد دجال، وتوقفَ عقله عن العمل لينتهيَ به الأمر برصاصةٍ في منتصف رأسه، كُنت على يقين أن "وحيد" ابن "زايد" سوف يتحكَّم فيه غضبه، تمنيتُ أن يُنهي حياة "رائد"، وهذا بالفعل ما حدث، لكن "وحيد" لم يكن هو الخاطي الأخيرُ في روايتي، بل كنتَ أنت.. حضرة الضابط "هادي عبد السلام".. سمعتُ الكثير عنك، ورأيتُ أنك الشخصُ المناسبُ لتكون الحجرَ الأخيرَ في لعبتي، هل عرفتَ من أنا؟! أنا فاعل الخيرِ.. أنا من أعطيتُك الأوراق منذ البداية لأقحمكَ في تلك اللعبة، أنا من بلَّغك بمعادِ مقابلة "رائد" و"وحيد".

*****

- إزيك يا هادي باشا، معاك فاعل الخير اللي بيبعتلك الورق.

- إنت بقى فاعل الخير! وليه دايمًا مستخبي لو إنت فعلاً فاعل خير؟ (قُلت)

- إنت كل الفترة دي واثق فيا، خليك واثق فيا المرة دي، يمكن تكسب. (ردَّ بهدوء)

- اخلص.. قول اللي عندك.

- إنت صحيح ملحقتش تقفشهم وقت صفقة الألمان، بس في فرصة تانية.. زايد ورائد هيتقابلوا ومعاهم شحنة سلاح كبيرة، أعتقد دي أحسن فرصة تقفشهم فيها متلبسين.

*****

بعد أن قتلَ "وحيد" "رائد"، بدأتُ أُحركُ الأحداثَ بين آخر حجَري شطرنج في لعبتي، "زايد" وأنت.. لذلك.. بعد أن قمتُ بوضعَ "وحيد" في السَّجن، أرسلتُ أنا كل المعلومات المفصلةَ عنك وعن ابنك "عمر"



إلى "زايد"، وأكملتُ غريزة الشر لدى "زايد" باقي اللعبة.. خطَف ابنك وهددَك به، لكنكَ ادعيتَ الشرف، ووقفتَ في صف القانون والعدالة، وقبلتَ أن يموتَ ابنك على أن تترُك "وحيد" حرًا طليقًا.. أعترفُ بأنني شعرتُ للحظاتٍ بأن خطتي سوفَ تفشل، وأنني لم أستطع تحريك الغضب الكامن في داخلك، لذلك كان مقتلُ ابنك، ورؤيتُك لجثته هو الأملُ الأخيرُ في أن يشتعلَ الصراع بينك وبين "زايد" لتدخلَ إلى دائرة الخطاة، وهذا ما حدثَ بالفعل.. لقد قتلتَ "زايد" وسط قاعة المحكمة دون خوف أو تفكير، تحولَ اللون الأحمر لونُ الغضب إلى غَاية بالنسبة لك وقتها، وبمجردِ أن تركتَ الغضب ينَسابُ إليك، دخلتَ إلَى دائرةِ الخطاة، وأتيت إلى هنا لتكونَ بجانبي..

أنتَ تعرفُ ما يعني كل ذلك، أنا كُنت السببَ في كل ما حدثَ لك، أنا من أقحمتُك في كل هذا، أنا أيضًا كنتُ سببًا كبيرًا في موتِ ابنك، لقد تخلصتُ أخيرًا من كل الخطاة، ولم يبقَ سوى أنت، الشخصُ الذي اخترتُه ليعرِفَ بالحقيقة، ولأحكيَ له الفصلَ المفقود، الفصل الأخير.. الذي سوف يفسّرُ كل الفصولِ السابقة، فصلُ النهاية.. اقلب الصفحةَ لتعرفَ باقي الحكاية..

*****



الحلقة التاسعة

(نهاية الخطاة)

لكنني في أعماقِ نفسي كُنت أعلمُ أن الموتَ قريب، وأنه سيأتي في أي وقت، وأنا لا أحبُ الزيارات المفاجئة، لذا قررت أن أكون من يُحدد ذلك الوقت..

أنا أراهُ الآن بينما أكتبُ السطورَ الأخيرة، يقفُ خارجَ زنزانتي، ينتظرُ الإذن بالدخولِ في أي لحظة..

١٩٨٧م

يومُ حريقِ فيلا "عزام الدلجموني"

خرجَ "زايد" الشابُّ العشريناتي من مطبخ فيلا "عزام الدلجموني"، واتجه نحوَ "عم عبد الغني" خادمُ الفيلا، وَناوله كوبَ الشاي المليءِ بالسُّم والكراهية.

- اتفضل يا عم عبد الغني كوباية الشاي بتاعتك.

نظرَ "عم عبد الغني" نحو "زايد" نظرةً طويلة، نظرةً مليئةً بعدم الثقة، ثمَّ تناول كوب الشاي من يدِ "زايد" دون أن يتكلم، فالتفَّ "زايد" واتجه إلى المطبخِ دون أن يتكلمَ هو الآخر، بينما عيونُ "عم عبد الغني" تتبعُه.

*****

بداخله شعر "عم عبد الغني" بأنه يريدُ أن يصعدَ إلى الدور العلويِّ من الفيلا حتى يطمئِن على الصغير "ناجي عزام الدلجموني"، صعدَ درجاتِ السُلم بخطواتٍ وئيدة، حاملاً كوبَ الشاي فِي يدٍ بينما يستندُ على الدرابزينِ باليدِ الأخرى، خانتهُ قدماه، فتعثرَ ليسقطَ كوبُ الشاي من يده فيتحطم إلى عدة أجزاءٍ، بينما انسكبَ السمُّ الذي بداخلِ الكوب ليغطي السُلم، توقفَ عقلُ "عبد الغني" لثوانٍ عن العمل، قبل أن يحاول أن يلمَّ قطعَ الزجاجِ عن السُلم، لكنه وفي تلك اللحظة سمعَ صوت طفلٍ يبكي!

كانَ هذا صوتُ الطفل "ناجي"، تركَ قطع الزجاج، ونسيَ تعبهُ ليصعدَ بسرعة مُتجهًا نحو الغرفة التي يقبعُ بها الصغيرُ داخل سريره، كان "عبد الغني" هو الخادمُ المخلصُ للأسرة، ومسموحٌ له بدخول أي غرفةٍ من



غرفِ الفيلا، بل أنه يعرفُ كل خبايا الفيلا وأسراره.

عندما وصلَ "عبد الغني" إلى مهدِ الصغير، حملهُ وراحَ يهدهدهُ في محاولة لتهدئته، بعد دقائقَ من هدهدة الصغيرِ والتحدث معه وملاعبته، هدأ بكاؤهُ أخيرًا.. وفي تلك الأثناء التقطَت أذنا "عبد الغني" أصواتَ جلبة في الدور السفليِّ من الفيلا، لَكنه لم يُلقِ بالاً للأمر، إلى أن سمعِ صوتَ إطلاقِ نار!

أنزلَ الطفل عن كتفه وأعادَه إلى سريره، جرى إلى خارج الغرفة لينظرَ في أمر الصوت الذي سُمع، وعندما رمى بصرهُ إلى الدور السفلي من الفيلا، اتسعَت عيناه عن آخرهما وكادَت مقلتَاه أن تخرُجان من محجَريهما، رأى آخرَ شيء كان من الممكن أن يتخيَّله.. "عزام بيه" وزوجته "فداء" وابنتيهما "ياسمين" و"نورا"، كانوا عبارةً عن جثث ساكنة مرماةٌ على الأرض، جثثٌ من الواضح أنها تلوَّت وتألمَت كثيرًا قبل أنْ تُسلم روحها لخالقها.. همَّ "عبد الغني" بأن يصرخ، لكنه كتمَ أنفاسهِ بسرعة وحاول أن يتماسَك حتى يعرفَ ما حدث هنا، بدأ يتحركُ بعينيهِ يمينًا ويسارًا ، إلى أن لاحظ أن بابَ القبوِ قد تم فتحهُ واقتحامه!

*****

داخلَ قبوِ فيلا "عزام الدلجموني"

يُخرِج "عصام" بعضَ المعدات من حقيبة بيده، ويبدأ في العمل على فك القفل، ينهمكُ "عصام" في العمل بينما "أبو الذهب" يقفُ متحفزًا بالخلف، دقيقتان من الصمت لم يقَطعهُما سوى صوتُ فتح القفل الإلكتروني، يجري "أبو الذهب" نحوَ الخزانة ويزيحُ "عصام" ليفتحَ الباب ويصطدمَ بصرهُ بسبائك الذهب والمجوهرات، بالإضافة إلى بعضِ رزم النقود، كان بريقُ الذهب عندها بمثابة الشمس التي أنارَت



أحلامهم، لمعَت عيونُ الثلاثة وألجَمت الدهشةُ ألسنتَهم، لكن صوتَ "أبو الدهب" أعادَ الجميع إلى أرضِ الواقع:

- يلا مستنيين إيه؟ خلونا نعبي كل اللي نقدر عليه ونطلع من هنا، وركزوا على سبايك الدهب.

ليشرعَ الثلاثةُ في تعبئةِ الذهب.

*****

اختبأ "عبد الغني" في الأعلى وراحَ يختلسُ النظرَ إلى اللصوص الثلاثة من منظور عين الصقر بينما يخرجون الواحدَ تلو الآخر من داخَل القبو "زايد" و"عصام" و"أبو الدهب"، لم يتفاجأ "عبد الغني" أبدًا عندمَا رأى "زايد" مِن بينِهم، كان يعلمُ مُنذ اليوم الأول أن هذا الفتى ليس سوى لعنةٌ حلَّت على هذا الفيلا، صرخَ فيهم طوالَ تلك السنين لكنهُم لم يصدقوه.

- اخرجوا بالدهب بسرعة عقبال ما أنا أخلص الباقي.

وجهَ "زايد" تعليماته لـ"عصام" و"أبو الدهب"، فخرجَ الاثنان نحوَ باب الفيلا، أسرعَ "زايِد" نحو المطبخ وأتي بجالون من البنزين كان يخبئهُ بالداخل، وانهمك لدقيقة في توزِيع البنزين علَى أركان ساحة الفيلا، بعد أن انتهى وقفَ للحظاتٍ يتأملُ الجثثَ الأربعة التي اَعتصرها السُّم أخرجَ من جيبه قداحة، ضغَطَ عليها، ثم رماهِا فوق البنزين ، فراحَت زهورُ اللهبِ الأحمر تنتشرُ بسرعةِ جنونيةِ لتأكلَ كل شيءٍ في الفيلا.

كان الكابوسُ الذي حلمَ به "عبد الغني" منذ أكثرَ من عشرين عامًا يتحققُ أمام عينيه، لم يكن يُهلوس عندما حلِم بأن طفلا صغيرًا سيقومُ بإحراق هذا البيت وتحويلهِ إلى رماد، لم يكن قاسيًا عندما رفضَ أنْ يتربَّى "زايد" في هذا البيت، شيءٌ ما بداخلهِ أخبره أن هذا هوَ الطفل



الذي رآهُ يحرقُ الفيلا في كوابيسه.

خرجَ "زايد" من الفيلا بسرعةٍ بعد أن أنهى جريمته، بينما ألسنةُ اللهبِ تتصاعدُ من خلفه.

بمجرد أن خرجَ "زايد" من الفيلا كان أول ما فكرَ فيه "عبد الغني" بأن ينقذَ الطفل الصغير "ناجي"، جرى كالمجنونِ نحو الغرفة، وحمل الصغِير الذي غرق في النوم فوقَ كتفه، واستجمعَ كل شجاعته وقوته، ونزل إلى الطابق السفلي وسط النيران، ليحاول الهرب بالطفل الصغير، كانت النيرانُ قد أغلقت الطريقَ نحو الباب، وأصبحَ من الصعب الإفلاتُ من هذا المكان، لكن بابَ القبو كان مفتوحًا، ولم تصل النيرانُ إليه بعد، قد يراهُ البعضُ جنونًا، لكن "عبد الغني" كان يعرفُ جيدًا ما يفعل، هبطَ درجات سُلم القبو بهدوء حتى لا يشعرَ الصغيرُ بشيء، بينما ألسنةُ اللهبِ تتبعه، نظرَ إلى الخزينة التي تم تفريغُها، ثم توجهَ نحو باب حديديٍّ بداخل القبو، بابٌ كُتب عليه "خطر الموت" ورُسم بجوارها علامةُ الصعق الكهربائي، أسندَ الطفلَ على كتفه بيد، وباليدَ الأخرى حاولَ أن يُخرجَ شيئًا ما من جيب جلبابه، مفتاحٌ مميز الشكل! وضعَ المفتاح في كالون الباب الحديديَ، ثم لفهُ في اتجاهِ عقاربِ الساعة، لينفتحَ البابُ ببطء، كاشفًا عن ممرٍّ طويلٍ يختبئُ خلفه.

دخلَ "عبد الغني" إلى ذلك الممر السري، وراحَ يخطو داخلهُ بصعوبة، بينما يكافحُ الظلامَ المطبقَ بالداخل، ظل يمشي حتى اصطدمَت قدماهُ بسُلم صخري، هنا يضطرُّ "عبد الغني" إلى تركِ الصغير على الأرض بهدوء، ليصعدَ درجات السلم الصخري، صعَدَ عدةَ درجات إلى أن اصطدَمت رأسهُ بالسقف!.. لم يكن هذا السُلم يؤدي إلى مخرج صريح، و"عبد الغني" كان يعلمُ هذا، لذلك تركَ الصغير قبل أن يصعَدَ، حتى يتمكنَ من فتحِ المخرج، استخدمَ "عبد الغني" كل قوتهِ في محاولةِ



رفع هذا السقفِ الذي هو عبارةٌ عن باب صخري، كان الأمرُ في غاية الصعوبة على رجلٍ في الستينَ من عمرِه، لكنهُ لم يكن مستحيلاً، بدأ البابُ الصخري في التحركِ رويدًا رويدًا، كاشفًا عن سماءِ الليلِ التي أنارت بفعلِ حريق الفيلا، خرجَ "عبد الغني" من ذلك النفقِ حاملاً بين ذراعيهِ "ناجي"، الطفلَ الذي ملأ الدنيا بكاءً، كأنه يبكي ظُلمَ العالم وقسوتَه، كان النفقُ يؤدي إلى خارج الأسوار الخلفيةِ للفيلا، وكانَ بإمكان "عبد الغني" أن يرى سيارةِ عصابة المَجرمينَ الأربعةِ تبتعدُ حتى اَختفَت في الظلام، بينما وقفَ ينظرُ إلى البيتِ الذي تحولَ إلى قطعةٍ من السعير بعيونٍ ملؤها الدمع، ثم احتضنَ الطَفلَ بقوة.. ليهرُب به بعيدًا.

*****

عادَ "عبد الغني" بالطفل "ناجي" إلى بلده بـ"سوهاج"، بلدهُ وبلدُ "عزام الدلجموني"، والطفل "ناجي" بطبيعةِ الأمر، وكان أولُ مكان فكرَ بالذهاب إليه، بيتُ أصغرُ إخوته البنات، "كريمة" وزوجها "عاطفً".

طرقَ "عبد الغني" بابَ بيتِ أخته وقتَ الفجر، فسمعت "كريمة" صوتَ الباب بينما هي ذاهبةٌ إلى دَورة المياه، فاقتربَت منَ البابِ وسألت:

- مين بيخبط الساعة دي؟

ردَّ "عبد الغني":

- أنا أخوكي عبد الغني يا كريمة.

تفتحُ الباب بسرعة بعد سماعِها لصوت أخيها المميز، ليظهرَ أمامها "عبد الغني" حاملاً الطفل علىَ كتفه، فيدخُل به مُسرعًا دون مقدمات.

"كريمة" (مُتعجِّبة):

- في إيه يا عبد الغني؟ مالك يا أخويا؟ ومين الواد ده؟



- حكاية كبيرة أوي يا كريمة، فين جوزك عاطف الأول علشان أتكلم معاكوا؟ (سأل "عبد الغني")

- نايم فوق، هطلع أصحيهولك، بس قولي في إيه؟! إنت كده قلقتني أكتر.

- صحيه بس وهقولكم على كل حاجة.

*****

عندما اجتمعَ "عبد الغني" بأخته "كريمة" وزوجها "عاطف"، راحَ يسردُ عليهما كل شيء، كانت الدهشة تغمرُ وجهيهما طوال حديث "عبد الغني"، وعندما انتهى من الحكي، جلسَ ثلاثتُهم ينظرون إلي بعضهمُ البعضِ وحالةٌ من الصمت تعمُّ المكان بكامله، استمرَّت حالة الصمت لدقائقَ معدودةٍ على أصابع اليد الواحدة، إلى أن تكلمَ أخيرًا أحدُ الثلاثة.

- أنا مش مستوعب كل اللي إنت حكيته ده! ومش عارف أقولك إيه.. لو في حاجة أقدر أسعدك بيها هسعدك، وإنت عارف احنا مش نسايب بس، إنت زي أخويا الكبير يا عبد الغني، والبيت بيت أخوك زي ماهو بيت أختك.

كانَ هذ الكلام صادرًا من جهة "عاطف" فردَّ عليه "عبد الغني":

- عارف والله يا عاطف، بس أنا هطلب منكم طلب غريب شوية، ومفيش غيركم يقدر ينفذهولي.

- قول يا أخويا ولا يهمك. (قالت "كريمة")

"عبد الغني":

- الطفل ده.. (ناظرًا إلى "ناجي" الذي أجلسهُ بجانبه) مبقاش ليه حد



في الدنيا غيري، وعلشان كده فكرت إن ربنا مرزقكمش بنعمة الخلفة، وإنكم رغم كده لسه محافظين على بعض والبيت مفتوح، قلت يمكن لو ناجي اتربى وسطكم، يبقى أحسن للكل، تعوضوه عن أبوه وأمه، وهو كمان يعوضكم.. قلتوا ايه؟

فرحتِ "كريمة" بالاقتراح وابتسمَت ثم نظرت إلى زوجها لترى ردَّ فعله وتَعرفُ رأيه، فوجدتهُ يبتسمُ لها هو الآخر ويهزُّ رأسه علامةَ الموافقة.

*****

كبرَ "ناجي " وترعرع في كنف هذه الأسرة البسيطة، كانت حياتهُ هادئةً وسعيدةً بالمعنى الحرفي لِلكَلمة، كان "عاطف" معلم لغة عربيةٍ في الأربعينات من عمره، يمتلكُ حسًا أبويًا عال، وكانت "كريمةً" ربة منزلٍ مثاليةٍ وأمًا حنونًا أيضًا.. عائلةٌ مثاليةٌ اكتملتَ أركانُ الحب فيها بقدومِ "ناجيَ " إليها، بينما ظل "عبد الغني" بالجوار، يسكنُ في بيتٍ قريب منَ بيت أخته حتى يظل "ناجي" تحتَ عينيه ورعايته، مرت السنين بسرعة.. اليومُ الأول في المدرسة، الكتابُ الأول الذي يقرأه، السطرُ الأول الذي يكتبه، اكتشف "عاطف" موهبة "ناجي" في الكتابةِ منذ الصغر، فسعى إلى تطويرها عن طريق إثقال ثقافته وعقله بالكثير منَ الكتب في العديد من المجالات، ورغمَ ما يتلقاه "ناجي" من اهتمَام ورعاية داخل بيت أبويه بالتبني "عاطف" و"كريمة إلا أنه كان شديدَ الحب والتَعلقِ بـ"عبد الغني"، أو خاله "عبد الغني" كما كان يعتقد.. رغم أن فارق السن بينهما يقاربُ الخمسين عامًا إلا أنهما كانا صديقين جيدين، كان "عبد الغنيِ" دائمَ الدعم والتشجيع لـ"ناجي"، ما يفتأ "ناجي" يكتبُ شيئًا جديدًا إلا ويذهبُ ليقرأه على مسامع "عبد الغني" العجوز الذي بلغ الستين، استمرَت الحال هكذا إلى أن أتمَّ "ناجي" عامه السادس عشر.

في ذلكَ اليوم، طلبَ "عاطف" من "ناجي" أن يذهبَ إلى بيت خاله

"عبد الغني" لأن هناك أمرٌ في غايةِ الأهمية يجبُ أن يناقشهُ معه، لم يفكرِ "ناجي" مرتين، فقد انطلقَ بسرعةٍ إلى بيت خاله الحبيب، عندما وصلِ إلى منزل "عبد الغني طرق البابّ بخفة.. ففتح عبد الغني" الباب ليدخلَ "ناجي" وليحتضنَ "عبد الغني" الذي تبسَّم له راضيًا فرحًا.

- إزيك يا ناجي، واحشني يابني. (قال "عبد الغني")

- وإنت كمان يا خالي والله. (قال "ناجي")

"عبد الغني":

- طبعًا إنت مستغرب أنا بعتلك ليه تيجي النهاردة.

"ناجي" (بثقةٍ وغرور):

- أكيد علشان وحشتك طبعًا.

- إنت وحشتني أكيد بس مش ده السبب.

يتعجبُ "ناجي" وتتغيرُ ملامحه، فيجلسُ "عبد الغني" على أحد الأرائكِ بالمنزل ويشيرـ لـ"ناجي" بأن يجلس، ثم يقول:

"عبد الغني" (يتابع):

-- بعتلك علشان أنا وعاطف وكريمة شايفين إن ده أنسب وقت نقولك فيه على الحقيقة.. وأنا أنسب واحد يقولهالك.

"ناجي" (متسائلاً):

- حقيقية؟! حقيقة إيه؟

- حقيقة اللي حصل من ١٥ سنة، وبداية الحقيقة دي..

(يسكُت "عبد الغني" قليلاً ثم يتابع)

- عاطف وكريمة مش أبوك وأمك الحقيقين، وبالضرورة أنا كمان مش



خالك.

- خالي.. بطل هزار بقى علشان أنا عارف الحركتين دول.

كانت ملامحُ "عبد الغني" شديدةُ الجدية والقسوة بينما يقول:

- مش هزار يا ناجي، ودي أكتر مرة هتكلم فيها جد معاك.. أنا هقولك على كل حاجة بالتفصيل.

*****

حكى "عبد الغني" الكثير للفتى، حتى دخلَ "ناجي" في حالة من الصمت لا يمكنُ كسرُها.. عادَ ليلتها من بيتِ "عبد الغني" إلى غرفته مباشرةً، صامتًا، لا يرفعُ وجههُ عن الأرض، حاولت "كريمة" أن تعترضَ طريقه لكن "عاطف" شدَّ على كتفها وأشارَ إليها برأسه ناهيًا، كانت عيناهُ تخاطبُ عينيها وقتها.. محاولَةُ الكلام معه لن تجدي، إنه يحتاج إلى بعض الوحدة.

استمرَّ "ناجي" على حالة الصمت هذه لفترةٍ تخطَت الأسبوع، حتى تفاجأت به "كريمة" ذات يوم خارجٌ من غرفته وهو يبتسمُ ثم يلقي عليها تحيةَ الصباح قبل أن يُقبلَ يدها!.. شعرَت بالدهشةِ والاستغراب في البداية، لكن دهشتَها تلك تحولَت إلى سعادة، مع عودة "ناجي" إلى طبيعته من جديد، عادَ كل شيءٍ كما كان، وكأن "ناجي" لم يعرف شيئًا، لقد تناسَى "ناجي" كل شيء، وقررَ أن يعودَ ليركزَ على واقعه الحالي، أو هكذا ظنوا جميعًا.. سارتِ الحياة بشكلٍ طبيعي، دخلَ "ناجي" الجامعة، ووصلَ إلي العشرينات، فنُشرت أولُ رواية له وهو لا يزال طالبًا جامعيًا، فكان أول ما فكر فيه "ناجي"، هو مشاركةُ فرحته مع الرجل الذي كان السببَ الأول في كل شيء.

طرقاتٌ متواصلةٌ على باب بيت "عم عبد الغني"، لم تتوقف سوى

بفتح "عبد الغنيِ" لباب بيته ليقتحمَ "ناجي" المنزل والسعادةُ تغمره، ثم يحتضنُ الرجلَ العجوزَ قائلاً:

- باركلي يا خالييي.. أخيرًا أخيرًا أخيرًا.

ابتسمَ "عبد الغني" بشكل تلقائيٍ كردٍّ فعلٍ لفرحة "ناجي" رغم أنه لا يفهمُ سببَ كل هذه الفرحَة:

- مبروك يا حبيبي، بس على إيه؟

قربَ "ناجي" الكتابَ الذي بحوزته من عين "عبد الغني" بينما يشيرُ إلى الاسم المكتوبِ على الغلاف ويقول:

- أنا نشرت أول رواية ليا.

يتهللُ وجهُ العجوز ويقول:

- ألف مبروك يا حبيبي.. عقبال الرواية الألف والفيلم الألف.

يتنهدُ "عبد الغني" فجأة فتهدأ فرحةُ "ناجي" ليتساءل:

- مالك؟! مش فرحان ولا إيه؟

- مين قال كده يابني.. أنا بس حاسس إن وقتي بيخلص. (أجابَ "عبد الغني")

- إنت بتقول كده ليه يا خالي؟

- أنا عارف إن من ساعة ما قلتلك الحقيقة وإنت عامل نفسك ناسي الموضوع.. بس أنا أكتر واحد داري باللي في بالك يا ناجي، علشان كده، حابب قبل ما أموت أقولك كل التفاصيل اللي أعرفها، وأسيبك بعد كده تحدد إنت عايز تعمل إيه.

حكى "عبد الغني" لـ"ناجي" كل التفاصيل.. الأماكن.. الأسماء..



الأحداث.. وصفَ له مشهدَ سقوط أسرته التي اعتصرها سمُّ الخيانة، لا يمكنُ لشيءٍ أنا يصفَ مدى الألم الذي سيطرَ على "ناجي" وهو يستمعُ إلى تلكَ التفاصيلِ، نار الحقد والكراهية وشهوة الانتقام.. كل تلكَ الأشياء كانت تشتعلِ وتولدُ وتتحركُ داخل صدره، لم يشعُر بهذا الكمِّ من المرارة في فمه قبلا، سقطت من عينيه بضع عَبَرات دون أن يشعر، عندما أنهى "عبد الغني" حكايته، قامَ "ناجي" من مجلسه دونَ أن ينطق، وخرجَ من البيت هائمًا على وجهه.

لم يفهَم كلاًّ من "كريمة" و"عاطف" سبب حالة الاكتئاب التي دخلَ فيها "ناجي" في تلك الفترة، والتي لم يوقظهُ منها سوى مرضَ "عبد الغني" الشديد، الذي أجبرهُ على قضاءِ اليوم بكامله بجوارهَ حتى يتعافى، استمرَّ الوضع لأسبوعين حتى تعافى "عبد الغني" الذي ورغم بلوغه السبعين، ورغم كل ما شاهدهُ وعاصره، لا زال يتمتعُ بقوته وصحته.. عندما قامَ "عبد الغني" من وعكتهِ الصحية، أمر "ناجي" بأن يركزَ في دراسته ومستقبله ككاتب، وطلبَ منه أن يحترم رغبته تلك، وينسى ما عرفه على الأقل في الوقتِ الحالي، وهذا ما حصل.. أخذَت حياةُ "ناجي" مجراها الطبيعي، تخرجَ وعملَ ككاتب وصحفيٍّ في العديد من الصحف والجرائد، ولأنه كان كارهًا للشهرة، رأى أن بقاءَ هويته مجهولةً سيساعده أكثرِ في عمله، وسيكون نوعًا جيدًا من الدعاية لكتبه وأعماله، فقرر أن يتخذ لنفسه اسم "المجهول"!.. أنا..

أنا "ناجي عزام الدلجموني"..

الشهيرُ بالكاتب المجهول.. قضيتُ حياتي في جمع المال، وحصادَ الشهرة لأعمالي، حتى أصبحتُ من أغنى الكتَّاب، إذا لم أكن أغناهُم، مرَّ سن العشرينات علي وأنا أحققُ النجاح تلو الآخر، انتقلتُ للعيش بالقاهرة، ووفرتُ للأسرة التي ربتني حياةً كريمة، لكن وقبل أن أخطو سن الثلاثين ماتت المرأةُ التي ربَّتني بمرضِ السرطان في سن الستين..



ولم تستطع أموالي أن تنجيها من الموت، وبعد عام لحِقها "عاطف" والدي بالتبني عن عمرٍ يناهزُ السبعين، يبدو أنه لم يَتمكَّن من العيش بدونها أكثرَ من ذلك.

لم يبقى لي سوى "عم عبد الغني"، رفيقي الوحيدُ منذ ولدتُ وسط ظلمةِ تلك الحياة، بعد أن ماتَ والداي اقترحَ علي الزواجَ وتكوين أسرة، وتبعَ اقتراحهُ بجملة "أنا بقيت راجل معدي التمانين، ومش هعيش لك أكتر من كده"، وكان ردِّي عندها صادمًا بالنسبة له:

- بعد الشر عنك يا خالي، إنشالله يومي يبقى قبل يومك.. بص يا خالي، أنا موافق على اقتراح الجواز، بس في حاجة الأول لازم أعملها، عايز انتقملك وانتقملي وانتقم لأهلي، من زايد والشلة اللي كانت معاه، من ساعة ما قولتلي على الحقيقة كاملة وأنا جمعت عنهم كل المعلومات الممكنة، وبقيت عارف عنهم كل حاجة، أنا عايز انتقم، وعايزك تساعدني في ده"..

ذُعر من كلماتي، وحلف علي أن أنسى الفكرة، لكني أقنعتهُ بأن لديَّ خطةً مُحكمة، وأني سَأنهي انتقامي دون أن ألوث يديَّ بالدماء، طبعًا لم أخبرهُ بكل تفاصيل خططي المجنونة، وإلا كان من المستحيل أن يساعدني، وهو لم يُحاول إيقافي، لأنه رأى الإصرارَ في عيني، وعَلمَ أنه لا يمكنُ لأحدٍ أن يثنيني عن هذا القرار.. كان "العم عبد الغني" هو الساحرُ أو الدجال كما تحبُّ أن تسميه، قمتُ بكل التجهيزات الممكنة التي ستجعلُ منه دجالاً مقنعًا، كان من السهل أن أجعلهُ يقابلُ "كمال أبو الدهب" و"شحات" أو "رائد"، فلا أحدَ منهم قابلهُ يومًا.. الوحيدُ الذي يعرفُ هويةَ "عم عبد الغني" هو "زايد"، لذلك تجنبتُ في خططي أن يتقابلا..

لقد أصدرتُ أحكامي وانتهى الأمر، وتمَّ تنفيذُ أغلبِ العقوباتِ بنجاح.

"زايد".. التهمة: الشراهة

"عبده الأزرق".. التهمة: الشهوة

"جمعة".. التهمة: الكسل

"كمال أبو الدهب" ووالده "أبو الدهب" من قبله.. تهمتهما: الطمع

"محمد أبو الدهب" و"نظير".. تهمتهما: الحسد

"رائد" أو "شحات".. التهمة: الغرور

أنت.. الظابط "هادي" و"وحيد" ابن "زايد".. تهمتكما: الغضب

كل الخطاة قد وقعَ حكمي عليهم، أنا من قُمت أيضًا بتسميم "وحيد ابن "زايد" عن طريق توصيل السمِّ إلى طعامه في السجن، وبالضرورة لن أترك "محاسن" و"محسن" يُفلتونَ لمجردِ أنهما ساعداني، هما فقط أقل من أن يعلمَ أحدٌ بخبر إيجادهما مذبوحينِ في شقة "محسن" بعد أن علمَ زوجُ "محاسن" بأمرِ خيانتها.. ويمكنك أن تحزرِ من أخبره بذلك.

هكذا لم يتبقَّ إلا واحد.. أنت.. ربما كنا صديقان، لكنك الآن صرتَ جزءًا من دائرةِ الخطاة، ويجبُ أن تُحاكم.

هل بدأتَ في الشعورِ بالألم؟..

الشايُ الذي شربناه معًا اليوم كان به عقارٌ سام، سيقضي عليك خلالَ ساعات.. الموتُ أفضل لك، على الأقل ستكونُ برفقة ابنك.. أصرُخ وناد على كل من في السجن، لن يستطيعُ أحدٌ أن يفهمَك أو ينجيَك، أصرُخ قدرَ ما شئت، فغالبًا لن يهتمَّ لصرخاتِك أحد، سينشغل الجميعُ بالمسجونِ الميتِ بالزنزانة المجاورةِ لك!

كوبُ الشاي الذي شربتُه برفقتك اليوم كان يحوي نفسَ العقار السام بكميةٍ أكبر، حتى يقضيَ عليَّ بشكلٍ أسرع، فربما لو مِت مسمومًا، كما

ماتت عائلتي، قد أتمكنُ من مقابلتِهم في الحياةِ الأخرى.

قالَ المسيحُ يومًا "من كانَ منكم بلا خطيئة فليرمِها بحجر"..

وأنا لستُ بِلا خطيئة.. وليسَ من حقي أن أرميَ الخطاةَ بالحجارة، ولكنني قبلَ أن أحاكمَ أيًا منكم، حكمتُ على نفسي بالإعدامِ مُنذ البداية.. فأنا أكبرُ الخطاة.

أنا من اشتهيتُ الدماءَ والنساء

وتكاسلتُ عن الصلاةِ والدعاء

طمعتُ في المالِ والجاه

وحسدتُ الخطاة على حياتهم

زادَ غضبي..

فزادَت شراهتي للقتل والانتقام، فتفشَّى فيَ الغرور حدَّ الجنون، وظننتُ أنني سأعيشُ حتى بعَد أن يموتَ الموتُ نفسه.

لكنني في أعماق نفسي كُنت أعلمُ أن الموتَ قريب، وأنه سيأتي في أي وقت، وأنا لا أحَبُّ الزيارات المفاجئة، لذا قررتُ أن أكون من يُحدد ذلك الوقت.

أنا أراهُ الآن بينما أكتبُ السطورَ الأخيرة، يقفُ خارجَ زنزانتي، وبرفقته أبي وأمي وأختاي، ومعهم الرجلُ والمرأةُ اللذان ربيَاني، ينتظرونَ جميعًا الإذن بالدخولِ في أي لحظة.

(تمّت)

المجهول

٦/٢/٢٠١٧





(أرجو أن يتمَّ إيصالُ هذه الرسالة إلى المحامي الخاصِّ بي، هيَ ورزمةُ الأوراق التي برفقتها)

إلى خالي العزيز.. عبد الغني

لو وصلت لك رسالتي دي، يبقى خبر موتي وصل لك..

آسف إني مقولتلكش على خططي كاملة وعلى اللي كنت بفكر فيه، علشان كنت عارف إنك مش هتوفقني.. آسف كمان إني اضطريت أمشي وأسيبك، معرفش أنا بعد ما أموت هيحصلي إيه أو هروح فين، الحقيقة متهمنيش.. اللي يهمني إنك تفضل الراجل القوي اللي رباني، وتفضل على أفضل حال، وتعيش علشان تنشر الرواية اللي فيها حكايتي علشان يقراها كل الناس.

ابنك..

ناجي



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاسم: صقر علام

المهنة: مأمور سجن

في يوم ٦/ ٢ الموافق الاثنين..

استيقظتُ على خبرِ حالتي تسمُّم في السجنِ الذي أقومُ بإدارته، وعندما ذهبتُ بنفسي لأطلعَ على الجثث، وجَدتُ أن الجثةَ الأولى تعودُ لضابط سابقٍ، والجثة الثانية لكاتب شهير، كان الاثنانِ من أكثر السجناء المعروف عنهم حبُّهم للشغبِ ومرافقتُهم أحدهم للآخر، ويعرفُ الجميع أن هناك صداقة تربط بينهما، وهذا ما جعلني أتأكدُ من أن موتهما معًا ليس مصادفة، وأن وراءهُ حكاية ما..

عثرتُ على رزمة الورق هذه بجوار جثة الكاتب وأعلاها تنويهٌ بأنه يجبُ إيصال هذا الورقَ للمحامي الخاص به، بالإضافة إلى رزمة الورق، وجدتُ رسالةً خاصةً موجهةً لشخص يُدعى "عبد الغني"، كما وجدتُ رزمة ورق أخرى صغيرةً ومبعثرةً بجوار جثة الضابط، أكتبُ هذا الكلامَ بعد قراءة متفحصة لرزم الأوراق التي عثرتُ عليها قبل أن أسلمها هي والرسالةَ للمحامي، أكتبهُ وأنا غير مُصدق بأن كل هذا قد حدثَ دون أن يشعر أحد، لا أصدق كمَّ التلاعُب والفَساد، كمَّ الخطط التي رُسمت، والناسُ الذين ماتوا، والعقاقيرُ التي دخلت وخرجت دونٍ أن أشعُر، كل هذا تمَّ من خلفِ ظهري.. لذلك أرى أنه لا أحدَ يستحقُ العقاب غيري، على الأخصِّ بعد أن أصبحَت عيونُ كل من بالداخلية عليَّ وعلى السجن، لذلك قررتُ أن أكتبَ استقالتي قبل أن أكتبَ هذه الورقة، لأنني وليُّ أمرٍ غيرُ قادرٍ على تحمل مسئوليته، لذلك سأتركُها



لأحدٍ غيري.

الفكرةُ ليست فكرة سجن.. الفكرة هي بلدٌ كاملٌ ليس له حاكم، لماذا أكتبُ هذه الورقة؟.. اعتبروها دعوةً لأن تتوقفوا عن نقد الناس والحكم عليهم، دعوةٌ لأن تنظروا إلى أنفسكم أولاً، فليس فينا أحدٌ بلا خطيئةَ، وليس من حق أيٍّ منا أن يرمي الآخر بالحجارة.

(تمّت)

أحمد مسعد | سامي ميشيل

٢٣/ ٥/ ٢٠١٧

التعديل: ١٤/ ٩/ ٢٠١٧

*****



شكر لابد منه

شكرًا على دعمكم الدائم لنا

دكتور عيد إبراهيم عبد الله.. إسلام مجاهد.. محمود الجعيدي.. دعاء حجازي..أحمد عوض.. محمد طارق..أحمد خالد.. إبراهيم مراد.... أحمد جمال سليمان.. شكران محمد.. سمر سعيد.. أحمد هشام.. نورا محمود.. أميرة علاء.. فاطمة حداد والكاتبة شيرين هنائي..

فريق جريدة كبسولة نيوز.. طلاب قسم الإعلام جامعة حلوان الفرقة الثانية.

ناس فنون جميلة.. ودكاترة فنون جميلة ٣.

أحمد طارق أبو سعده (فوتجرافر المخوفاتيه)

مخوفاتيه اليوتيوب

محمد جويلي(قناة قصص رعب المحكمة)

نور إيهاب(سلسال رعب)

أنور إيهاب رعب(قناة قصص رعب طول اليوم)

عبدالله أشرف(قناة قصص رعب في البيت)

علا عز الدين(علعول) (قناة قصص رعب برنامج مدينة الكهوف)

محمد خيري(قناة قصص رعب مع خيري)

أحمد عماشة ومحمد حسام(فريق إرعابك مهمتنا وقناة قصص رعب حواديت الكاشف)

أخيرًا..



شكرًا لكل من وثق فينا وأعطانا الفرصة وقرأ كتابنا ذلك.. نتمنى إلا تكون المرة الأخيرة..





المؤلفان في سطور

سامي ميشيل:



مواليد القاهرة عام ١٩٩٨م أ يدرس في الصف الثاني أداب إعلام جامعة حلوان. له أكثر من ٢٥ قصة إذاعيه وملف سري وتجارب حقيقية تم إذاعتهم مع أحمد يونس في فقرته الشهيرة.. وقد حققت جميع قصصه أعلى نسب إستماع.

وتعد خطايا آدم أول عمل روائي له. ويعمل أيضًا مراسل صحفي بجريدة كبسولة نيوز أ تلك الجريدة التي قام بتأسيسها هو وأصدقائه من طلبة قسم الإعلام بهدف التدريب والتعلم وخلق إعلام جديد يتحدث بلغة الشباب المعاصر ومواقع التواصل الإجتماعي.

للتواصل مع الكاتب:

https: / /www.facebook.com /profile.php?id=100002534500913





أحمد مسعد (المدون):

مواليد القاهرة ١٩٩٧ مطالب بكلية الفنون الجميلة جامعة حلوان الفرقة الأولى بقسم الجرافيك.

كاتب قصصي وروائي اشتهر بكتابة قصص الرعب الإذاعية في العديد من البرامج أشهرها برنامج كلام معلمين للمذيع أحمد يونس.

رصيده من القصص الإذاعية ٢١ قصة بالإضافة إلى ملفات التجارب الحقيقية أهمها (ثلاثية بلا عودة، الراصد، معزوفة الزهاد،أبجدية الموتى،خادم الشيطان..)

عمل كصحفي في العديد من المواقع والمبادرات الشبابية مثل زوووم نيوز ولأبعد مدى).. وتعتبر خطايا آدم العمل الورقي الأول له.

للتواصل مع الكاتب:

https: / /www.facebook.com /a7mad.moss3d



المخوفاتية

تم تأسيس تيم المخوفاتية على يد أحمد مسعد وسامي ميشيل في ٢٠١٧

وكبر الفريق فيما بعد ليشمل العديد من الشغوفين بمجال الرعب.. تقوم فكرة المخوفاتية على عمل إيفينتات رعب يحضرها عشرات ومئات المحبين لهذا المجال حيث نناقش مواضيع غامضة كـ(المس، السحر، الجن، الأشباح، الظواهر الخارقة) في إطار قصصي مرعب مع مسحة من الكوميديا أحيانًا.. ونحاول من خلال ذلك إيصال رسائل مفيدة للشباب.. وقد قمنا بعمل العديد من الإيفينتات في العديد من الأماكن والجامعات وزورنا العديد من المحافظات.. ويستضيف فريقنا أيضًا العديد من كتاب الرعب ومذيعي الرعب على اليوتيوب.. تابعوا أخر أخبارنا وقصصنا ومواعيد الإيفينتات على صفحتنا على فيس بوك:

https: / /www.facebook.com /elmkhoftia

(هذا الإعلان غير مدفوع الأجر:"D)





- حلقات الجحيم التسع -

لم أنكر خوفي في البداية عندما أغلق عليَ باب القبر وجلست وحيدًا ليس بحوذتي سوى شمعة تتزين بشعلة صغيرة تقاوم ظلام القبر بصعوبة، بالإضافة إلى جوال بداخله ثلاث قطط تموء بأصوات مرعبة.. بالإضافة أيضا إلى رائحة القبر الخانقة تحت ضوء الشمعة.. جلست أقرأ ما كتب في المخطوطات التي أعطاها لي الساحر.. كنت أرتعش بينما أقرأ كل كلمة وكل حرف.. كانت للكلمات هيبتها، ضف إلى ذلك فكرة التحدث في الظلام، لم يُخلق الظلام ليكون ساكنا، فإذا تحدثت بداخله فأنت تخرق قواعده، وعليك أن تتحمل العواقب.

بعد أن انتهيت من القراءة، جاء وقت كتابة الوفق السحري الذي أمرني الساحر بأن أكتبه.. و"الوفق" هو وثيقة اتصال شيطانية بالعالم الآخر، وله ألف شكل وطريقة.. بدأت في كتابة الوفق على جسدي بواسطة قلم من نوع (ماركر)، وكان الوفق على شكل نجمة سداسية كتب على كل جانب من جوانبها رقم فردي، بشرط أن يكون مجموع كل طرفين متقابلين من أطراف النجمة الرقم 66.. وبدأت أكتب 31 يقابلها 35، 53 يقابلها 13، 21 يقابلها 45، وفي منتصف النجمة، من المفترض كتابة حروف بعينها بترتيب معين..

غلاف: إسلام مجاهد